



جوامع الجامع

تأليف

أَمِينُ الْأَمَلِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنِي عَلَى الْفَصْلِ ذِي الْحُسْنِ الطَّبَرَقِي
ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِفَةُ الْحَكِيمِ

الجزء الرابع

سورة الحج - سورة الصافات

مراجعته واعتنى بشهره

قِسْمَةُ مَسْنُونَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامِ



جَوَامِعُ الْجَامِعِ

تأليف

أَمِينُ الْأِسْلَامِ أَبِي عَلِيٍّ
الْفَضْلُ بْنُ أَحْسَنِ الطَّبْرَسِيِّ

ت ٥٤٨ هـ

تحقيق

جَوَادُ السَّيِّدِ كَاطِمُ الْحَكِيمِ

الجزء الرابع

سورة الحج - سورة الصافات

مراجعته واعتنى بنشره

قسم شؤون النجاة والإسلامية والإنسانية





العتبة العباسية المقدسة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

WWW.MK.IQ

E.mail: media@mk.iq

الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٧١١١٧٣١٠٨

الطبرسي، الفضل بن الحسن بن الفضل، 468-548 هجري
جوامع الجامع / تأليف امين الاسلام ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ؛ تحقيق جواد السيد
كاظم الحكيم.- الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف
الإسلامية والإنسانية، ١٤٣٩ هـ = ٢٠١٧.
٦ مجلد : صور طبق الاصل ؛ ٢٤ سم
يتضمن نبذة مختصرة عن حياة المؤلف.
يتضمن مصادر وكشافات.

١. القرآن-تفاسير الشريعة-القرن ٦ هـ. الف. الحكيم، جواد كاظم--محقق. ب. العنوان.

BP130.4 .T33 2017

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

الكتاب: جوامع الجامع

تأليف: أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تحقيق: جواد السيد كاظم الحكيم

راجعه واعتنى بنشره: قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

الطبعة: الأولى

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

سنة الطبع: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٣٢١) لعام ٢٠١٧ م



سورة الحج

مكية، وقيل: مدنية غير ست آيات، وآياتها ثمانية وسبعون آية كوفي، خمس بصري، عذ الكوفي: ﴿الْحَمِيمُ﴾، ﴿الْجُلُودُ﴾، ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.
وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة الحج) أُعطي من الأجر كحجة حَجَّها، وعمره اعتمرها بعدد من حج واعتمر))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها في كل ثلاثة أيام لم تخرج سنته حتى يخرج إلى بيت الله الحرام))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ② وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ③ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ④ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

رَبِّ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
 مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
 وَنُقَرِّرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
 طِفْلاً ثُمَّ لَتَبَلِّغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّؤْوَفُ
 وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ
 بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَنَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
 الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

الزلزلة والزلال: شدة التحريك والإزعاج، وأن يضاعف زليل الأشياء عن
 مراكزها ومقارها، وهي مضافة إلى الفاعل على تقدير: أنّ الساعة تزلزل الأشياء،
 أو إلى تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول به،
 كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١).

علل سبحانه وجوب التقوى على الناس بذكر ﴿السَّاعَةِ﴾ ووصفها بأهول
 صفة ليتصوروها بعقولهم ويتزودوا لها. وروي: أنّ هاتين الآيتين نزلتا ليلاً في
 غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله ﷺ ولم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، ولما
 أصبحوا لم يضرّبوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدراً، وكانوا بين باكٍ ومفكر^(٢).
 ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ ﴿تَذْهَلُ﴾ والضمير للزلزلة، والذهول: الذهاب عن
 الأمر بدهشة. والمرضعة: هي التي ألقمت ثديها الصبي، والمرضع - بغير هاء - التي
 من شأنها أن ترضع. والمعنى: إنّ هول تلك الزلزلة إذا فاجأها وقد ألقمت الرضيع
 ثديها نزعته عن فيه، لما يلحقها من الدهشة.

(١) سبأ: ٣٣.

(٢) الكشف والبيان ج ٧: ٦.

﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته، وعن الحسن: (تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام)^(١).

وقرئ: سكرى وبسكرى فهو نظير عطشى من عطشان، ﴿سُكَّرِى﴾ و﴿سُكَّرِى﴾ نحو كسالى، والمعنى: وتراهم سكارى على التشبيه لما هم فيه من شدة الفزع، وما هم بسكارى من الشراب ﴿وَلَكِنَّ﴾ أذهب عقولهم خوف ﴿عَذَابِ اللَّهِ﴾.

والمجادل ﴿فِي اللَّهِ يَغْيِرَ عِلْمٍ﴾ قيل: هو النضر بن الحارث^(٢) وكان ينكر البعث ويقول: القرآن أساطير الأولين، والملائكة بنات الله، وقيل: هي عامة في كل من تعاطى الجدال فيها يجوز على الله وفيها لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا برهان.

﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في ذلك ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ عات متجرد للفساد، يغويه عن الهدى ويدعوه إلى الضلال.

وعلم من حاله أنّ من جعله ولياً له، فإنّ ثمره ولايته الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار.

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ تمثيل، والهاء للشيطان، أي: كأنها كتب إضلال من يتولاه عليه، لظهور ذلك في حاله. وقرئ: ﴿أَنَّهُ، فَأَنَّهُ﴾ بالفتح والكسر، فأما الفتح فلاّن الأول فاعل ﴿كُتِبَ﴾ والثاني عطف عليه، والأولى أن يكون الفاء وما بعده في موضع جواب الشرط إن جعلت ﴿مَنْ﴾ شرطاً، وفي موضع خبر المبتدأ إن جعلت ﴿مَنْ﴾ بمعنى (الذي) لكونه موصلاً بالفعل، والجملة في موضع خبر

(١) تفسير الطبري ج ١٧ : ٨٨.

(٢) عن ابن جريج وغيره. الدر المنثور ج ٤ : ٣٤٤.

(أَنَّ) الأولى. وأما الكسر فعلى حكاية المكتوب كما هو، أي: كَاتَبَا كتب عليه هذا الكلام، كما تقول: كتبت إنَّ الله على كل شيء قدير، أو على تقدير (قيل)، أو على أَنَّ كتب فيه معنى القول.

المعنى: ﴿إِنْ﴾ ارتبتم في ﴿الْبَيْتِ﴾ فالذي يزيل ريحكم أن تنظروا في مبدأ خلقكم. والعلاقة: القطعة الجامدة من الدم، والمضغة: اللحم الصغيرة قدر ما يمضغ، والمخلقة: المسواة للمساء من العيب والنقص، يقال: خلق السواك إذا سواه وملسه، كأنه سبحانه يخلق بعض المضغ كاملاً أملس من العيوب وبعضها على عكسه، فيتفاوت لذلك الناس في خلقهم وصورهم وتماهم ونقصهم.

﴿لَنْبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التدرج قدرتنا وحكمتنا، وأنَّ من قدر على خلق البشر من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً، وقدر على أن يجعل النطفة علقة والعلاقة مضغة والمضغة عظماً، قدر على إعادة ما أبداه.

﴿وَنُقَرُّ﴾ أي: ونبقي ﴿فِي﴾ أرحام الأمهات ﴿مَا نَشَاءُ﴾ أن نقره ﴿لِأَنَّ﴾ أَجَلَ مُسَمًّى وهو وقت الوضع، وما لم نشأ إقراره أسقطته الأرحام.

وَوَحَّدَ قوله: ﴿طِفْلاً﴾ لأنَّ الغرض الدلالة على الجنس، أو أراد ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لَتَبْتَغُوا أَشْدَّكُمْ﴾ وهو حال اجتماع العقل وتما الخلق والقوة والتميز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يأت لها واحد، كأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع.

و﴿أَزْدَلِ الْعُمُرِ﴾: الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الأولى في وقت الطفولية.

﴿لِيَكُنِيَ لَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي: ليصير نساء، بحيث لو كسب علماً في شيء زال عنه من ساعته، فلا يستفيد علماً وينسى ما كان علمه.

والهامدة: الميتة اليابسة، وهذه دلالة أخرى على البعث، ولكونها معانية ظاهرة كررها الله في كتابه.

﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ تحركت بالنبات، وانتفخت لظهور نائها ﴿وَأُنبِتَتْ مِنْ كُلِّ﴾ جنس مؤنق حسن الصورة سار للنظر إليه.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾
وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ
﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

أي: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرنا من تصريف الخلق وإحياء الأرض وما فيها من البدائع والحكم حاصل بسبب ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: الثابت الموجود، وأنه قادر على إحياء ﴿الْمَوْتِ﴾ وعلى كل مقدور، وهو حكيم لا يخلف الميعاد، وقد وعد البعث فلا بد أن يفي بوعد.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ضروري ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي: استدلال ونظر يهدي إلى المعرفة ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ وهو الوحي.

﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ أي: متكبراً في نفسه، فإن ثني العطف عبارة عن الخيلاء والكبر كتصغير الحد.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما كان جداله مؤدياً إلى الضلال جعل كأنه الغرض في الضلال.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيطُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾

﴿عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: على طرف في الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على هتية وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر وغنيمه اطمأن وقرّ، وإلا انهزم وفرّ. وقرئ: خاسر الدنيا والآخرة، وهو منصوب على الحال.

و﴿الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ مستعار من ضلال من أبعد في التيه، فبعدت مسافة ضلاله.

سَفَّهَ الله سبحانه هذا الكافر بأنّه يعبد جهاداً لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وهو يعتقد أنّه يستنفع به حين يستشفع به، ثم قال: يقول هذا الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى دخوله النار بعبادة الأصنام، ولا يرى أثر الشفاعة التي أملها منها ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾، أو كرر ﴿يَدْعُوا﴾ كأنه قال: يدعو يدعو من دون الله ما لا يضرّه وما لا ينفعه، ثم قال: لمن ضرّه بكونه معبوداً

أقرب من نفعه بكونه شافعاً لبئس المولى، والمولى: الناصر، والعشير: الصاحب، كقوله: ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾^(١).

﴿مَنْ كَانَتْ يَدُكَ عَلَيْهِ﴾ من أعادي رسول الله ﷺ وحساده أن الله لا ينصره ويطمع فيه، ويغيظه أنه لا يظفر بمطلوبه، فليستفرغ جهده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعله من بلغ به الغيظ كل مبلغ حتى مدّ حبلاً ﴿إِلَى﴾ سماء بيته فاختنق، فلينظر أنه إن فعل ذلك ﴿هَلْ﴾ يذهب نصر الله الذي يغيظه؟.

وسمى الاختناق قطعاً لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه، ولذلك يقال للبهير^(٢): قطع؛ وسمى فعله كيداً، لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره، أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكذب به محسوده، إنما كاد به نفسه، والمراد: ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظه. وقيل: معناه: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ المظلة ليصعد عليه و﴿يَقْطَعْ﴾ الوحي أن ينزل عليه^(٣). وقرئ: ﴿ثُمَّ لَيَقْطَعْ﴾ بكسر اللام وسكونها، وأصل هذه اللام الكسر، إلا أنه جاز إسكانها مع الفاء والواو، لأن كل واحد منهما لا يتفرد بنفسه، فهو كحرف من نفس الكلمة فصار بمنزلة: فخذ وعضد، ثم شبه الميم في ﴿ثُمَّ﴾ بالواو والفاء كقوله: أراك منتصباً.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله ﴿ءَايَاتٍ يَتَنَّهِنَّ﴾، ولأن ﴿اللَّهُ يَهْدِي﴾ به الذين علم أنهم يؤمنون، أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك.

(١) الزخرف: ٣٨.

(٢) البهير: انقطاع النفس من الإعياء. (لسان العرب: مادة بهر)

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١٧: ٩٥.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ
وَالْدَوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ
يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾

دخلت ﴿إِنَّ﴾ على واحدة من جزأي الجملة لزيادة التأكيد، كما في قول

جرير:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلُهُ سِرْبَالُ مُلْكٍ بِهِ تُزَجَّى الْخَوَاتِيمُ^(١)

والفصل: التمييز بين المحق والمبطل، أو الحكم والقضاء بينهما.

وسميت مطاوعة هذه الأشياء لله عزّ وجلّ اسمه فيما يحدث من أفعاله
وتسخيره لها سجوداً، تشبيهاً لذلك بما يفعله المكلف من السجود الذي كل
خضوع دونه.

﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ أي: ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة

وعبادة، وقيل: التقدير: وكثير من الناس استحقّ الثواب إذ وحّد الله وأطاعه،
﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ إذ أبى السجود ولم يوحدّه جل اسمه.

﴿وَمَنْ﴾ يهينه الله بأن كتب عليه الشقاوة وأدخله النار ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإكرام والإهانة.

هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ
ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ
مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْنِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّكَ اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ
ذَهَبٍ وُلُوفٌ نُظُفٌ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ
مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

﴿هَذَانِ﴾ فريقان أو جمعان مختصمان، والخصم مصدر وصف به فاستوى فيه
الواحد والجمع، وقوله: ﴿هَذَانِ﴾ للفظ و﴿أَخَصَمُوا﴾ للمعنى، كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾^(١)، ولو قال: هؤلاء ﴿خَصْمَانِ﴾ أو
اختصما لكان جائزا. وقيل: نزلت في نفر الستة من المؤمنين والكافرين تبارزوا
يوم بدر، وهو حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة، وعلي بن أبي طالب قتل الوليد بن
عتبة، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وقرنه شيبة بن ربيعة^(٢).

﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ في دين ربهم وصفاته.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هو فصل الخصومة المعني بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ أي: ألبسوا مقطعات النيران وهي الثياب
القصار، كأنه سبحانه يقدر لهم نيراناً على مقادير جثثهم كما يقطع الثياب الملبوسة،

(١) محمّد: ١٦.

(٢) أسباب النزول: ٢١٦.

ونحوه: ﴿سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ﴾^(١).

و﴿الْحَمِيمُ﴾ الماء الحار، وعن ابن عباس: (لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها)^(٢).

﴿يُضْهِرُّ﴾ أي: يذاب وينضج بذلك الحميم أمعاؤهم وأحشاؤهم كما يذاب به جلودهم.

المقامع: السياط.

أي: ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ فخرجوا ﴿أَعِيدُوا فِيهَا﴾ وعن الحسن: (إن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً)^(٣)، وقيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وهو الغليظ من النار المنتشر العظيم الإحراق.

وقرى: ﴿لَوْ لَوْ﴾ بالنصب على ويؤتون لؤلؤاً.

﴿وَهْدُوا﴾ أي: وهداهم الله إلى أن يقولوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده، وهداهم إلى طريق الجنة.

و﴿الْحَمِيدُ﴾ هو الله المستحمد على عباده بنعمه.

والأساور: جمع أسوار، وفيه ثلاث لغات: أسوار، وسوار، وسوار.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ

(١) إبراهيم : ٥٠.

(٢) الكشف ج ٣: ١٥٠.

(٣) الكشف ج ٣: ١٥٠.

فِيهِ بِالْحَكَامِ يُطْلَمُ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ الْبَاسِ ﴿٢٥﴾ وَلَئِنْ بَوَّأْنَا
لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْئًا وَطَهَّرَ
بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ
فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ
كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ
فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا
مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ
وَلِيُوفُوا نَّذْرَهُمْ وَلِيَبْطِئُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ
وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ
لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا
الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: أن الصدود يقع منهم على سبيل
الاستمرار والدوام.

﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: للذين يقع عليهم اسم الناس، من غير فرق بين حاضر
وباد، وناء وطارئ.

وقرئ: ﴿سَوَاءً﴾ بالرفع والنصب، فالنصب على أنه المفعول الثاني
لـ ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ أي: جعلناه مستويا ﴿الْعَنَكُفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾، والرفع على أن الجملة في
حال النصب على المفعول الثاني. وفيه دلالة على امتناع جواز بيع دور مكة.

والمراد بـ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: الحرم كله، كما قال: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^(١).

والإلحاد: العدول عن القصد، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ حالان مترادفان، ومفعول ﴿يُتَرَدِّدُ﴾ متروك ليتناول كل متناول، كأنه قال: ﴿وَمَنْ يُتَرَدِّدْ فِيهِ﴾ مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً.

﴿تَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ يعني: إنَّ الواجب على من كان فيه أن يسلك طريق العدل والساداد في جميع ما يهيم به ويقصده. وخبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف، لدلالة جواب الشرط عليه، وتقديره: إنَّ الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم، وكل من ارتكب فيه ذنباً فهو كذلك.

واذكر حين جعلنا ﴿لَا تَرْهِيْمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ مباءة، أي: مرجعاً يرجع إليه للعمارة والعبادة، و﴿أَنْ﴾ هي المفسرة، أي: تعبتنا إبراهيم وقلنا له: ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأصنام والأقذار أن تطرح حوله.

﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ﴾ ناد فيهم، والنداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أن يقول: حجّوا، أو عليكم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾. وروي: أنه صعد أبا قبيس^(٢) فقال: يا أيها الناس، حجّوا بيت ربكم، فأسمع الله صوته كل من سبق علمه بأنّه يحج إلى يوم القيامة، فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال^(٣). وعن الحسن: (إنَّ الخطاب لرسول الله ﷺ، أمر أن يعلم الناس بوجوب الحج في حجة الوداع)^(٤).

﴿يُحْجَلُونَ﴾ أي: مشاة، جمع راجل، كقائم وقيام.

(١) الإسراء: ١.

(٢) أبو قبيس: الجبل المشرف على مكة. معجم البلدان ج ١: ٨٠.

(٣) تفسير العياشي ج ٢: ٢٣٢، الدر المنثور ج ٤: ٣٥٤.

(٤) معالم التنزيل ج ٣: ٤٧.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حال معطوف على حال، كأنه قال: رجلاً وركباناً.
﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لـ ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾ لأنه في معنى الجمع، وقرأ الصادق عليه السلام:
رُجَالاً - بضم الراء - مشددة، وقال: هم الركالة، وقرئ يأتون - بالواو - صفة للرجال
والركبان.

﴿فَتَجْعَبِي﴾ طريق بعيد.

ونكر ﴿مَنْفَعٌ﴾ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد
في غيرها من العبادات، وقيل: هي منافع الآخرة من العفو والمغفرة^(١).

واختلف في الأتيام المعلومات: فالمروي عن الباقر عليه السلام: ((أنتها يوم النحر
والثلاثة بعده أتيام التشريق، والأتيام المعدودات: عشر ذي الحجة))^(٢). وهو قول
ابن عباس^(٣)، واختيار الزجاج قال: (لأنّ الذكر هنا يدلّ على التسمية على ما يذبح
وينحر، وهذه الأتيام تختص بذلك)^(٤). وعن الصادق عليه السلام: ((هو التكبير بمنى
عقيب خمس عشرة صلاة أولها صلاة الظهر من يوم النحر، يقول: الله أكبر الله
أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله
على ما أولانا ورزقنا من بهيمة الأنعام))^(٥).

البهيمة: مبهمه في كل ذات أربع، فبيّنت بـ ﴿الْأَنْعَامِ﴾ وهي: الإبل والبقر
والضأن والمعز.

(١) عن الباقر عليه السلام. تفسير الطبري ج ١٧: ١٠٨.

(٢) التبيان ج ٧: ٣١٠.

(٣) تفسير الطبري ج ١٧: ١٠٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج ٣: ٤٢٣.

(٥) تفسير القمي ج ٢: ٨٤ باختلاف.

والأمر بالأكل منها أمر إباحة، لأنَّ أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائهم، ويجوز أن يكون ندباً لما فيه من مساواة للفقراء ومواساتهم.

﴿الْبَاسِ﴾ الذي أصابه بؤس، أي: شدة وقضاء.

التفت: قصَّ الشارب والأظفار والاستحداد واستعمال الطيب، والتفت: الوسخ، والمراد: قضاء إزالة التفت.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ مواجب حجهم، أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ طواف الزيارة، وروى أصحابنا: أنَّه طواف النساء الذي يستباح به وطء النساء، وذلك بعد طواف الزيارة^(١).

والعتيق: القديم، لأنَّه ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾^(٢) وقيل: أعتق من الجبابرة، كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله^(٣)، وقيل: أعتق من الغرق^(٤)، وقيل: هو الكريم^(٥)، من قولهم عتاق الطير.

﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر والشأن ذلك، والحرمة: مالا يحلّ هتكه، وجميع ما كلفه الله تعالى به من مناسك الحج وغيرها فهو بهذه الصفة، فيحتمل أن يكون عاماً في جميع التكاليف، ويحتمل أن يكون خاصاً في مناسك الحج ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهِ﴾ فالتعظيم خير له، ومعنى التعظيم: العلم بأنها واجبة الحفظ ﴿إِلَّا مَا يُشْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ آية تحريمه، وذلك قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...الآية﴾ في

(١) ينظر: الوسائل ج٩ باب ٢ من أبواب الطواف.

(٢) آل عمران: ٩٦.

(٣) عن ابن عباس وغيره، وروي مرفوعاً. الدر المنثور ج٤: ٣٥٧.

(٤) عن سعيد بن جبیر. الدر المنثور ج٤: ٣٥٩.

(٥) الكشف والبيان ج٧: ٢٠.

سورة المائدة^(١).

ثم لما حث الله سبحانه على تعظيم حرماته، أمر عقيقه باجتنب الأوثان وقول الزور، لأن توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول من أعظم الحرمات، وقيل: ﴿قَوْلُكَ الزُّورُ﴾ هو قول أهل الجاهلية: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك^(٢).

حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ
السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾
ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ
فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ
مِنْ بَهِيمَةٍ أَلَّا يَنْعَمُوا فَالْنَّهْكُمْ إِلَهُ وَجِدْ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى
مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿حُفَاءَ﴾ أي: مستقيمي الطريقة على أمر الله، مائلين عن سائر الأديان.

وقرئ: ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ أي: فتخطفه فحذف تاء الفعل، وهذا التشبيه يجوز أن يكون من المركب والمفرق، والمركب مثل أن تقول: من أشرك بالله فإنَّ حاله كحال من خرَّ من السماء فاخطفته الطير، أي: أخذته بسرعة ففرَّق أجزاءه في حواصلها، أو عصفت به الريح فهوت به إلى الأماكن البعيدة. والمفرق أن يكون الإيذان مشبهاً في علوه بالسما، وتاركة مشبهاً بالساقط من السماء، والأهواء

(١) الآية: ٣.

(٢) عن مقاتل. الدر المنثور ج ٤: ٣٥٩.

الموزعة أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يستهويه في الضلالة بالريح التي تهوي به في المهاوي المهلكة.

وتعظيم الشعائر وهي الهدايا، لأنها من معالم الحج استسماها واستحسانها، وأن يترك المكاس في شرائها، فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن: الهدى، والأضحية، والرقبة. وعن الباقر عليه السلام: ((لا تماكس في أربعة أشياء: في الأضحية، وفي ثمن النسمة، وفي الكفن، وفي الكراء إلى مكة))^(١).

﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرها، لأنه لا بد من عائد من الجزاء إلى ﴿مِنْ﴾ ليرتبط به، وإنما ذكرت ﴿الْقُلُوبِ﴾ لأنها مراكز التقوى، فإذا تمكنت فيها ظهر أثرها في الجوارح.

﴿لَكُمْ﴾ في الشعائر ﴿مَنْفَعٌ﴾ بركوب ظهورها وشرب ألبانها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن ينحر ويتصدق بلحومها، و﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في الوقت، فاستعبرت للتراخي في الأحوال، والمعنى: إن لكم في الهدى منافع كثيرة في دينكم ودنياكم، وأعظم هذه المنافع ﴿مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ﴾ ومحللها: حيث يجب نحرها، أو وقت وجوب نحرها، أو وجوب نحرها منتهية إلى البيت كقوله: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَفَّةِ﴾^(٢)، فإن كان الهدى للحج ينحر بمنى، وإن كان للعمرة بمكة.

وقرئ: ﴿مَنْسَكًا﴾ بفتح السين وكسرهما، وهو مصدر بمعنى النسك، والمكسور بمعنى: الموضع، أي: شرعنا ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أن ينسكوا، أي: يذبحوا لوجه الله لأن يذكروا اسمه على النسائك.

(١) الخصال: ٢٢٣.

(٢) المائدة: ٩٥.

﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أي: أخلصوا له الذكر خاصة، واجعلوه لوجهه سالماً، أي: خالصاً لا يشوبه إشراك.

والمخبتون: المتواضعون، من الخبت وهو المظمن من الأرض.

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَبَالَ
اللَّهُ لِحُمُومِهَا وَلَا دِمَآؤِهَا وَلَكِنْ بِنَالِهِ النَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا
لَكُمْ لِتُكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَكُمْ وَإِنَّهُ لَیُبْخِرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ
اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾
أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفُسِهِمْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ غَنَایَةٌ وَلَنْ يَبَالَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِمْ لَقَدِيرٌ
﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ فَاسِقِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَیَنْصُرَنَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَیَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ

يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِیٌّ عَزِیزٌ ﴿٤١﴾

﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بُدنة، سمي بذلك لعظم بدنها، وهي الإبل خاصة،
وجعل البقر في حكم الإبل لقوله ﷺ: ((البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة))^(١)،
وهي منصوب بإضمار الفعل الذي ظهر تفسيره.

﴿مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾: من أعلام الشريعة التي شرعها الله، وإضافتها إلى اسمه
تعظيم لها.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ أي: نفع في الدنيا والآخرة.

وذكر ﴿أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أن يقول: بسم الله والله أكبر، اللهم منك ولك.
 ﴿صَوَّافٌ﴾ أي: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، قد ربطت اليدان من كل واحدة منها ما بين الرسغ إلى الركبة، وعن الباقر عليه السلام: أنه قرأ صَوَّافِينَ، وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس، وهو من صفون الفرس، وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبله، لأنَّ البدنة قد تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث.

﴿فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت على الأرض، من وجب الحائط وجبة، ووجب الشمس جبة، وهو عبارة عن تمام خروج الروح منها.
 ﴿فَكُلُّوا﴾ أي: فحلّ لكم الأكل ﴿مِنْهَا﴾ والإطعام.

و﴿الْقَانِعَ﴾: السائل، من قنعت إليه وكنعت: إذا خضعت له وسألته قنوعاً، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، أو القانع: الراضي يقنع بما أعطيته، والمعتَر: المارّ بك تطعمه، يقال: عراه واعتراه وعره واعتره بمعنى.

﴿سَخَّرَتْهَا لَكُمْ﴾ تأخذونها مطيعة متقادة للأخذ فتعقلونها، من الله سبحانه بذلك على عباده.

لن يصيب رضاء الله ﴿لِحُومُهَا﴾ المتصدق بها ﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ المهرقة بالنحر ﴿وَلَكِنْ﴾ يصيب رضاه ﴿النَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ والإخلاص وصدق النية. وقرئ: ﴿يَنَالُ﴾ و﴿يَنَالُهُ﴾ بالتاء والياء. وروي: أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرُوا لطخوا البيت بالدم، فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك، فنزلت^(١).

وكرر سبحانه تذكير النعمة بالتسخير، ثم قال: ﴿لَتُكْفِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا

هَذَنْكُرُ ﴿ وهو أن يقال: الله أكبر على ما هداننا، وقيل: إنه ضمّن معنى الشكر فعّده تعديته، أي: لتشكروا الله على هدايتكم لأعلام دينه ومناسك حجّه، بأن تكبّروا وتهلّلوا.

ثم خصّ المؤمنين بالدفع عنهم والنصرة لهم كما قال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)، وجعل العلة في ذلك أنّه لا يحبّ أضدادهم الذين يخونون الله ورسوله ويكفرون نعمه.

وقرئ: ﴿يُذْفِعُ﴾ أي: يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه.
 وقرئ: ﴿أُذِنَ﴾ و﴿يُقْتَلُونَ﴾ على البناء للفاعل والمفعول جميعاً، والمعنى: أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه.

﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾: بسبب كونهم مظلومين، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، وهي أول آية نزلت في القتال، والإخبار بكونه قادراً على نصرهم عدة منه بالنصر، وما قبل الآية من قوله: ﴿يُذْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مؤذن بهذه العدة أيضاً.

و﴿أَن يَقُولُوا﴾ مجرور الموضع على البدل من ﴿حَقٍّ﴾، أي: ﴿يَغَيِّرُ﴾ موجب سوى التوحيد الذي كان ينبغي أن يوجب التمكين والإقرار لا الإخراج من الديار.

ومعنى ﴿دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ﴾ تسليطه المسلمين على الكفار ﴿وَلَوْلَا﴾ ذلك لاستولى أهل الشرك على أهل الملل وعلى متعبداتهم فهدموها، ولما تركوا للنصارى بيعاً ولا لربانهم ﴿صَوْمِعُ﴾ ولا لليهود ﴿صَلَوْتُ﴾ ولا للمسلمين ﴿مَسَاجِدُ﴾. وسمّيت الكنيسة صلاة لأنها يصلّى فيها. وقرأ الصادق عليه السلام: صلوات - بضم الصاد واللام -، وفّسرها بالحصون والآطام،

وقرى: دفاع، ولهدمت - بالتخفيف ..

﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه وأولياءه.

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ
(١١) وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ
(١٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى
فَأَمَلَيْنَا لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٤)
فَكَأَيُّ مَن قَرِيبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِ مِعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ (١٥)

هذا ثناء من الله عز اسمه على المؤمنين، وإخبار عما سيكون منهم بظهر الغيب إِنْ مَكَّنَّاهُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وبسط لهم في الدنيا من القيام بأمر الدين. وعن الباقر عليه السلام أنه قال: ((نحن هم)) (١).

و﴿الَّذِينَ﴾ منصوب بدل من قوله: ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، وقيل: هو تابع لـ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ (٢) فيكون المعني بهم: المهاجرين.

﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إلى حكمه وتقديره.

أي: لست بواحد في التكذيب، فقد كذب الرسل أقوامهم، ولك بهم أسوة. ﴿وَكَذَّبَ مُوسَى﴾ أيضاً مع ظهور معجزاته.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري وتغيري حيث أبدلتهم بالنعمة نقمة

(١) تفسير فوات: ٢٧٤.

(٢) الكشف ج ٣: ١٦١.

وبالمنحة محنة، وبالعماره خراباً.

والخاوي: الساقط، من خوى النجم: إذا سقط، أو الخالي من خوى المنزل: إذا خلا من أهله، وخوى بطن الحامل. وكل مرتفع أظلك من سقف بيت أو أظلة أو كرم فهو عرش. وقوله: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَآ﴾ إن تعلق بـ ﴿خَاوِيَةً﴾ فالمعنى: أنها ساقطة على سقوفها، أي: خرت سقوفها على الأرض ثم سقطت حيطانها عليها، أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها؛ وإن كان خبراً بعد خبر فالمعنى: هي خالية وهي مطلة على عروشها، على معنى: أن العروش سقطت على الأرض وبقيت الحيطان مشرفة عليها. وقرئ: أهلكتها.

ومعنى المعطلة: إنها عامرة فيها الماء، ومعها آلات الاستسقاء إلا أنها عطلت أي: تركت لا يستسقى منها لهلاك أهلها. أي: وكم من بئر عطلناها عن سقائها ﴿وَقَصْرِ مَاشِدٍ﴾ أخليناه عن ساكنيه، فحذفت لدلالة ﴿مُعَطَّلَةٍ﴾ عليه، وفي هذا دليل على أن ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى (مع) في ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَآ﴾.

والمشيد: المرتفع، وقيل: المخصص^(١).

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَادَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَلَئِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ
﴿٤٧﴾ وَكَأَيْنَ مِنْ قَرْبَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ
أَخَذْتُهَا وَلَئِنَّ الْمَصِيرَ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ

(١) عن سعيد بن جبير وغيره. تفسير الطبري ج ١٧: ١٢٨.

مُتَيْنٌ ﴿١٩﴾ فَأَلْذِنَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢١﴾

ثم حث سبحانه على السفر والاعتبار بمصارع من أهلكهم الله من الكفار.
أي: ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد، و﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يجب
سماعه من الوحي ﴿فَاتَّبَعَهَا﴾ الضمير للشأن والقصة، وقد يجيء مؤنثاً، ويجوز أن
يكون ضميراً مبهماً يفسره ﴿الْأَبْصُرُ﴾، وفي ﴿تَعَمَّى﴾ راجع إليه، والمعنى: إنَّ
أبصارهم صحيحة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم، أو يريد أن لا اعتبار بعمى
الأبصار، فكأنه ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب.

وقوله: ﴿أَلَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تأكيد كما في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(١)،
وذلك لتقرير: أنَّ مكان العمى هو القلب لا البصر.

ثم أنكر استعجالهم للعذاب المتوعد به، أي: كأنهم يجوزون فوته، والله عزَّ
اسمه لا يخلف وعده، ولا محالة أن يصيبهم ذلك إلا أنه عزَّ اسمه حلیم لا يعجل،
ومن حلمه واستقصاره المدد الطويلة أن ﴿يَوْمًا﴾ واحداً عنده ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾
عندكم، وقيل: معناه: كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في
طول ألف سنة من سنيكم، لأن أيام الشدائد طوال^(٢).

وكم ﴿مِنْ﴾ أهل ﴿قَرِيْبَةٍ﴾ قد أنظرتهم حيناً ﴿ثُمَّ﴾ أخذتهم بالعذاب
﴿وَلَمَّا﴾ المرجع.

(١) آل عمران: ١٦٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ج٢: ٢٢٨.

﴿سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ بالفساد: من الطعن فيها بأن سموها سحراً وشعراً

وأساطير الأولين، ومن تثييب الناس عنها.

﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: مسابقين في زعمهم وتقديرهم. وقرئ: معجزين، أي:

مسابقين عندهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم، أو قاصدين تعجيز رسولنا،

يقال: عاجزه أي: سابقه، لأن كل واحد من المتسابقين في طلب عجز الآخر عن

اللاحق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعجزه.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى
الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ
يُخَيِّمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ
وَلِإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ
يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

روي أن السبب في نزول هذه الآية: أن النبي ﷺ تلا سورة النجم وهو

في نادي قومه، فلما بلغ قوله: ﴿وَمِنَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَى﴾^(١) ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي

أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي: في تلاوته: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجي، فسر بذلك

المشركون، فنزلت الآية تسلياً له ﷺ^(٢). ومعناه: أنه لم يبعث رسول ولا نبي إلا

(١) النجم: ٢٠.

(٢) أسباب النزول: ٢١٧.

إذا تَمَتَّى أي: تلا، حاول الشيطان تغليظه فألقى في تلاوته ما يوهم أنه من جملة الوحي، فيرفع الله ما ألقاه بمحكم آياته، وقيل: إنها ألقى ذلك في تلاوته بعض الكفار، فأضيف ذلك إلى الشيطان لما حصل بإغوائه. ومما يبين أن التَمَتَّى يكون في معنى التلاوة، قول حسان بن ثابت:

تَمَتَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرُهُ لَأَقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ^(١)

وعن مجاهد قال: (كان النبي ﷺ إذا تأخر عنه الوحي تَمَتَّى أن ينزل عليه فيلقي الشيطان في أمنيته بما يوسوس إليه، وينسخ الله ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان)^(٢). وقيل: تلك الغرائق إشارة إلى الملائكة، أي: هم الشفعاء لا الأصنام، والغرائق: جمع غرنوق، وهو الشاب الجميل الممتلئ رياً.

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي: يذهب به ويبطله.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْمَنَهُ﴾ أي: يثبتها حتى لا يتطرق عليها ما يشعثها.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ في الأمانة وتمكينه من ذلك ﴿فِتْنَةً﴾ أي: محنة وابتلاء، يزداد المنافقون به شكاً وظلمة، وهم الذين ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، والمؤمنون يقيناً ونوراً قد ازدادوا إيماناً إلى إيمانهم.

﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم المشركون المكذبون.

﴿وَالْظَّالِمِينَ﴾ يعني: وإن هؤلاء المنافقين والمشركين، والأصل: وإتهم،

إلا أنه وضع الظاهر موضع الضمير ليقضي عليهم بالظلم.

﴿لَقَدْ شَقَّاقِي﴾ أي: مشاقة لله تعالى.

(١) لم أعثر عليه لحسان وإنما هو لكعب بن مالك، ديوانه: ٢٩٤.

(٢) التبيان ج٧: ٣٣٠.

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بالله وبحكمته ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾
وفي الحكمة فيصدقوا به.

﴿فَتُخِيتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تطمئن وتسكن.

﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى﴾ أن يتأولوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات
الصحيحة، فلا تعزيرهم شبهة ولا تحالجهم مرية.

والضمير في قوله: ﴿فِي مَرِيَقَةٍ مِّنْهُ﴾ للقرآن أو للرسول. والمراد باليوم
العقيم: يوم بدر، وصفه بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرون كأنهن عقم
لم يلدن، أو لأن المقاتلين يوصفون بأنهم أبناء الحرب فإذا قتلوا وصف يوم الحرب
بأنه عقيم مجازاً، أو لأنه لا مثل لهذا اليوم في عظم أمره لقتال الملائكة فيه، كما قيل:

عَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدُنَّ شَيْئَهُ
إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقُمٌ^(١)

وقيل: المراد به يوم القيامة، وسماه عقيماً لأنه لا ليلة له^(٢)، وكأنه قال: ﴿تَأْيِيهِمْ
السَّاعَةُ... أَوْ يَأْيِيهِمْ﴾ عذابها، فوضع الظاهر موضع الضمير.

الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ بِحُكْمٍ بَيْنَهُمْ فَأَلَّذِيكَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيتٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا
حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ
مُدْخَلًا رِّضْوَنَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ

(١) ديوان أبي دهل الجمحي: ٦٦.

(٢) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج ١٧: ١٣٥.

وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ

إِنَّا اللَّهُ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

التقدير في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم يؤمنون، أو يوم تزول مریتهم.

سوى بين من مات من المهاجرين في سبيل الله وبين من قتل منهم في الموعد تفضلاً منه.

والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن تفريط من فرط منهم بفضله وكرمه. وروي: أنهم قالوا: يا رسول الله، هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا إن متنا معك؟ فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين.

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ أي: ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه، سمى الابتداء بالمعاقبة من حيث إنه سبب وذاك مسبب عنه، كما حملوا النظر على النظر والنفیض على النفیض للملازمة ﴿لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ﴾ الضمير للمبغی علیه. ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لا يلوّمه على ترك ما بعثه عليه من العفو عن الجاني بقوله: ﴿وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(١)، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢).

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) الشورى: ٤٠.

فَصُحِّحُ الْأَرْضُ مُخَضَّرَةٌ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ
﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾

أي: ﴿ذَلِكَ﴾ النصر بسبب أنه قادر، ومن آيات قدرته أنه ﴿يُؤَلِّجُ
الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، أو بسبب أنه خالق الليل والنهار
فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من خير أو شر، فإنه ﴿سَمِيعٌ﴾ لما
يقولون ﴿بَصِيرٌ﴾ بما يعملون.

وقرئ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الوصف بخلق الليل والنهار وبالإحاطة بما يجري
فيهما بسبب أنه الله ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت إلهيته، وأن كل ما يدعى إلهاً من دونه باطل
الدعوة، وأنه ﴿الْعَلِيُّ﴾ عن الأشباه، ولا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطانًا.

﴿فَصُحِّحُ الْأَرْضُ مُخَضَّرَةٌ﴾ إنما رفع لأن المعنى إثبات الاخضرار، ولو
نصب جواباً للاستفهام لانقلب المعنى إلى نفي الاخضرار.

﴿لَطِيفٌ﴾ واصل علمه أو فضله إلى عباده ﴿خَبِيرٌ﴾ بمصالحهم.

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم مذلة للركوب في البر، ومن المراكب
جارية ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ وغير ذلك من المسخرات.

﴿أَنْ تَقَعَ﴾ أي: كراهة أن تقع إلا بمشيئته.

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا نَاسِكًا لَهُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْتَزَعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ نَارًا وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جحود يمحذ الخالق مع هذه الأدلة الدالة على الخلق.

﴿فَلَا يُنْتَزَعُ عَنْكَ﴾ نهي لرسول الله ﷺ، أي: لا تلتفت إلى قولهم، ولا تمكنهم من أن ينازعوك، أو هو زجر لهم عن منازعته.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في أمر الدين. روي: أن بديل بن ورقاء وغيره من كفار خزاعة قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله؟ يعنون الميتة^(١).

وإن أبوا إلا مجادلتك فادفعهم بأن تقول: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ بأعمالكم وبقبحها، فهو مجازيكم عليها، وهذا وعيد برفق ولطف.

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أي: يفصل بينكم بالثواب والعقاب، وهذا تسليية لرسول الله ﷺ مما كان يلقاه منهم.

أي: وكيف تخفى عليه أعمالهم وقد علم بالدليل أنه سبحانه ﴿تَعْلَمُ﴾ كل ﴿مَا﴾ يحدث ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، وقد كتبه في اللوح المحفوظ قبل حدوثه؟! وحفظ ذلك وإثباته والإحاطة به عليه ﴿لَسِيرٌ﴾.

﴿وَتَعْبُدُونُ﴾ ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي، ولا عرفوه بدليل عقلي، ﴿وَمَا﴾ لمن ظلم مثل هذا الظلم ناصر ينصره.

﴿الْمُنْكَرَ﴾ الفظيع من التجهم والعبوس، أو الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام.

﴿وَلَسَطُوتٌ﴾ أي: يقعون ويبطشون من شدة الغيظ.

﴿النَّارُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، كأن قائلاً قال: ما هو؟ فقال: النار، أي: هو النار.

﴿وَمِن ذَٰلِكُمْ﴾ أي: من سطوكم على التالين للآيات وغيظكم عليهم، أو مما أصابكم من الغيظ والكراهة بسبب ما تلي عليكم.

﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ استئناف، أو تكون ﴿النَّارُ﴾ مبتدأ ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ خبره.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْتَأْذِنُوا
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
(٧٣) مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)
اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ

اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَوَلَى
 اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا
 وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ
 وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قُلَّةٌ أَيْسَئِلُكُمْ إِيْرَاهِيمُ هُوَ
 سَمَنَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
 عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
 وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

قد تسمى الصفة أو القصة الرائعة مثلاً لاستحسانها واستغرابها، تشبيهاً
 ببعض الأمثال التي سیرت لكونها مستحسنة عندهم.

وقرى: ﴿تَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ﴾ في محل نصب على الحال، كأنه قال: إن خلق الذباب
 يستحيل منهم مشروطاً عليهم اجتماعهم لخلقه، وهذا مبالغة في تجهيل قريش
 حيث وصفوا صوراً ممثلة يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله وأحقره
 ولو اجتمعوا لذلك بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على كل أجناس المقدورات،
 والإحاطة بجميع المعلومات.

و﴿الطَّالِبُ﴾ الذباب ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ الصنم، وقيل: بالعكس منه، والمعنى:
 ضعف السالب والمسلوب^(١)، وقيل: معناه: جهل العابد والمعبود^(٢).

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٧: ١٤١.

(٢) عن الضحاك. الكشف والبيان ج ٧: ٣٤.

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته، وما عظموه حق عظمتهم حيث جعلوا الأصنام شركاء له.

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي ﴾ هذا رد لإنكارهم من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رسل الله قد يكونون ﴿ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ ومن البشر. ثم ذكر أنه سبحانه عالم بأحوال المكلفين من مضي منهم ومن غير، فلا يعترض عليه في حكمه واختياره. أمر سبحانه بالصلاة التي هي أجلّ العبادات، ثم بغيرها من العبادات كالصوم والحج والزكاة، ثم بفعل الخيرات على العموم، وعن ابن عباس: (أَنَّ الْخَيْرَ) صلة الأرحام ومكارم الأخلاق^(١).

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: افعلوا هذا كله وأنتم طامعون في الفلاح، لا تتكلمون على أعمالكم. وعن عقبة بن عامر^(٢) قال: ((قلت: يا رسول الله، في سورة الحج سجدتان؟ قال: نعم، إن لم تسجدهما فلا تقرأهما))^(٣).

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾ أمر بالغزو، أو بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر، [كما روي أنه ﷺ رجع من بعض غزواته فقال: ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر))]^(٤)^(٥).

﴿ فِي اللَّهِ ﴾ أي: في ذات الله، ومن أجله.

(١) معالم التنزيل ج ٣: ٥٥.

(٢) عقبة بن عامر بن عيس الجهنني سكن مصر والياً عليها من قبل معاوية، توفي في آخر زمن معاوية. ينظر: الاستيعاب ج ٣: ١٠٦، معجم رجال الحديث ج ١٢: ١٧١.

(٣) سنن الدارقطني ج ١: ٤٠٨.

(٤) الكشف والبيان ج ٧: ٣٦. أمالي الصدوق: ٣٧٧.

(٥) ساقطة من ج.

﴿حَقَّ جِهَادُهُ﴾ كما يقال: هو حقّ عالم أي: عالم حقّاً، وكان القياس: حقّ الجهاد فيه أو حقّ جهادكم فيه، إلا أنّ الجهاد لما اختص بالله من حيث أنّه يفعل لوجهه ومن أجله جازت إضافته إليه، لأنّ الإضافة قد تكون بأدنى اختصاص، ويجوز أن يتسع في الظرف، كقول الشاعر:

وَيَوْمَ شَهِدْنَاهُ سَلِيماً وَعَامِراً^(١)

﴿أَجَبَبَكُمْ﴾ أي: اختاركم لدينه ولنصرته.

﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق، فلم يكلفكم ما لا تطيقونه، ورخص لكم عند الضرورات كالقصر والتميم، وجعل التوبة مخلصاً لكم من الذنوب، ونحوه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢). وفي الحديث: ((إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ))^(٣).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكُمْ﴾ نصب على الاختصاص، أي: أعني بالدين ملة أبيكم، أو بمضمون ما تقدّمها، كأنّه قال: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف، وجعل ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أباً للأمة كلها، لأنّ العرب من ولد إسماعيل، وأكثر العجم من ولد إسحاق، ولأنّه أبو رسول الله ﷺ وهو أب لأمته، فالأمة في حكم أولاده. ﴿هُوَ سَمَنَكُمُ﴾ الضمير لله تعالى أو لإبراهيم ﴿وَمِنْ﴾ قبل القرآن في سائر الكتب ﴿وَفِي هَذَا﴾ القرآن، أي: فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم.

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ بالطاعة والقبول ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَيَّ﴾

(١) الكتاب ج ١: ١٧٨ لرجل من بني عامر، وبقيته: قليل سوى الطعن النihal نوافله.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) مسند أحمد ج ٤: ٤١٠.

الأمم بأن الرسل قد بلغوهم، ومثله: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا...
الآية﴾^(١)، وقيل: شهيداً عليكم أنه قد بلغكم، وتكونوا شهداء على الناس بعدكم
بأن تبلغوا إليهم ما بلغه الرسول إليكم.

وإذ خصكم سبحانه بهذه الكرامة فاعبدوه وثقوا به وتمسكوا بدينه ﴿هُوَ
مَوْلَاكُمْ﴾ المتولي لأمركم، وهو خير مولى وناصر.

سورة المؤمنون

مكية، مائة وثمان عشرة آية كوفي، وتسع عشرة آية غيرهم، لم يعد الكوفي ﴿وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾.

في حديث أبي: ((من قرأها بشرته الملائكة بالروح والريحان يوم القيامة، وبها تقرّ به عينه عند نزول ملك الموت))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأها ختم الله له بالسعادة إذا كان يدمن قراءتها في كل جمعة، وكان منزله في الفردوس الأعلى مع النبيين والمرسلين))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٣٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٨.

﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

الفلاح: الظفر بالمراد، وقيل: البقاء في الخير^(١).

و﴿أَفْلَحَ﴾: دخل في الفلاح، كد(أبشر): دخل في البشارة.

والخشوع في الصلاة: خشية القلب والتواضع، وأضيفت الصلاة إليهم لأنهم المنتفعون بها، وهي عُدَّتْهم وذخيرتهم، والذي يصلّون له جلّ وتقدّس عن الحاجة إليها.

و﴿اللَّغْوِ﴾: ما لا يعينك من قول أو فعل كالهزل واللعب، والمعنى: إنهم شغلهم الجدّ عن الهزل والباطل وجميع المعاصي. ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة وصفهم عقيبه بالإعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك.

والزكاة: اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين: ما يخرج المزكي، والمعنى: فعله الذي هو التزكية، وهو المراد في الآية. وما من مصدر إلا وقد يعبر عن معناه بالفعل، ويقال لمحدثه: فاعل، كما يقال للضارب: فاعل الضرب، وأنشد لأمية بن أبي الصلت:

المُطْعِمُونَ الطَّعَامَ فِي السَّنَةِ الْأُ
زَمَةِ وَالْفَاعِلُونَ لِلزَّكَاةِ^(٢)

ويجوز أن يراد بالزكاة: العين على تقدير مضاف محذوف وهو الأداء، ويحمل البيت على هذا أيضاً.

﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ في موضع الحال، أي: الأولين على أزواجهم، والمعنى:

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٥.

(٢) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره: ١٦٥.

إِنَّهُمْ ﴿لَفَرُوحِهِمْ حَافِظُونَ﴾ في جميع الأحوال ﴿إِلَّا﴾ في حال تزوجهم أو تسريهم. ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى﴾ بمحذوف يدل عليه قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُلْمِئِينَ﴾ كآته قال: يلامون إلا على أزواجهم، أي: يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم ﴿فَلَيْتَهُمْ غَيْرَ مُلْمِئِينَ﴾ عليه.

﴿فَمَنْ أَتَبَعَى وَرَأَى ذَلِكَ﴾ أي: طلب سوى الأزواج والمملوكة.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الكاملون في العدوان المتناهون فيه.

قري: لأمانتهم و﴿لَا مَنَنْتَهُمْ﴾، وعلى صلاتهم و﴿صَلَوَاتِهِمْ﴾ على الواحد والجمع، وسَمِيَ الشيء المؤمن عليه [والمعاهد عليه أمانة وعهداً، ومثله: ﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾^(١)، ﴿وَنُحَوِّتُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾^(٢)، وإنما يؤدي المؤمن عليه^(٣) لا الأمانة نفسها، وكذلك الخيانة. ويحتمل العموم في كل ما اتتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله ومن جهة المخلوقين، والخصوص فيما حملوه من الأمانات للناس وعهودهم.

وكرر ذكر الصلاة، لأن في الأوّل وصفهم بالخشوع فيها، وفي الثاني وصفهم بالمحافظة عليها، وهو أن يؤدوها في أوقاتها ويراعوا أركانها.

﴿أُولَئِكَ﴾ الجامعون لهذه الصفات هم الأحقّاء بأن يسمّوا ورثاً دون من عداهم، ثم بين الوارثين بقوله: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾، وأنث ﴿الْفِرْدَوْسَ﴾ على تأويل الجنة.

(١) النساء: ٥٨.

(٢) الأنفال: ٢٧.

(٣) ساقطة من ج.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً
 فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
 مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ
 أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ
 بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ
 ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَلِنَا عَلَى ذَهَابٍ
 بِهِمْ لَقَدَرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَغْنَيْنَا لَكُمْ
 فِيهَا فَوْكَهُ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ
 تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾

السلالة: خلاصة تسل من بين الكدر، وعن الحسن: (ماء بين ظهراي الطين)^(١). والمعنى: ﴿خَلَقْنَا﴾ جوهر الإنسان أولاً ﴿مِنْ طِينٍ﴾ ثم جعلنا جوهره بعد ذلك ﴿نُطْفَةً﴾. و﴿مِنْ﴾ الأول للابتداء و﴿مِنْ﴾ الثاني للبيان.

والقرار: المستقر، يريد: الرحم، وصفها بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها، كقولهم: طريق سائر، أو بمكانتها في نفسها لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت. وقرئ: عَظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ، على الأفراد وعلى الجمع في الموضعين، وضع الواحد موضع الجمع لزوال اللبس، لأن الإنسان ذو عظام كثيرة.

أي: ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾ مبيناً للخلق الأول، حيث جعله حيواناً بعد كونه جهاذاً، وأودع كل جزء من أجزائه من عجائب فطرة وغرائب حكمة مالا يكتنه

بالوصف ﴿قَبَّارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى واستحقَّ التعظيم.

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: أحسن المقدِّرين تقديراً، فترك ذكر المميز لدلالة ﴿الْخَالِقِينَ﴾ عليه.

والطرائق: السماوات، لأنَّه طورق بعضها فوق بعض، وكل شيء فوقه مثله فهو طريقه، أو لأنَّها طرق الملائكة ومتقلباتهم، أو هي الأفلاك لأنَّها طرائق الكواكب وفيها مسائرهما.

﴿يَقْدِرُ﴾ أي: بتقدير يصلون به إلى المنفعة ويسلمون من المضرة، أو بمقدار ما علمنا من مصالحهم وحاجاتهم.

﴿فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ كقوله: ﴿فَسَلَكَهُ يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، وكما قدرنا على إنزاله فنحن قادرون على رفعه وإزالته، وقوله: ﴿عَلَى ذَهَابٍ﴾ يعني على وجه من وجوه الذهاب ﴿يَهْ﴾.

وخصَّ هذه الأنواع الثلاثة من جملة الأشجار لأنَّها أكرمها وأجمعها للمنافع، ووصف النخيل والأعناب بأنَّ ثمرهما جامع بين أمرين: إنَّه فاكهة يتفكه بها، وطعام يؤكل رطباً ويابساً، ولذلك أتى بالواو، والزيتون بأنَّ دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعاً.

﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على ﴿جَنَّتٍ﴾. وقرئ: ﴿سَيْنَاءَ﴾ بكسر السين وفتحها، فمن كسرهما فإنَّها يمنع الصرف للتعريف والعجمة أو للتأنيث لأنَّها بقعة، لأنَّ فعلاء - بكسر الفاء - لا يكون ألفه للتأنيث كألف صحراء.

وطور سيناء، وطور سينين لا يخلو: إما أن يكون مضافاً إلى بقعة اسمها

سيناء أو سينون، وإما أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه كامري القيس.

﴿بِالدَّهْنِ﴾ في موضع الحال، أي: تنبت وفيها الدهن، وقرئ: تنبت، وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون (أنبت) بمعنى (نبت) كما في بيت زهير:

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِيناً لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَتَبَتِ الْبَقْلُ^(١)

والآخر: أن يكون مفعوله محذوفاً، والمعنى: ينبت زيتونها، وفيه الزيت.

وَلَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكَّرَ مَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَفْعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقِرُوا لِي أُعْبِدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرِّضُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٥﴾

القصـد بـ ﴿الْأَنْعَامِ﴾ الإبل لأنها مقرونة بالفلـك التي هي السفن، فهي سفن البر. أي: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَفْعٌ﴾ من الركوب والحمل وغير ذلك، وفيها منفعة زائدة وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها.

﴿غَيْرُهُ﴾ بالرفع على المحل وبالجـر على اللفظ، والجملـة استئناف يجري مجرى التعليل للأمر بالعبادة.

﴿يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلب الفضل عليكم والرئاسة، ونحوه:

(١) شعر زهير بن أبي سلمى: ٤١.

﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِزْبَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

﴿بِهَذَا﴾ أي: ما سمعنا بمثل هذا الكلام، أو بمثل هذا الذي يدعي أنه رسول الله وهو ﴿بَشَرٌ﴾.

والجئة: الجنون أو الجن، أي: به جن يخبّلونه.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: اصبروا عليه إلى زمان، فإن أفاق من جنونه وإلا فاقتلوه.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ
كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ
وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ
أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ
﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلَ مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٠﴾

أي: ﴿انصُرْنِي﴾ بإهلاكهم بسبب تكذيبهم إياي، أو ﴿انصُرْنِي﴾ بدل ما كذبوني، كما يقال: هذا بذاك، أي: مكان ذاك وبدله. والمعنى: أبدلني من غم تكذيبهم النصرة عليهم، أو انصُرني بإنجاز ما وعدتهم من العذاب، وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بحفظنا وكلاءتنا، كان معه من الله حفظة يكلّونه بعيونهم لئلا يتعرض له، ومنه قولهم: عليه من الله عين كالثة.

(١) يونس: ٧٨.

(٢) الأعراف: ٥٩.

﴿وَوَحِّينَا﴾ أي: بأمرنا وتعليمنا إيتاك كيف تصنع. روي: أنه قيل لنوح عليه السلام: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب^(١).

وقيل: التنور: وجه الأرض، وقد مر ذكره وبيانه^(٢).

وسلك فيه: دخله، وسلك غيره وأسلكه بمعنى.

﴿وَلَا تَحْطِطْنِي﴾ أي: ولا تكلمني ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: في شأنهم، نهاه عن الدعاء لهم لكونهم ظالمين، ولأن الحكمة أوجبت إغراقهم ليكونوا عبرة للمعتبرين.

وكما نهى عن ذلك أمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم، ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أنفع له، وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الأرض عند خروجه منها ﴿مَنْزِلًا مُبَارَكًا﴾ يبارك له فيه، وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسلته، وهو قوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. وقرئ: منزلاً بمعنى: إنزالاً، أو موضع إنزال.

﴿وَلِنْ كُنَّا﴾ (إن) هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية. والمعنى: وإن الشأن والقصة كنا مبتلين، أي: مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم، أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا ليعتبروا.

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ
مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ

(١) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٥: ١٦٨.

(٢) راجع تفسير الآية: ٤٠ من سورة هود.

مِمَّا تَشْرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ
 ﴿٣٤﴾ أَيْدِكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ
 ﴿٣٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
 نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَىٰ
 اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا
 كَذَبْتُ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾

﴿قَرَأَ آخِرِينَ﴾ هم عاد قوم هود، لأنه المبعوث بعد نوح.

﴿إِنْ﴾ مفسرة لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي: قلنا لهم على لسان الرسول: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

﴿كَذَبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي: بقاء ما فيها من الحساب والجزاء.

﴿مِمَّا تَشْرُونَ﴾ منه، وحذف لدلالة ما قبله عليه، أو حذف الضمير والمعنى:

من مشروبكم.

﴿أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ في موضع الرفع بأنه فاعل فعل هو جزاء الشرط، كأنه

قال: أيعدكم أنكم إذا مِتُّم وقع إخراجكم؟. والجملة الشرطية في موضع رفع

بأنها خبر عن ﴿أَنْتُمْ﴾، أو كرر ﴿أَنْتُمْ﴾ للتأكيد، فيكون ﴿تُخْرَجُونَ﴾ خبراً عن

الأول، وحسن التكرير لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف، أو ارتفع قوله:

﴿أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ﴾ بالظرف على تقدير: أيعدكم أنكم وقت موتكم وكونكم ﴿تُرَابًا

وَعِظْمًا﴾ إخراجكم، ويكون الظرف مع ما ارتفع به خبراً لـ ﴿أَنْ﴾.

وقرئ ﴿هَيَّاتَ﴾ بالفتح والكسر، وعن الزجاج: (معناه: إنَّ البعد لما

توعدون)^(١)، فنزله منزلة المصدر، ويجوز أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو

بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما أَنَّ اللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾^(١) لبيان المهيت له.
 ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حِكَاؤُنَا﴾ ﴿هِيَ﴾ ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه،
 وأصله: إِنَّ الحياةَ إلا حياتنا الدنيا، ثم وضع ﴿هِيَ﴾ موضع الحياة لأنَّ الخبر يدلُّ
 عليها ويبيِّنُها، ومثله:

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ^(٢)

والمعنى: لا حياة إلا هذه الحياة.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض ويولد بعض، وينقرض قرن ويأتي قرن.
 ﴿قَلِيلٌ﴾ صفة للزمان، كقديم وحديث في قولك: ما رأيته قديماً ولا حديثاً،
 وفي معناه: عن قريب، و(ما) توكيد بمعنى: قلة المدة وقصرها.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُرَاءَ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 (١١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ (١٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا
 وَمَا يَسْتَخِرُونَ (١٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ
 فَاتَّبَعَنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٤)
 ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٥) إِلَى
 فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَلَّمْنَاهُ آيَاتِنَا (١٦) فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ
 بِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ (١٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنْ
 الْمُهْلَكِينَ (١٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (١٩) وَجَعَلْنَا
 ابْنَ مَرْيَمَ وَامَّةً آيَةً وَأَوَيْنَهُمَا إِلَى رِجْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٢٠)

(١) يوسف: ٢٣.

(٢) ديوان علي بن الجهم: ١٦٢، وبقيته: وللدهر أيام تجور وتعذل.

﴿الصَّبِيحَةُ﴾ صبيحة جبرائيل عليه السلام، صاح بهم فدمرهم ﴿يَا الْحَقَّ﴾ باستحقاقهم العذاب، أو بالعدل من الله.

والغناء: حميل السيل مما اسود وبلي من العود والورق، شبه دمارهم بذلك. ﴿فَبَعْدًا﴾ أي: سحقاً، وهو من المصادر الموضوعية مواضع أفعالها، أي: بعدوا وهلكوا، يقال: بَعُدْ بَعْدًا وَبَعْدًا، قال:

إِخْوَتِي لَا تَبْعُدُوا أَبَدًا وَبَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعْدُوا^(١)

و﴿الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بيان لمن دعي عليه بالبعد كما ذكرناه في ﴿لَمَّا تُوْعِدُونَ﴾^(٢).

﴿أَجَلَهَا﴾ الوقت الذي حد لها كها.

﴿تَتَرَّا﴾ فعل، والألف للتأنيث، أي: أرسلناها متواترة يتبع بعضهم بعضاً، واحداً بعد واحد، وقرئ: تترا - بالتثنية -، والتاء بدل من الواو.

وأضاف الرسل إلى نفسه هنا، وإلى أهمهم في قوله: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٣)، لأنَّ الإضافة تكون بالملابسة، والرسول يلبس المرسل والمرسل إليه جميعاً.

﴿فَاتَّبَعْنَا﴾ الأمم أو القرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾ في الإهلاك ﴿وَحَعَلْنَاهُمْ﴾ أخباراً يسمر بها.

والأحاديث: اسم جمع للحديث، ويكون جمعاً أيضاً للأحدوثة التي هي

(١) البيت لفاطمة بنت الأحجم الخزاعية. ديوان الحماصة: ٢٥٨ وفيه: اخوتنا لا تبعدوا....

(٢) الآية: ٣٦.

(٣) فاطر: ٢٥.

مثل الأعجوبة والأضحوكة، وهي ما يتحدث به الناس تعجباً، وهو المراد هنا.
والمراد بالسلطان الميين: العصا، لأنها كانت أم آيات موسى، وقد تعلقت بها معجزات شتى، كانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر يضر بها، فجعلت كأنها ليست بعضها، فعطفت عليها كقوله: ﴿جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١)، ويجوز أن يراد به الآيات أنفسها، أي: هي آيات وحجة ظاهرة بيّنة.
﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين، من قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، أو متطاولين على الناس ببيغهم وظلمهم.

﴿لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ﴾ لإنسانين خلقهما مثل خلقنا، والبشر يكون واحداً وجمعاً، و(مثل) و(غير) يوصف بهما الإثنان والجمع والمذكر والمؤنث، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِنْهُمُ﴾^(٣)، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٤)، ويقال أيضاً: هما مثلاه، وهم أمثاله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ﴾^(٥).

﴿وَقَوْمَهُمَا﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿عَبِيدُونَ﴾ أي: مطيعون لنا طاعة العبد لمولاه.

أي: أعطينا قوم موسى التوراة لكي يهتدوا إلى طريق الحق، ويعملوا بشرائعها.

﴿مَائَةً﴾ أي: حجة على قدرتنا على الاختراع، فهو مثل قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا

(١) البقرة: ٩٨.

(٢) القصص: ٤.

(٣) النساء: ١٤٠.

(٤) الطلاق: ١٢.

(٥) الأعراف: ١٩٤.

وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ^(١)، وذلك أَنَّ الآيةَ في كليهما واحدة، وهي: أَنَّ عيسى عليه السلام خلق من غير ذكر، ومريم حملت من غير فعل.

﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَىٰ رَبِّقَةٍ﴾ أي: وجعلنا مكانها ومأواها أرضاً مرتفعة، وهي أرض بيت المقدس، فإنها كبد الأرض، وأقرب الأرض إلى السماء، وقيل: فلسطين والرملة^(٢)، وقيل: هي حيرة الكوفة وسوادها^(٣).

والقرار: المستقر من أرض مستوية منبسطة. وعن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام: ((القرار: مسجد الكوفة، والمعين: الفرات))^(٤). وأصله الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض، واختلف في زيادة ميمه، فقيل: إنه مفعول من عانه: إذا أدركه بعينه، وقيل: إنه فعيل من الماعون وهو المنفعة، أي: نفاع لظهوره وجريه.

يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

قيل: إنه خطاب لنبيينا ﷺ^(٥)، وفيه إعلام بأن كل رسول في زمانه مأمور بذلك وموصى به.

(١) الأنبياء: ٩١.

(٢) عن أبي هريرة. تفسير الطبري ج ١٨: ٢٠.

(٣) تفسير القمي ج ٢: ٩١.

(٤) معاني الأخبار: ٣٥٥ عن علي عليه السلام، وكلامهم واحد. كامل الزيارات: ٤٨ عن الصادق عليه السلام.

(٥) عن الحسن وغيره. معالم التنزيل ج ٣: ٦١.

والمراد ب﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: ما طاب وحلّ، وقيل: هنا كل ما يستطاب ويستلذ من الأكل والفواكه^(١)، ويشهد لذلك مجيئه في إثر قوله: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. ويجوز أن يكون وقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الرُبُوع، فذكر على سبيل الحكاية، أي: آويناها وقلنا لهما هذا، فعلمهما أنّ الرسل كلهم خوطبوا به، فكلما رزقناكما واعملا صالحاً اقتداء بالرسول.

وقرئ: ﴿وَلِنَّ هَذِهِ﴾ بالكسر على الاستئناف، وأنّ - بالفتح - بمعنى: ولأنّ، وأن مخففة من الثقيلة، و﴿أَمْتَكُرُ﴾ مرفوعة معها.

وقرئ: ﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور، أي: كتباً مختلفة، يعني: جعلوا دينهم أدياناً، وقرئ: زُبْرًا، أي: قطعاً، استعيرت من زبر الفضة والحديد.

و﴿كُلُّ﴾ فرقة من فرق هؤلاء المختلفين الذين تقطّعوا دينهم فرح بباطله، معتقداً أنّه على الحقّ، راض بما عنده.

﴿فِي عَمْرَتِهِمْ﴾ أي: فيما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم، وأصل الغمرة: الماء الذي يغمر القامة، أو شبههم الله باللاعبين في الغمرة لما هم عليه من الباطل، قال ذو الرمة:

كَأَنِّي ضَارِبٌ فِي عَمْرَةٍ لَعِبُ^(٢)

﴿حَقَّ جِينٍ﴾ إلى أن يقتلوا أو يموتوا، أي: يحسبون هذه الأمداد مسارعة ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ومعالجة بالثواب قبل وقته، وليس ذلك إلا استدراجاً لهم إلى الهلاك.

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ١٥.

(٢) ديوان شعر ذي الرمة: ٧، وصدره: ليالي اللهو يطبيني فأتبعه.

﴿كل﴾ استدراك لقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ أي: بل هم أشباه البهائم لا فطنة لهم حتى يتأملوا ويتفكروا أهو استدراج أم مسارعة في الخيرات. والراجع من خبر (أن) إلى اسمه محذوف، والتقدير: نسارع به.

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ
مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكُلْ فَنَسًا إِلَّا وَسْعَهَا وَلَدَيْنَا
كِتَابٌ يَبْطِئُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِنْ هَذَا
وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا
مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَخْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مَنًا لَا
تُصْرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
نَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

﴿يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقة، وقيل: أعمال البر كلها^(١).

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ الصادق عليه السلام: ((أي: خائفة أن لا يقبل منهم))^(٢). وعنه عليه السلام: ((يؤتي ما آتى وهو خائف راج))^(٣). وعن الحسن: (المؤمن جمع إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وأمناً)^(٤)، لأنهم أو بـ ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ وحذف الجار، أي:

(١) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ١٨: ٢٥.

(٢) الكافي ج ٨: ٢٢٩.

(٣) كتاب الزهد: ٢٤، وفيه: خاش راج.

(٤) تفسير الطبري ج ١٨: ٢٥.

لإيقانهم بأنهم راجعون إلى الله وجلت قلوبهم، إذ لم يأمنوا التفریط.

﴿أُولَئِكَ يُدْرِعُونَ فِي الْحَيَاةِ﴾ أي: هم الذين يبادرون إلى الطاعات رغبة

منهم فيها.

﴿وَهُمْ لَهَا سَبِقُونَ﴾ أي: فاعلون سبق لأجلها، أو سابقون الناس لأجلها.

أي: وهذا الذي وصف به الصالحون ليس بخارج من حد الوسع والطاقة، وكل ما عمله العباد من التكاليف مثبت عندنا في كتاب ناطق بالحق، وهو صحيفة الأعمال يقرؤون فيه يوم القيامة ما هو صدق وعدل، لا زيادة فيه ولا نقصان، يوفون أجور أعمالهم.

﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقص من ثوابهم ولا يزداد في عقابهم، ولا يؤاخذون

بذنوب غيرهم.

﴿بَلْ قُلُوبُ الْكَفَّارِ﴾ (في غمرق) أي: غفلة غامرة لها ﴿مِنْ هَذَا﴾ أي: من

هذا الكتاب المشتمل على الوعد والوعيد وهو القرآن، أو من هذا الذي عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ﴿وَلَهُمْ أَجْمَلُ﴾ متجاوزة لذلك أي: لما وصف المؤمنون به ﴿هُمْ لَهَا﴾ معتادون، وبها مشغلون.

﴿حَقَّ﴾ يأخذهم الله ﴿وَالْعَذَابِ﴾: و(حتى) هذه هي التي يتبدأ بعدها الكلام،

والعذاب: قتلهم يوم بدر، أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: ((اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف))^(١)، فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقدر^(٢) والأولاد.

(١) سنن الدارمي ج ١: ٣٧٤، الفصول المختارة: ٢٢٥.

(٢) القدر - بالكسر -: سير يقد من جلد غير مدبوغ. (الصحيح: مادة قدد)

تجأرون أي: تصيحون وتصرخون باستغاثة، أي: يقال لهم حينئذ: ﴿لَا تَجْعُرُوا﴾ فَإِنَّ الْجَوَارَ غَيْرَ نَافِعٍ لَكُمْ ﴿إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ﴾ أي: لا تغاثون ولا تمنعون منا، أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة.

والضمير في ﴿بِهِ﴾ للبيت الحرام أو للحرم، والباء يتعلّق بـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، كانوا يستكبرون به على الناس ويفخرون بأنهم ولاته، أو يكون الضمير لآياتي لأنها في معنى كتابي، ومعنى استكبارهم بالقرآن: تكذيبهم به استكباراً، ضَمَنَ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ معنى مكذّبين فعديّ تعديته، أو استكبروا بسببه فلم يقبلوه، وعلى هذا فالوقف يكون على ﴿بِهِ﴾.

ويجوز أن يتعلّق الباء بـ ﴿سَمِعَ﴾ أي: يسمرون بالطعن في القرآن وتسميته سحراً أو شعراً، وبسب النبي ﷺ. والسامر: القوم الذين يسمرون ليلاً، ويجوز أن يتعلّق بـ ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أيضاً، أي: تهذون بذلك. فعلى هذين الوجهين يجوز الوقف على ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾. وقرئ: تهجرون - بضم التاء -، من أهرج الرجل في منطقته أي: أفحش، والهجر بالضم: الفحش، و﴿تَهْجُرُونَ﴾ بالفتح يجوز أن يكون معناه: تهجرون آياتي وكتابي فلا تنقادون له وتكذبون به، من الهجر بالفتح.

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَانَتْ لَهُمْ كُرْهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرْجًا فَقَرَّحَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَنَاكَ لَدَعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ

لَنَكْبُوْنَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْ رَحِمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٤﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٣﴾

﴿أَلْقَوْلُ﴾ القرآن، يقول: ﴿أَفَلَمْ﴾ يتدبروا القرآن ليعرفوا أنه الحق الدال على صدق نبينا، بل أجهلهم ﴿مَأْمُورٌ بِاتِّبَاعِهِمْ﴾ فلذلك استبدعوه وأنكروه، كما قال: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾^(١)، أو ليخافوا عند تدبر آياته مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ﴿أَمْرٌ جَاءَهُمْ﴾ من الأمن ﴿مَأْمُورٌ بِاتِّبَاعِهِمْ﴾ حيث خافوا الله فآمنوا به وأطاعوه، وآباؤهم: إسماعيل وأعقابه. وعن النبي ﷺ: ((لا تستبوا مضر ولا ربيعة فإتھما كانا مسلمين، ولا تستبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مرة فإتھم كانوا على الإسلام، وما شككتهم فيه من شيء فلا تشكوا في أن تبعاً كان مسلماً))^(٢).

﴿أَمْرٌ لَمْ يَعْرِفُوا﴾ محمداً وشرفه في نسبه وصدق لسانه وأمانته، وأنه كما قال أبو طالب في خطبته لنكاح خديجة: (لا يوزن برجل إلا رجع)^(٣).

﴿أَمْرٌ يَقُولُونَ بِهِ حِقَّةٌ﴾ أي: جنون وهم يعلمون أنه بريء منها، وأنه أرجح الناس عقلاً وأجلهم قدراً، وأتقنهم رأياً، ولكنه جاءهم بما خالف أهواءهم، ولم يوافق ما ألفوه ونشؤوا عليه، ولم يمكنهم دفعه لأنه الحق المبين، فعولوا على البهت من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر.

(١) يس: ٦.

(٢) أنساب الأشراف ج ١: ٣١ باختصار.

(٣) الكافي ج ٥: ٣٧٤، الكامل في اللغة والأدب ج ٤: ٤.

ثم عظم سبحانه شأن الحق بأن السماوات والأرض ومن فيهن لم يقم إلا به، ولو اتبع أهواءهم لانقلب باطلاً، ولذهب ما يقوم به العالم. ويجوز أن يكون المراد بالحق الإسلام، أي: ولو اتبع أهواءهم وانقلب شركاً لأهلك الله العالم، ولجاء بالقيامة ولم يؤخره، وعن قتادة: (الحق هو الله)^(١)، أي: لو اتبع الله أهواءهم وأمر بالشرك لما كان إلهاً.

﴿آتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بالكتاب الذي هو ذكرهم، أي: شرفهم وصيتهم وفخرهم، أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢).

وأصل الخرج والخراج واحد، وهو ما تخرجه إلى الإمام والعامل من أجرة أرضك، والخرج أخص من الخراج، يعني: أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير.

ألزمهم سبحانه الحجّة في هذه الآيات بأنّ الذي أرسله إليهم رجل معروف أمره، مخبور علانيته وسره، صالح لأن يصطفى للرسالة، جدير به، فإنّه لم يعهد منه إلا الصدق ووفور العقل والشهامة والأمانة حتى يدّعي النبوة بباطل، ولم يجعل ذلك ذريعة إلى استعطاء أموالهم، ولم يدعهم إلا إلى الصراط السوي الذي هو دين الإسلام، هذا مع إبراز المكنون من أدوائهم، وهو إخلالهم بالتدبّر، وشغفهم بتقليد الآباء للضلال من غير برهان، وتعللهم بأنّه مجنون بعد ثبات تصديقه من الله بالمعجزات والدلالات، وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر والشرف.

﴿لَنَنْكُرَهُنَّ﴾ أي: عادلون عن هذا الصراط المذكور.

(١) الكشف ج٣: ١٩٦.

(٢) الصافات: ١٦٨، ١٦٩.

ولما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق بالبيامة ومنع الميرة من أهل مكة، وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز - وهو دم القراد مع الصوف - جاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ فقال له: أنشدك بالله والرحم، ألسنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: بلى، قال: قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع^(١).

والمعنى: لو كشف الله تعالى عنهم هذا الضرّ - وهو الهزال والقحط الذي أصابهم - برحمته عليهم ووجدوا الخصب، لرجعوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار، ولتمادوا في غوايتهم يترددون. واستشهد على ذلك بأننا أخذناهم بالسيوف، وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسروهم، فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرّع، حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو ألم العذاب وأشدّ من الأسر والقتل، فألبسوا الساعة وخضعت رقابهم، وجاء أعتاهم في العناد والاستكبار يستعطفك، أو محتّاهم بكل محنة من الجوع والقتل فما رئي منهم لين قياد وهم كذلك حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحيثنذ ييلسون، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٢).

والإبلاس: اليأس من كل خير، وقيل: هو السكون مع التحير^(٣)، واستكان: هو استفعل من الكون، أي: انتقل من كون إلى كون، كاستحال: إذا انتقل من حال إلى حال، أو هو افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه، كما قيل:

بِمُتَّزَاحٍ^(٤)

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٥٣.

(٢) الروم: ١٢.

(٣) معاني القرآن وإعراجه ج ٤: ٢٠.

(٤) ديوان إبراهيم بن هرمة: ٨٧، وقامه: وأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنترّاح.

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾
 وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
 وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ
 قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
 وَعِظْمًا إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ
 إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا
 إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾
 قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَكَاتِ السَّائِجِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِوُكُم ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن يَدِيرُ
 كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَنشَأْنَهُم بِالْحَقِّ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

إِنَّمَا خَصَّ ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ
 وَالدُّنْيَوِيَّةِ مَا لَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِهَا، وَإِحْدَى مَنَافِعِهَا أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَأَفْعَالِهِ، فَيَسْتَدَلُّوا بِذَلِكَ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَيَشْكُرُوا نِعْمَهُ، فَإِنَّ مَقْدَمَةَ شُكْرِ النِّعْمَةِ
 الْإِقْرَارُ بِالنِّعْمِ بِهَا، وَأَنْ لَا يَجْعَلَ مَعَهُ شَرِيكَ.

[﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾] ^(١) أَي: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ شُكْرًا قَلِيلًا، وَ﴿مَا﴾ مَزِيدَةٌ
 لِلتَّكِيدِ.

وَمَعْنَى ﴿ذَرَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُمْ وَبَثَّكُمْ بِالتَّنَاسُلِ ﴿وَإِلَيْهِ﴾ تَجْمَعُونَ بَعْدَ
 تَفَرُّقِكُمْ.

﴿وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: هو المختص به، وهو يتولاه ولا يقدر على تصريفهما غيره. وقرئ: أفلا يعقلون - بالياء ..

﴿بَلْ قَالُوا﴾ أي: قال أهل مكة كما ﴿قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ المنكرون للحشر.

والأساطير: جمع أسطورة، وهي ما كتبه الأولون وسطروه مما لا حقيقة له.

ثم احتج عليهم بما فيه تجهيل لهم، والمراد: أجيوني عما استعملتكم فيه إن كان عندكم فيه علم ﴿أَفَلَا﴾ تتذكرون فتعلموا أنّ من فطر الأرض ومن فيها من العقلاء وغيرهم، كان قادراً على الإعادة إذ ليس ذلك بأعظم منه، وكان حقيقاً بأن لا يشرك به في الإلهية بعض مخلوقاته.

قرئ الأول ﴿لِلَّهِ﴾ باللام، وفي الآيتين بعده باللام وغير اللام، لأنّ قولك: (من ربّه) و(لمن هو) في معنى واحد.

﴿أَفَلَا تَنْفَعُونَ﴾ أي: أفلا تخافونه! فلا تشركوا به.

يقال: أجار الرجل فلاناً على فلان أي: أغاثه منه ومنعه، أي: من يجير من يشاء على من يشاء ولا يجير عليه أحد من أراده بسوء.

﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ أي: فكيف تخدعون عن توحيدهِ ويموّه عليكم؟! كما

قال امرؤ القيس:

أَرَأَنَا مُوضَعِينَ لِحُثْمٍ غَيْبٍ وَتَسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ^(١)

أي: نخدع، والخداع هو الشيطان، أو الهوى.

﴿بَلْ﴾ جنتاهم ﴿وَالْحَقِّ﴾ بأنّ الشرك باطل، ونسبة الولد إليه محال ﴿وَأَنَّهُمْ

لَكَذِبُونَ﴾ بادعائهم الشرك ونسبتهم إليه الولد.

مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ
بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ
﴿١١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ
رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيدَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿١٥﴾ ادْفَعْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَقُلْ رَبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ
﴿١٨﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي
أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ
بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾

﴿إِذَا﴾ تكون جزاء وجواباً لكلام متقدم، وهاهنا شرط محذوف، والتقدير:
ولو كان معه آلهة ﴿لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لانفرد كل واحد من الآلهة بما
خلقه من الخلق واستبد به، ولرايتم ملك كل واحد من الآلهة متميزاً من ملك
الآخرين، ولغلب بعضهم بعضاً، كما أنّ ملوك الدنيا يتغالبن ويطلب بعضهم قهر
بعض، وممالكهم متمايزة، فحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك وللتغالب فاعلموا أنّه إله
واحد منزّه ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من الأولاد والأنداد.

قري: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾ بالجر صفة ل(الله)، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف.

والنون و(ما) مؤكدتان، ل(أن) أي: إن كان لا بد أن تريني ما وعدوه من
العذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ فيهم، وأخرجني من بينهم إذا
أردت إحلال العذاب بهم. وعن الحسن: (أخبره الله سبحانه أنّ له في أمته نقمة،

ولم يخبره في حياته هي أم بعد وفاته، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء^(١). وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله: أَنَّهُ ﷺ قال في حجة الوداع وهو بمنى: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفني في كتيبة يضاربونكم، فغمز من خلفه منكبه الأيسر، فالتفت فقال: أو عليّ)) فنزلت الآيات^(٢).

وقوله: ﴿رَبِّ﴾ مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء، حث على فضل تضرع وجوار وإننا لقادرون على إنجاز ما نعدهم، ولكن نظرهم ونمهلهم.

﴿أَدْفَعْ﴾ السيئة بالحسنى، وهو الصفح عنها ومقابلتها بالإحسان ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا﴾ يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها أو بوصفهم وسوء ذكرهم، وأقدر على جزائهم.

﴿أَعُوذُ بِكَ﴾ أي: أعتصم بك ﴿مِنَ﴾ نزغات ﴿الشَّيَاطِينِ﴾ والهمز: النخس، ومنه: مهراز الرائض. والشياطين يحثون الناس على المعاصي كما تهمز الراضة الدواب يحثونها على المشي، ونحوه: ﴿تَوَزُّؤُهُمْ أَرَا﴾^(٣). فأمر عز اسمه بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المتضرع إلى ربه المكرر لندائه، وبالتعوذ من أن يحضروه أصلاً ويشهدوه، وعن ابن عباس: (عند تلاوة القرآن)^(٤)، وعن عكرمة: (عند النزاع)^(٥). والأظهر أَنَّهُ في الأحوال كلها حتى يتعلّق بـ ﴿يَصِفُّونَ﴾ أي: لا يزالون

(١) الكشف ج ٣: ٢٠١.

(٢) شواهد التنزيل ج ١: ٤٠٣.

(٣) مريم: ٨٣.

(٤) الكشف ج ٣: ٢٠٢.

(٥) الكشف ج ٣: ٢٠٢.

على سوء الذكر إلى هذا الوقت.

﴿أَرْجِعُونِ﴾ خطاب لله تعالى بلفظ الجمع للتعظيم، إذا أيقن بالموت تحسر على ما فرط فيه فسأل ربه الرجعة وقال: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ في الذي تركته من المال، وفيما ضيعته من الطاعات، وقيل: هو في الزكاة^(١). وسئل الرضا عليه السلام: ((أيعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن أنه لو كان كيف كان يكون؟ فقال: أما قرأت قوله عز اسمه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢)، وفي موضع آخر: ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فقد عرف الشيء الذي لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وقوله سبحانه - يحكي قول الأشقياء -: ﴿رَبِّ اَرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣) فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون^(٤).

و﴿كَلَّا﴾ معناه: ردع عن طلب الرجعة، وإنكار واستبعاد ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ بلسانه لا حقيقة لها، أو هو قائلها وحده لا تسمع منه. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ والضمير للجماعة، أي: أمامهم حائل وحاجز بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث من القبور.

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ
 (١١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٢) وَمَنْ
 خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ

(١) عن الصادق عليه السلام: ثواب الأعمال: ٢٣٥.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

(٣) الأنعام: ٢٨.

(٤) كتاب التوحيد: ٣١ باختلاف يسير.

خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُم نَارًا وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِنَا نُنْزِلُ عَلَيْكُمْ فِكْرًا مِمَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءً حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

﴿فَلَا أَصَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يتواصلون بالأنساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضاً، أو يفرقون معاقبين ومثابين. وعن النبي ﷺ: ((كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي))^(١).

﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وخبره، لشغل كل واحد منهم بنفسه، وأما قوله: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾^(٢)، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٣) فقد سئل عنه ابن عباس فقال: (هذه تارات يوم القيامة)^(٤)، يعني: إن للقيامة أحوالاً مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها، ويشغلهم عظم الهول عن المسألة في بعضها.

والموازنين: جمع موزون، وهي الموزونات من الأعمال التي لها قدر ووزن عند الله.

(١) شواهد التنزيل ج: ١، ٥٣٠، أمالي الشيخ الطوسي ج: ١، ٣٥٠.

(٢) يونس: ٤٥.

(٣) الصافات: ٢٧.

(٤) معالم التنزيل ج: ٣، ٦٤.

وقوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ بدل من ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، أو يكون خبراً لـ ﴿أُولَئِكَ﴾ بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿تَلْفَحُ﴾ أي: يصيب وجوههم لفح النار، وعن الزجاج: (اللفح والنفح واحد، إلا أن اللفح أشد تأثيراً)^(١). والكلوح: أن تنقلص الشفتان عن الأسنان.

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ أي: ملكتنا، من قولهم: غلبني فلان على كذا إذا أخذه منه. وقرئ: ﴿شَقَوْنَا﴾ وشقاوتنا ومعناها واحد، وهو سوء العاقبة الذي استحقوه بسوء أعمالهم.

﴿اِخْسَوْا فِيهَا﴾ أي: ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا زجرت، يقال: خسئ الكلب فخساً، لازم ومتعد، ولا تكلّموني في رفع العذاب فإنه لا يرفع.

﴿سَخِرْنَا﴾ قرئ بضم السين وكسر ها، وهو مصدر سخر كالسخر، إلا أن في الباء زيادة قوة في الفعل، وقيل: إن المكسور من الهزء، والمضموم من السخرة والعبودية^(٢)، أي: سخرتموهم واستعبدتموهم ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم﴾ بتشاكلهم بهم عن تلك الصفة ﴿وَذَكَّرَىٰ﴾ فتركتموه، أي: تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي.

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِرُونَ ﴿١٣١﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١٣٢﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَنُِل الْعَادِينَ ﴿١٣٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٣٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٢٣.

(٢) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١٨: ٤٧.

الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ
لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

قرئ: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بفتح الهمزة وكسر ها، فالفتح على أنه مفعول ﴿حَزَبَتْهُمْ﴾،
والكسر استئناف، أي: قد فازوا حيث صبروا فجزوا أحسن الجزاء بصبرهم.

والضمير في ﴿قُلْ﴾ الله تعالى، أو للسائل عن لبثهم، وقرئ: (قل) في
الموضعين على معنى: قل أيها السائل عن لبثهم. استقصروا مدة لبثهم في الدنيا
بالإضافة إلى خلودهم في النار، أو لم يشعروا بطول لبثهم في القبور لكونهم أمواتاً،
أو لأن المنقضي في حكم ما لم يكن. وصدقهم الله في تقللهم لسني لبثهم في الدنيا،
ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها.

والمراد بـ﴿الْعَادِينَ﴾: الملائكة، [لأنهم أحصوا أعمال العباد وأيامهم، وقيل:
هم الحساب^(١)، أي: فاسأل الملائكة]^(٢) الذين عدوا أعمار الخلق، أو من يقدر أن
يلقي فكره إلى العد فإننا لا نعرف عدد تلك السنين إلا أن نستقلها ونحسبها ﴿يَوْمًا
أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

﴿عِبَادًا﴾ حال، أي: عابدين، أو مفعول له، أي: ما ﴿خَلَقْنَكُمْ﴾ للعبث
بل للحكمة التي اقتضته، وهي أن نتعبدكم ونكلفكم الطاعات ثم نعيدكم في دار
الجزاء لنثيب ونعاقب، وقرئ: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بفتح التاء.

و﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الذي لا يزول، أو الذي يحق له الإلهية والملك فلا

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ١٨: ٤٩.

(٢) ساقطة من ج.

يزول ملكه، وكل ملك غيره فملكه مستعار، وإنَّها يملك بعض الأشياء من بعض الوجوه، وهو ﴿الْمَلِكُ﴾ المالك لجميع الأشياء من جميع الوجوه.

ووصف العرش بالكرم لأنَّ الرحمة تنزل منه، وينال الخير والبركة من جهته، ولنسبته إلى أكرم الأكرمين.

﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة لازمة، نحو قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾^(١) جيء بها للتوكيد، أو هو اعتراض بين الشرط والجزاء، كما يقال: من أحسن إلى فلان لا أحق بالإحسان منه، فالله مثيبه.

سورة النور

مدنية، أربع وستون آية.

في حديث أبي: ((من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيها مضي))^(١)، الصادق عليه السلام: ((حصنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة (سورة النور) (...))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي
دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا
إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

﴿سُورَةُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ موصوف بـ ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ والخبر محذوف
أي: فيما يتلى عليكم ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا﴾. وقرئ في الشواذ: سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا - بالنصب -
على زيدا ضربته. و ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ تفسير للفعل المضمر، أو على اقرأ سورة و ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٦٢.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٩.

صفة.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: فرضنا أحكامها التي فيها، أي: جعلناها واجبة مقطوعاً بها، وأصل الفرض القطع. وقرئ: فَرَضْنَاهَا - بالتشديد. وهو للتوكيد والمبالغة في الإيجاب، أو لأنّ فيها فرائض شتى، تقول: فرضت الفريضة وفرضت الفرائض. وقرئ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتشديد الذال وتخفيفها.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ رفعهما على الابتداء، والخبر محذوف، والتقدير: فيما فرض عليكم الزانية والزاني أي: جلدهما، ويجوز أن يكون الخبر ﴿فَلْيَجْلِدُوا﴾ لأنّ الألف واللام بمعنى (الذي)، والتقدير: الذي زنا والتي زنت فاجلدوهما، كما تقول: من زنا فاجلدوه.

والجلد: ضرب الجلد، تقول: جلده كما تقول: ظهره وبطنه وركبه، وهذا حكم من ليس بمحصن من الزناة الأحرار البالغين، فأما المحصن فحكمه الرجم. وقرئ: رافة - بفتح الهمزة، والمعنى: إنّ الواجب على المؤمنين أن يستعملوا الجِد في دين الله، ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده، وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من باب التهيج وإلهاب الغضب لله ولدينه. وقيل: معناه: ﴿لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا﴾ رحمة تمنعكم عن إقامة الحدّ عليها فتعطلوا الحدود، أو من الضرب الشديد، بل أوجعوهما ضرباً ولا تخففوا كما يخفف في حدّ الشارب.

والرجل يجلد قائماً على حالته التي وجد عليها ضرباً وسطاً مفرقاً على الأعضاء كلها، لا يستثنى منها إلا ثلاثة: الوجه والرأس والفرج. وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنّه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم. والمرأة تجلد قاعدة عليها ثيابها قد ربطت عليها حتى لا تبدو عورتها.

وفي تسميته عذاباً دليل على أنّه عقوبة، ويجوز أن يسمّى عذاباً لأنّه يمنع من

المعاودة كما يسمّى نكالاً.

والطائفة: الفرقة الحاقفة حول الشيء، وهم ثلاثة فصاعداً، وهي صفة غالبية، وعن الباقر عليه السلام وابن عباس والحسن وغيرهم: أَنَّ أَقْلَهَا رَجُلٌ وَاحِدٌ^(١). وينبغي أن لا يشهد إلا خيار الناس.

الفاسق: الذي من شأنه الزنا، لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء اللاتي على خلاف صفته، وإنّما يرغب في زانية مثله أو مشركة، وكذلك الزانية المسافحة المشهورة بذلك لا يرغب في نكاحها الصالحاء من الرجال وينفرون عنها، وإنّما يرغب فيها من هو من شكلها.

وإنّما قرن سبحانه بين الزاني والمشرّك تفخيماً لأمر الزنا واستعظاماً له، ومعنى الجملة الأولى: وصف الزاني بكونه غير راغب في العفاف لكن في الزواني، ومعنى الجملة الثانية: وصف الزانية بكونها غير مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة، وبينهما فرق.

وإنّما قدّمت الزانية على الزاني في الأولى، لأنّ الآية مسوقة لعقوبتهما على جنائيهما، والمرأة منها منشأ الجناية وهي الأصل والمادة في ذلك، ثمّ قدّم الزاني عليها في الثانية، لأنّ الآية مسوقة لذكر النكاح، والرجل هو الأصل فيه والمخاطب، ومنه مبدأ الطلب.

وحرّم الزنا ﴿وَحَرَّمَ﴾ نكاح المشهورات بالزنا ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

(١) ينظر: الدر المنثور ج ٥: ١٨، تهذيب الأحكام ج ١٠: ١٥٠.

ذكر سبحانه حدّ الزنا، ثم ذكر حدّ القذف بالزنا، أي: يقذفون العفاف من النساء بالزنا والفجور.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ﴾ عدول يشهدون بأنهم شاهدوهن يفعلن ذلك ﴿فَاجْلِدُوهُنَّ﴾ والواجب أن يحضروا في مجلس واحد، فإن جاؤوا متفرقين كانوا قذفة.

ويقضي نظم الآية أن تكون هذه الجمل الثلاث بأجمعها جزاء للشرط، فيكون التقدير: من قذف المحصنات فاجلدوهم وردّوا شهادتهم وفسقوهم، أي: فاجمعوا لهم الجلد وردّ الشهادة والتفسيق.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن القذف ﴿وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ﴾ يغفر لهم، فلا يجلدون ولا تردّ شهادتهم ولا يفسقون.

والأبد: اسم لزمان طويل انتهى أولم ينته، فإذا تاب القاذف قبلت شهادته، سواء حدّ أولم يحدّ، عن أئمة الهدى (عليه السلام) وابن عباس (رضي الله عنه)، وهو مذهب الشافعي (٣). ومن شرط توبة القاذف أن يكذب نفسه، فإن لم يفعل ذلك لم تقبل شهادته.

وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ
أَرْبَعٌ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ① وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعَنْتُ
اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ② وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ
شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ③ وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ④ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ، وَأَنَّ
اللَّهِ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ⑤

(١) ينظر: الوسائل ج ١٨ باب ٣٦ من أبواب الشهادات.

(٢) الدرر المشور ج ٥: ٢١.

(٣) كتاب الأم ج ٧: ٨١.

روي: أنه لما نزلت آية القذف قام عاصم بن عدي الأنصاري^(١) فقال: يا رسول الله، إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بها رأى جُلدَ ثمانين! وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى، قال: كذلك أنزلت يا عاصم. فخرج فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن أمية يسترجع، فقال: ما وراءك؟ قال: شرّ، وجدت على بطن امرأتي خولة شريك بن سمحاء، فقال: هذا والله سؤالي، فرجعا، فأخبر عاصم رسول الله، فبعث إليها فقال: ما يقول زوجك؟ فقالت: لا أدري، الغيرة أدركته أم بخلاً على الطعام، وكان شريك نزيلهم، فنزلت الآيات ولاعن بينهما^(٢). وقرئ: أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ - بالنصب - لأنه في حكم المصدر الذي هو ﴿شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ وهي مبتدأ محذوف الخبر، فيكون التقدير: فواجب أن يشهد أحدهم أربع شهادات، ويكون ﴿بِالله﴾ من صلة ﴿شَهَادَتَيْ﴾، وفي الرفع يكون ﴿أَرْبَعَ شَهَادَتَيْ﴾ خبراً.

وقرئ: أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَأَنْ غَضَبُ اللَّهِ على تخفيف (أن) ورفع ما بعدهما. وقرئ بنصب الخامسة الثانية على معنى: وتشهد الخامسة.

وصفة اللعان: أن يوقف الرجل بين يدي الحاكم والمرأة عن يمينه، فيقول الرجل أربع مرات: أشهد بالله أنني لمن الصادقين فيما ذكرته من الفجور عنها، ثم يقول في المرة الخامسة: لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به. ويدفع عن المرأة العذاب - وهو حد الزنا - أن تقول: أشهد بالله أنه لمن الكاذبين فيما قذفني به، أربع مرات، مرة بعد أخرى، وتقول في الخامسة: غضب الله عليّ إن كان من

(١) عاصم بن عدي بن الجذع العجلاني الأنصاري، شهد أحداً وما بعدها، قيل: إنه مات سنة ٤٥ هـ عن

١١٥ سنة. ينظر: الإصابة ج ٢: ٢٤٦.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ج ٧: ٧٠.

الصادقين فيما قذفني به. ثم يفرق الحاكم بينهما، ولا تحل له أبداً، وكان عليها العدة من وقت اللعان. وإن نكل الرجل عن اللعان قبل استكمال الشهادات وجب عليه حد القذف.

وجواب ﴿لَوْلَا﴾ متروك، وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَلَوْلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكِ وَتَقُولُونَ بَأْوَهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مَبْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

الإفك: أبلغ الكذب، وأصله من الإفك وهو القلب، لأنه قول مأفوك عن وجهه، والمراد: ما أفك به على عائشة وصفوان بن المعطل. والعصبة: الجماعة من العشرة إلى أربعين، وكذلك العصابة، واعصو صبوا: اجتمعوا، وهم: عبد الله بن

أبيّ - وهو الذي ﴿تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ أي: إثمه ،، ومسطح بن أثاثه، وحسان بن ثابت، وحمّنة بنت جحش ومن ساعدتهم.

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ﴾ من تلك العصبة نصيبه ﴿مِنَ الْإِثْمِ﴾ على مقدار خوضه في الإفك، والعذاب العظيم لابن أبيّ، لأنّ معظم الشرّ كان منه، يشيع ذلك في الناس ويقول: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها، والله ما نجت منه ولا نجا منها.

والخطاب في قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لعائشة وصفوان لأنّهما المقصودان بالإفك، ولمن ساءه ذلك من المؤمنين ولكل من رمي بسبب، ومعنى كونه خيراً لهم: إنّ الله تعالى يعوّضهم بصبرهم.

وكان سبب الإفك: أنّ عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة، فرجعت طالبة له، وحمل هودجها على بعيرها ظناً منهم أنّها فيه، فلما عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا، وكان صفوان من وراء الجيش، فلما وصل إلى ذلك الموضع وعرفها أناخ بعيره حتى ركبته وهو يسوقه حتى أتى الجيش وقد نزلوا في قائم الظهيرة. كذا رواه الزهري عن عائشة^(١). وقرئ: كُبْرُهُ - بضم الكاف ،، أي: عظمه.

﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ أي: بالذين هم كأنفسهم، لأنّ المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة. ونحوه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾^(٢)، و﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾^(٣)، وقيل: معناه:

(١) سيرة ابن هشام ج ٣: ٣٠٩-٣١١.

(٢) الحجرات: ١١.

(٣) النور: ٦١.

هلا ظننتم ما تظنون به بأنفسكم لو خلوتم بها^(١)، ولم يقل: ظننتم بأنفسكم خيراً، عدولاً عن المضمّر إلى المظهر، وعن الخطاب إلى الغيبة، ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات. ويدلّ على أنّ الاشتراك في الإيذان مقتضى أن لا يصدّق مؤمن على أخيه قول غائب، وموجب أن يصرّح ببراءة ساحته وتكذيب قاذفه.

﴿لَوْلَا﴾ الأولى والثانية للتحضيض، وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: ولولا أنّي حكمت بأن أنفضل عليكم في الدنيا والآخرة، لعاجلتكم بالعقاب فيما خضتم فيه. يقال: أفاض في الحديث واندفع وخاض.

﴿إِذْ﴾ ظرف ﴿لَسَكْرٌ﴾ أول ﴿أَفْضَرُ﴾.

﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ يأخذه بعضهم من بعض، يقال: تلقى القول وتلقنه وتلقفه بمعنى، والأصل تتلقونه، وصفهم بارتكاب آثام ثلاثة، وعلّق مس العذاب العظيم بها: وهو التحدّث منهم به حتى انتشر وشاع، وقولهم بأفواههم ما لا علم لهم به، واستحقارهم لذلك.

وفصل بين ﴿لَوْلَا﴾ و﴿قُلْتُمْ﴾ بالظرف لفائدة، وهي بيان أنّه كان يجب عليهم أول ما سمعوا أن يتفادوا عن التكلّم به، فكان ذكر الوقت أهم، فوجب تقديمه.

﴿سُبْحَنَكَ﴾ فيه تعجب من عظم الأمر، أو تنزيه الله من أن تكون زوجة نبيه فاجرة.

﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ﴾ في ﴿أَنْ تَعُودُوا﴾ من قولك: وعظت فلاناً في كذا فتركه، أو كراهة أن تعودوا أبداً، أي: ما دمتم أحياء مكلفين.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تبيح لهم، وتذكيرهم بما يوجب ترك العود، وهو اتصافهم بالإيمان الصارف عن القبيح.

﴿تَتَّبِعْ أَفْوَحْشَةً﴾ أي: تشيعونها عن قصد إلى الإشاعة ومحبة لها.

وعذاب الدنيا: الحد ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في القلوب من الأسرار.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾

﴿مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ أي: ما طهر أحد منكم من وسوسة الشيطان، لكنه سبحانه

يطهر بلطفه من يشاء، وهو من له لطف يفعل به ليزكو عنده ويصلح به.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يحلف، وهو افتعال من الألية، وقرئ: ولا يتأل، وعن

الزجاج: (يريد أن لا يؤتوا فحذف (لا))^(١)، والمعنى: لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى من يستحق الإحسان.

﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾ أولو الغنى ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ في المال، وقيل: معناه: لا

يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم إحنة لجنابة اقترفوها^(١)، من قولهم: ما ألوت جهداً، إذا لم تدخر منه شيئاً. نزلت في شأن مسطح، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان فقيراً، وكان أبو بكر ينفق عليه، فلما خاض في الإفك حلف أن لا ينفق عليه^(٢). وقيل: نزلت في جماعة من الصحابة حلفوا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ولا يواسوهم^(٣).

﴿الْعِفْلَتِ﴾ عن الفواحش.

وقرئ: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ بالتاء والياء.

والدين: الجزاء، و﴿الْحَقُّ﴾ صفة للدين، أي: يوفيهم الجزاء الحق الذي هم أهله.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ أي: العادل، الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه.

الْمُتَيْبِتُ لِلْخَيْثُورِ وَالْخَيْثُورُ لِلْخَيْثُورِ وَالْطَّيِّبَةُ لِلطَّيِّبِينَ
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَةِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦١﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَنَا
غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا
تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْجِعُوا فَأَنْجِعُوا هُوَ

(١) عن محمد بن بحر. تفسير الماوردي ج ٤: ٨٣.

(٢) أسباب النزول: ٢٢٧.

(٣) تفسير الطبري ج ١٨: ٨٢.

أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

﴿الْمُحَيَّثَاتُ﴾ من الكلم تقال أو تعدّ للخبيثين من الرجال والنساء
﴿وَالْمُحَيَّثُونَ﴾ منهم يتعرضون للخبيثات من القول، وكذلك الطيبات
والطيبون، و﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الطيبين، وأنهم ﴿مُبْرَأُونَ﴾ مما يقول الخبيثون
من خبيثات الكلم. ويجوز أن يكون المراد بالخبيثات والطيبات النساء، أي:
الخباثت يتزوجن الخباث، والخباث الخباثت، فكذلك أهل الطيب.

﴿حَقَّقَ تَسْتَأْنِسُوا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنّه من الاستئناس، خلاف
الاستيحاش، لأنّ الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا، فهو كالمستوحش
لخفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس، فالمعنى: حتى يؤذن لكم، فهو كقوله: ﴿لَا
تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(١)، فوضع الاستئناس موضع الإذن، لأنّ
الاستئناس يرادف الإذن.

والثاني: أنّه استفعال من أنس الشيء: إذا أبصره مكشوفاً، والمعنى: حتى
تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا؟ ومنه قولهم: استأنست فلم
أر أحداً، أي: استعلمت وتعزّفت، ومنه قول النابغة:

عَلَىٰ مُسْتَأْنِسٍ وَحِدٍ^(٢)

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٣١، وصدره: كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذى الجليل ...

وعن أبي أيوب الأنصاري^(١): ((قلنا: يا رسول الله، ما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبير، ويتنحج، يؤذن أهل البيت، والتسليم: أن يقول: السلام عليكم، أَدْخَلَ، ثلاث مرات. فإن أذن له وإلا رجع))^(٢).

﴿ذَلِكُمْ﴾ الاستئذان والتسليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تحية الجاهلية وهو قولهم: حيتم صباحاً أو مساءً، ومن الدخول بغير إذن.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: أنزل عليكم هذا إرادة أن تتعظوا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ من الآذنين [﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾] واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم، أو إن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها لأنه تصرف في ملك غيرك^(٣)، فلا بد أن يكون برضاه.

﴿فَاتَّجِعُوا﴾ ولا تقفوا على الأبواب منتظرين، ولا تلحوا في تسهيل الحجاب. ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ الرجوع أظهر لكم، لما فيه من السلامة والبعد عن الريبة لكم، وأنفع لكم وأمنى خيراً. ثم أوعد المخاطبين بأنه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما يأتون وما يذرون، فيجازي بحسب ذلك.

ثم استثنى من البيوت التي لا يجب على داخلها الاستئذان: ما ليس بمسكون منها نحو: الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت الباعة والأرحية والحمامات.

(١) أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، شهد العقبة وسائر المشاهد مع النبي ﷺ وعليه نزل النبي حين قدومه المدينة، شهد مع الإمام علي عليه السلام حروبه كلها، مات بالقسطنطينية زمن معاوية وقبره هناك. ينظر: الإصابة ج ١: ٤٠٥، معجم رجال الحديث ج ٧: ٢٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ٦: ١٣٢.

(٣) ساقطة من ج.

والمشاعر: المشاعر هي الخبرات المعطلة يتبرز فيها، والمشاعر: التبرز^(١).

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الذَّيِّبِ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿مَنْ﴾ للتبعية، والمراد: غَضَّ البصر عما يحرم، والاقتصار به على ما يحلّ. ويجوز عند الأخفش أن يكون (مَنْ) مزيدة^(٢)، ولم يجزه سيبويه^(٣). الصادق عليه السلام: ((حفظ الفروج عبارة عن التحفظ من الزنا في جميع القرآن إلا هنا، فإن المراد به السر حتى لا ينظر إليها أحد، ولا يحلّ للرجل أن ينظر إلى فرج أخيه، ولا للمرأة

(۱) عن عطا. تفسیر الطبری ج ۱۸ : ۹۰.

(٢) معاني القرآن للأخفش ج ٢: ٢٧٦.

(٣) ينظر: الكتاب ج ٤: ٢٢٥.

أن تنظر إلى فرج أختها))^(١).

ثم أخبر أنه ﴿حَيْرٌ﴾ بأحوالهم وأفعالهم، ويعلم كيف ﴿يَصْنَعُونَ﴾، فعليهم أن يكونوا على حذر واتقاء في كل حركة وسكون.

وأمر النساء أيضاً بغض الأبصار وحفظ الفروج كما أمر الرجال. وعن أم سلمة قالت: ((كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة^(٢)، فأقبل ابن أم مكتوم^(٣)، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعميا وان أنتما؟! ألستما تبصرانه))^(٤).

الزينة: ما تزينت به المرأة من حليٍّ أو كحلٍ أو خضاب، وهي ظاهرة وباطنة، فالظاهرة لا يجب سترها وهي الثياب، وقيل: الكحل والخاتم والخضاب في الكف^(٥)، وقيل: الوجه والكفان^(٦)، وعنهم^(٧): ((الكفان والأصابع))^(٧). والباطنة كالخلخال والسوار والقلادة والقرط، فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين. وسئل الشعبي: لم لم يذكر الله الأعمام والأخوال؟ فقال: (لثلا يصفها العم عند

(١) الكافي ج ٢: ٣٦.

(٢) ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ سنة ٧ هـ في عمرة القضاء، توفيت بسرف سنة ٥١ هـ. ينظر: الاستيعاب ج ٤: ٤٠٤.

(٣) عمرو وقيل عبد الله بن شريح ابن أم مكتوم القرشي، أسلم قديماً، كان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة في عامة غزواته يصلي بالناس، شهد القادسية ورجع إلى المدينة فمات بها. ينظر: الإصابة ج ٢: ٥٢٣.

(٤) سنن أبي داود ج ٤: ٦٢ ح ٤١١٢.

(٥) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٨: ٩٣.

(٦) عن عطاء. تفسير الطبري ج ١٨: ٩٣.

(٧) مجمع البيان ج ٧-٨: ١٣٨ عن تفسير علي بن إبراهيم ولا يوجد في المطبوع.

ابنه، والخال كذلك^(١).

وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتستر، لأن هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد، لا يحلّ النظر إليها غير هؤلاء، وأما الزينة الظاهرة فسومح فيها لهن، لأن المرأة لا تجد بداً من ذلك، خصوصاً في الشهادة والمحكمة.

والخُمُر: المقانع، جمع خمار، أمرن بالقائها على جيوبهن لأنها لو كانت واسعة تبدو منها نحورهن، وكن يسدلن الخُمُر من ورائهن فتبقى مكشوفة، فأمرن بسدّها من قدامهن حتى تغطيها. ويجوز أن يكون المراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها، كما قيل: ناصح الجيب. وضربها بالخمار على الجيب وضعها عليه، كقولك: ضربت بيدي على الحائط. وقرئ: جُيُوبِهِنَّ - بكسر الجيم - لأجل الياء، وبيوتاً غَيْرَ بِيُوتِكُمْ - بكسر الباء ..

﴿أَوْ فِسَائِهِنَّ﴾ يعني: النساء المؤمنات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرّد بين يدي مشركة أو كتابية عن ابن عباس^(٢). والظاهر أنه عنى بنسائهن.

و﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ﴾ من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء. وقيل: ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ﴾ هم الذكور والإناث جميعاً^(٣).

والتابع: هو الذي يتبعك لينال من طعامك، ولا حاجة له في النساء، وهو الأبله الذي لا يعرف شيئاً من أمر النساء. وقرئ ﴿غَيْرِ﴾ بالنصب على الاستثناء أو الحال، وبالجزم على الوصفية، و﴿الْإِزْيَةِ﴾ الحاجة ﴿أَوْ الْطِفْلِ﴾ وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس.

(١) الدر المنثور ج ٥: ٤٢.

(٢) الكشف ج ٣: ٢٣١.

(٣) عن عائشة وغيرها. معالم التنزيل ج ٣: ٧٧.

﴿لَمْ يَطْهَرُوا﴾ هو إما من ظهر على الشيء: إذا أطلع عليه، أي: لا يعرفون ما العورة، ولا يميزون بينها وبين غيرها، وإما من ظهر على فلان: إذا قوي عليه، أي: لم يبلغوا وقت القدرة على الوطء لعدم شهوتهم.

وكانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها، وقيل: كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم أنها ذات خلخالين^(١)، وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعدما نهين عن إظهار الحلي [علم أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ]^(٢).

وقرئ: ﴿آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ - بضم الهاء -، والوجه فيه: أن الألف لما سقطت من (آيتها) لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها.

وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَسْتَ عَفِيفٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمُ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّنَبْغُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرِهِنَّ عُفُوٌّ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

الأيامى واليتامى أصلهما (أيايم) و(يتايم) فقلبا، والأيتم للرجل والمرأة، وتأيما إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين. وفي الحديث: ((اللهم إنا نعوذ بك من

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج١٨: ٩٧.

(٢) ساقطة من ج.

العيمة والأئمة والغيمة))^(١).

أي: ﴿وَأَنكِحُوا﴾ من تأيّم منكم من الأحرار والحرائر، ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريككم، وهذا أمر ندب واستحباب. وعنه عليه السلام: ((من أحب فطرتي فليستن بستي، وهي النكاح))^(٢)، وعنه عليه السلام: ((من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا))^(٣)، وعنه عليه السلام: ((التمسوا الرزق بالنكاح))^(٤)، الصادق عليه السلام: ((من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه، لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾))^(٥).

﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: استطاعة تزوّج، ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح به من المال.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ﴾ مرفوع بالابتداء، أو منصوب بفعل مضمر يفسّره ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ كقولك: زيداً فاضربه، ودخلت الفاء لتضمّن معنى الشرط. والمكاتبة والكتاب أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا، ومعناه: كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال، وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك، أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت عليّ العتق.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: صلاحاً ورشداً، وقيل: قدرة على أداء مال

(١) الزاهر ج ١: ٥٩٥.

(٢) الكافي ج ٥: ٤٩٤، سنن البيهقي الكبرى ج ٧: ٧٨.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج ٣: ٢٧٠.

(٤) فردوس الأخبار ج ١: ١٢٥، الكافي ج ٥: ٣٣٠ بالمعنى.

(٥) الكافي ج ٥: ٣٣٠.

الكتابة^(١).

﴿وَأَثَرُهُمْ﴾ أمر بإعانتهم وإعطائهم سهمهم الذي جعله الله لهم في قوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾^(٢)، أو حطهم من المال الذي عليهم وهو استحباب. ﴿وَلَا تُكْرِهُوا﴾ إماءكم على الزنا، وكانت إماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن، وكانت لعبد الله بن أبي ست جوار يكرههن على البغاء، وضرب عليهن ضرائب، فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله ﷺ فنزلت^(٣). ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة. وفي الحديث: ((ليقل أحدكم: فتاي وفتاتي، ولا يقل: عبدي وأمتي))^(٤).

﴿أَلْيَاءٌ﴾ مصدر البغي، وإنها شرط إرادة التحصن لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن، وهو التعفف. وكلمة (إن) وإيثارها على (إذا) تؤذن بأنهن كن يفعلن ذلك برغبة وطوع، ومن يجبرهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ للمكروهات لا للمكره ﴿رَحِيمٌ﴾ بهن، وعن الصادق عليه السلام: لهن غفور رحيم. ﴿مُيَنَّنَتٍ﴾ أي: واضحات ظاهرات في معاني الأحكام والحدود، ومبينات. - بالفتح -: موضحات مفصلات.

﴿وَمَثَلًا﴾ من أمثال ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وشبهاً من حالهم بحالكم.
 اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
 الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ

(١) عن ابن عمر وغيره. تفسير الطبري ج ١٨: ٩٩.

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) أسباب النزول: ٢٣٠.

(٤) مسند أحمد ج ٢: ٤٩٦.

مُبْرَكَةً زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَن تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

قال: ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ﴾، ثم قال: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ و﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾، كما يقال: فلان كرمٌ وجودٌ، ثم يقول: ينعش الناس بكرمه ويشملهم جوده. ومعناه: ذو نور السماوات وصاحب نور السماوات.

وإضافة النور إلى السماوات والأرض لأحد معنيين: إما لأن المراد أهل السماوات والأرض وأنهم يستضيئون بنوره، وإما للدلالة على عموم إضاءته وشيوع إشراقه. ورووا عن علي عليه السلام: الله نور السماوات والأرض، والمعنى: نشر فيها الحق فأضاءت بنوره، أو نور قلوب أهلها به.

﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أي: صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة والإشراق.

﴿كَيْشْكُوفٍ﴾ أي: كصفة مشكاة، وهي الكوة في الجدار غير النافذة.

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أي: سراج ثاقب ﴿الْمِصْبَاحُ فِي تَجَافٍ﴾ زهراء هي مشبهة في زهورها بـ ﴿كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ﴾ من الكواكب المشهورة بمزيد الضوء والزهور كالمشتري والزهرة ونحوهما، وهو منسوب إلى الدر، أي: أبيض متلألئ. وقرئ: دُرِّيٌّ

- بالهمزة - على زنة سكيت، كأنه يدرأ الظلام أي: يدفعه بضياؤه، ودريء كمریق، وهو العصفر.

﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصباح ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾ أي: مبدأ ثقبه من شجرة الزيتون، يعني: رويت ذبائته بزيتها، ومن قرأ توقد - بالتاء - فالفعل للزجاجة، والتقدير: مصباح الزجاجة، فحذف المضاف، وقرئ: يوقد بالياء أيضاً.

﴿مُبْرَكَةً﴾ كثيرة البركة والمنفعة، لأنه يسرج بدهنها، ويؤتد به، ويوقد بحطبه وثقله، ويغسل الإبريسم برماده، وهي أول شجرة نبتت بعد الطوفان في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وقيل: لأن سبعين نبياً باركوا فيها منهم إبراهيم عليه السلام^(١).

﴿لَا شَرْقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً﴾ لأن منبتها الشام، وهي بين المشرق والمغرب، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل: لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب، بل هي صاحبة للشمس لا يظلمها شجر ولا جبل، فزيتها يكون أصفى^(٢)، وقيل: ليست في مقنوءة^(٣) لا تصيبها الشمس، ولا في مضحى لا يصيبها الظل، لكن الشمس والظل يتعاقبان عليها^(٤). وعن الحسن: (ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية أو غربية)^(٥).

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من صفائه وفرط تلالئه وضياؤه من غير نار.

(١) الكشف والبيان ج ٧: ١٠٤.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ١٨: ١١٠.

(٣) مقنوءة: لا تطلع عليها الشمس. (لسان العرب: مادة عهد)

(٤) عن السدي. معالم التنزيل ج ٣: ٨١.

(٥) تفسير الطبري ج ١٨: ١١٠.

و﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أي: هو نور متضاعف، قد تظاهر فيه نور الزيت ونور المصباح ونور الزجاجة، فلم يبق مما يقوي النور ويزيد في إضاءته بقية.

واختلف في هذا النور الذي أضافه سبحانه إلى نفسه وما شبهه به، فذهب الأكثر من المفسرين إلى أنه نبيتنا محمد ﷺ فكأنه قال: مثل محمد رسول الله وهو المشكاة، والمصباح قلبه، والزجاجة صدره، شبهه بالكوكب الدري، ثم رجع إلى قلبه المشبه بالمصباح فقال: يوقد هذا المصباح من شجرة مباركة يعني: إبراهيم عليه السلام، لأن أكثر الأنبياء من صلبه، أو شجرة الوحي لا شرقية ولا غربية: لا نصرانية ولا يهودية، لأن النصراني تصلي إلى المشرق واليهود إلى المغرب ﴿يَكَادُ﴾ أعلام النبوة تشهد له قبل أن يدعو إليها، أو يكاد صدقه في نبوته يبين ويتميز وإن لم ير شيء من معجزاته^(١)، كما قال عبد الله بن رواحة:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ كَانَتْ بِدِيئِهِ تُثْبِتُكَ بِالْخَيْرِ^(٢)

وعن الباقر عليه السلام: ((إِنْ قَوْلُهُ: ﴿كَيْشْكُورٌ فِيهَا وَمَصْبَاحٌ﴾ هو نور العلم في صدر النبي ﷺ والزجاجة صدر علي عليه السلام، علمه النبي ﷺ علمه فصار إلى صدره ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل أن يسأل ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ أي: إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد، وذلك من لدن آدم إلى قيام الساعة، هم خلفاء الله في أرضه، وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم^(٣)). وهذا يقتضي أن تكون الشجرة المباركة هي هذه الشجرة التي أشرقت الأرض بنورها من عهد آدم إلى منقرض

(١) راجع الدر المنثور ج ٥: ٤٨، ٤٩.

(٢) ديوان عبد الله بن رواحة: ١٦٠.

(٣) كتاب التوحيد: ١٠٩.

العالم.

وقيل: إن نور الله هو الحق^(١)، كما في قوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢) أي: من الباطل إلى الحق. وعن أبي بن كعب: أنه قرأ: مَثَلُ نُورٍ مَّنْ آمَنَ بِهِ.

﴿يَهْدِي اللَّهُ﴾ بهذا النور الثاقب ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده، بأن يفعل به لطفاً إذا علم أنه يصلح له، ويوفقه لاتباع دلائله.

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يتعلّق بما قبله، أي: كمشكاة في بعض بيوت الله، وهي المساجد، أو بما بعده وهو ﴿يُسَبِّحُ لَهُ... رِجَالٌ﴾ في بيوت. وقوله: ﴿فِيهَا﴾ هو تكرير كما يقال: زيد في الدار جالس فيها. والمراد بالإذن: الأمر.

﴿أَنْ تَرْفَعَ﴾ أي: تبنى، كقوله: ﴿بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا﴾^(٣)، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(٤)، أو تعظّم وترفع من قدرها، وقيل: هي بيوت الأنبياء، وروي ذلك مرفوعاً، وهو أنه ﷺ لما قرأ هذه الآية سئل: ((أي بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة. فقال: نعم، من أفاضلها))^(٥).

﴿وَيَذْكُرُ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ أي: يتلى فيها كتابه، ويذكر أسماؤه الحسنی، وقرئ: يُسَبِّحُ لَهُ - على البناء للمفعول -، وإسناده إلى أحد الظروف الثلاثة وهي:

(١) الكشف ج ٣: ٢٤٠.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) النازعات: ٢٧، ٢٨.

(٤) البقرة: ١٢٧.

(٥) شواهد التنزيل ج ١: ٤١٠.

﴿لَهُ فِيهَا يَأْتُوا الصَّالَاتِ﴾.

ويرتفع ﴿رَجَالٌ﴾ بما دلّ عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: يسبح رجال.

والأصا: جمع أصل وهو العشي، والمعنى: بأوقات الغدو، أي: بالغدوات، والتجارة: صناعة التاجر. أي: لا يشغلهم عن الذكر والصلاة، فإذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وقاموا إليها.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: إقامتها، فإنّ التاء في (إقامة) عوض من العين الساقطة، إذ الأصل (إقوام) فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت، ونحوه:

وَأَخْلَفُواكَ عِدَّ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا^(١)

وتقلب القلوب والأبصار: أن تضطرب من الهول والفرع وتشخص، أي: تتقلب أحوالها فتفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد أن كانت لا تفقه ولا تبصر.

أي: يسبحون ليجزيهم جزاء أعمالهم مضاعفاً، ويزيدهم على الثواب تفضلاً، والتفضل يكون ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَنَقٍ
إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَطُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشِلُهُ مَوْجٌ مِّنْ
فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ طُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ
يَكُدُّهُ لَمْ يَكْدِ رِيثًا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ
نَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَتْ كُلُّ

قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْيِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

السراب: ما يرى في الفلاة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري. والقيعة:
بمعنى القاع أو جمع القاع، وهو المستوي من الأرض.

شبه ما يعمل الكفار من الأعمال التي يحسبها نافعة عند الله بسراب، يراه من
غلبه العطش فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما يرتجيه ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ عند عمله
فجازاه على كفره، أو وجد الله عنده بالمرصاد فأتته له جزاءه، وهذا في الظاهر خبر
عن الظمان وفي المعنى خبر عن الكفار، وفي معناه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(١)، ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾^(٢)، ﴿يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٣).

والبحر اللجي: الكثير الماء، منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر.

﴿يَغْشَاهُ﴾ أي: يعلو ذلك البحر ﴿مَوْجٌ﴾ من فوق ذلك الموج ﴿مَوْجٌ مِنْ﴾
فوق الموج ﴿سَحَابٌ ظُلُمْتُ﴾ ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب ﴿إِذَا
أَخْرَجَ﴾ الواقع فيها ﴿يَكْدُهُ، لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ مبالغة في لم يرها، أي: لم يقرب أن يراها.
وهذا تشبيه ثانٍ لأعمالهم في خلوها عن نور الحق وظلمتها - لبطانها -
بظلمات متراكمة.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ بتوفيقه ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له.
وقرئ: سَحَابٌ ظُلُمَاتٍ - على الإضافة -، وسحاب - بالرفع والتثنية - ظلمات - بالجر -

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) الغاشية: ٣.

(٣) الكهف: ١٠٤.

بدلاً من ظلمات الأولى.

﴿صَفَّيْتِ﴾ يصففن أجنحتهن في الهواء، والضمير في ﴿عَلِمَ﴾ لـ ﴿كُلُّ﴾ أو لـ (الله)، وكذلك في ﴿صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ﴾ كما ألهما سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَرٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿١٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾

﴿يُزْجِي﴾ يسوق، ومنه: البضاعة المزجاة، يزجها كل أحد لا يرضاها، والسحاب قد يكون واحداً كالغمام وجمعاً كالرباب.

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: بين أجزائه بأن يضم بعضها إلى بعض، ولذلك جاز ﴿بَيْنَهُ﴾ وهو واحد، كما قيل في قوله:

بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْملٍ^(١)

والركام: المتراكم. والودق: المطر.

﴿مِنْ خَلِيلِهِ﴾ من فتوقه ومخارج القطر منه جمع خلل، وقرئ في الشواذ: من

(١) ديوان امرئ القيس: ٨، صدره: ففانك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى....

خلله.

ذكر من جملة الدلائل على ربوبيته: تسبيح من في السماوات والأرض وكل ما يطير، ثم ذكر سبحانه تسخير السحاب، وإنزال المطر منه، وما يحدث فيه من الأفعال على ما تقتضيه الحكمة.

و﴿مِنْ﴾ الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة للتبين، أو الأولتان للابتداء، والآخرة للتبعيض، على معنى: ينزل البرد من السماء ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾، وعلى الأول يكون ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ مفعول ﴿يُنْزَلُ﴾. وقرئ: ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ على أن تكون الباء مزيدة كما في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١). أي: يكاد ضوء بركة يخطف البصر لشدة لمعانه.

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يصر فهما ويخالف بينهما بالطول والقصر.

ولما كان اسم (الدابة) يقع على المميز وغير المميز، غلب حكم المميز بأن قال: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾، والماشي ﴿عَلَى أَرْبَعٍ﴾ قوائم، ولم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع، لأنه كما يمشي على أربع في مرأى العين. وعن الباقر عليه السلام: ((ومنها من يمشي على أكثر من ذلك))^(٢).

وإنما نكر قوله: ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ لأن المعنى: أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة، فمنها ناس، ومنها بهائم، ومنها هوام، ومن نحوه قوله: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾^(٣).

وسمى الزحف على البطن مشياً على طريق الاستعارة، كما قالوا: مشى هذا

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) تفسير القمي ج ٢: ١٠٧ عن الصادق عليه السلام وحديثها واحد.

(٣) الرعد: ٤.

الأمر، أو على طريق المشاكلة لآته ذكرها مع الماشين. وقرئ: خَالِقٌ.

وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَيَا رَسُولَ لَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا
إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ
اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

يعني بقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى رسول الله بدلالة قوله: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، وهو كما قيل: أعجبني زيد وكرمه، والمراد: كرم زيد. وروي: أَنَّ رجلاً كانت بينه وبين عليٍّ خصومة في ماء وأرض، فقال الرجل: لا أحاكم إلى محمد فإني أخاف أن يحكم له علي^(١). وذكر أبو القاسم البلخي^(٢): أَنَّها كانت بين عليٍّ وبين عثمان، وكان قد اشترى أرضاً من عليٍّ، فخرجت فيها أحجار، فأراد ردها بالعيب، فقال: بيني وبينك رسول الله، فقال الحكم بن أبي العاص: إن حاكمته إلى ابن عمه حكم له، فترلت^(٣).

﴿مُذْعِبِينَ﴾ مسرعين منقادين، و﴿إِلَيْهِ﴾ صلته أو صلة ﴿يَأْتُوا﴾، والمعنى:

(١) الكشف ج ٣: ٢٤٨، وفيه: إن الرجل هو المغيرة بن وائل.

(٢) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي، من معتزلة بغداد، كان غزير العلم بالكلام والفقه والأدب، له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٣١٩ هـ أيام المقتدر العباسي. ينظر: طبقات المعتزلة: ٨٨.

(٣) التبيان ج ٧: ٤٥٠.

أنهم ينحرفون عن المحاكمة إليك إذا كان الحقّ عليهم، لعلمهم بأنك لا تحكم إلا بالحقّ المر والعدل البحت، وإن ثبت لهم حقّ على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك، لتأخذ لهم ما ثبت لهم في ذمة الخصم.

﴿بَلْ أَوْلَيْتَكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفة بحاله، وإنما هم ظالمون يريدون ظلم من له الحقّ عليهم.

وقرئ: ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل، وبسكون الهاء، وبسكون القاف وكسر الهاء. شبه تقه بكتف فخفف، كقول الشاعر:

قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرَتْ لَنَا سَوِيْقًا^(١)

وعن ابن عباس: (ومن يطع الله في فرائضه، ورسوله في سنته، ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه، ويتقه في المستقبل)^(٢).

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْيُنِهِمْ لَئِنْ أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٣﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٤﴾

(١) الرجز للعدافر الكندي. النوادر في اللغة: ٣٠٨.

(٢) الكشف ج ٣: ٢٤٩.

﴿جَهْدًا يَمْنَنُ﴾ أصله: يجهدون الأيمان جهداً، فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً إلى المفعول، كقوله: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾^(١). وحكم هذا المنسوب حكم الحال، كأنه قال: جاهدین أيمانهم، وجهد يمينه مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها، وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية وكادتها، وعن ابن عباس: (من قال: بالله، فقد جهد يمينه)^(٢).

﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج في غزواتك.

﴿طَاعَةً مَّعْرُوفَةً﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: أمركم الذي يطلب منكم طاعة معلومة لا يشك فيها كطاعة المخلصين، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم لا تطابقها، أو مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معلومة أولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا﴾ في ضمائركم يجازيكم عليه.

﴿فَات﴾ تتولوا عن طاعة الله ورسوله فإنها ضررتم أنفسكم، فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمّله الله وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدى فقد خرج عن العهدة ﴿وَعَلَيْكُمْ﴾ ما كلفتم من التلقي بالقبول والانقياد للطاعة.

و﴿الْبَلَّغُ﴾: التبليغ، كالأداء بمعنى التأدية، و﴿الْمُؤَيَّدُ﴾ المقرون بالآيات والمعجزات.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ المؤمنين المطيعين لله ورسوله أن ينصر دين الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء فيها، كما فعل ببني إسرائيل إذ أهلك الجبابرة، وأورثهم أرضهم وأموالهم، وأن يمكن ﴿لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي﴾ أمرهم أن يدينوا به، وتمكينه: تثبيتته وتوطيده وإظهاره على الدين كله، كما قال ﷺ: ((زويت لي الأرض

(١) محمد: ٤.

(٢) الكشف ج ٣: ٢٥٠.

فأريت مشارقتها ومغاربها، وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها^(١)، وروى المقداد عنه عليه السلام أنه قال: ((لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعزّ عزيز أو ذل ذليل))^(٢)، إما أن يعزّهم الله فيجعلهم من أهلها، وإما أن يذلهم فيدينون لها. وقرئ: كما استخلف بضم التاء.

﴿وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾ من الإبدال ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ استئناف أو حال من (وعدهم). وروى عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: ((هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))^(٣). وروى ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام أيضاً^(٤).

وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَثَنُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفِذَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفَوْا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(١) معارج نهج البلاغة: ٩١، سنن ابن ماجه ٢: ١٣٠٤ ح ٣٩٥٢ باختصار.

(٢) التبيان ج ٧: ٤٥٥. معجم الطبراني الكبير ج ٢٠: ٢١٠.

(٣) جمع البيان ج ٧-٨: ١٥٢ عن العياشي، وينظر: معجم الطبراني الكبير ج ١٠: ١٣٣.

(٤) كتاب الغيبة: ٤٦، ٤٨.

حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا
 اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا
 فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ
 بِزِينَتِهِنَّ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

﴿وَأَقِمْوْا﴾ معطوف على ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وجاز وإن طال
 الفاصل بينها، لأنَّ حقَّ المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه. وقرئ: لا يحسن
 - بالياء .. والوجه فيه أن يكون فاعله ضمير النبي ﷺ لتقدّم ذكره، أو يكون أحد
 المفعولين محذوفاً، أي: ولا يحسن الذين كفروا أنفسهم معجزين.

أمر سبحانه بأن يستأذن العبيد والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار
 ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في اليوم والليلة: ﴿قَبْلَ صَلَاةِ النَّجْرِ﴾ لأنّه وقت القيام من المضاجع
 ولبس الثياب، و﴿الْفَلْهِمَةِ﴾ لأنّه وقت وضع الثياب للقائلة، و﴿بَعْدِ صَلَاةِ
 الْعِشَاءِ﴾ لأنّه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم. وسمى كل
 وقت من هذه الأوقات عورة لأنَّ الناس يخلت تحفظهم وتسترهم فيها، والعورة:
 الخلل.

ثم عذرهم في ترك الاستئذان في غير هذه الأحوال، وبيّن وجه العذر في
 ذلك بقوله: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هم خدمكم يطوفون عليكم للخدمة، فلا
 يجدون بداً من دخولهم عليكم.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: يطوف بعضهم وهم المالك على الموالى.

وقري: ثلاث عورات [ـ بالنصب ـ بدلاً عن ثلاث مرات، أي: أوقات ثلاث]^(١)
عورات.

وإذا رفعت ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ كان قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ في محلّ الرفع
على الوصف، والمعنى: هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان، وإذا نصبت
كان ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ كلاماً مستأنفاً مقررّاً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال
خاصة. و﴿بَعْضُكُمْ﴾ مبتدأ، والتقدير: بعضكم طائف على بعض، فحذف
لأنَّ ﴿طَوَّافُونَ﴾ يدلّ عليه.

﴿بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾ الأحرار دون المماليك، والمعنى: إنّ الأطفال مأذون
لهم في الدخول بغير إذن إلا في الأحوال الثلاث، فإذا خرجوا من حدّ الطفولية
﴿فَلَيْسَ تَنْدُونَا﴾ في جميع الأوقات كالرجال الكبار. وعن ابن مسعود: (عليكم أن
تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم)^(٢).

القاعد: التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها.

﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فيه. والمراد بالثياب: الثياب الظاهرة كالمحففة
والجلباب الذي فوق الخمار، وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام: أن يضعن من ثيابهن.
﴿عَيْرٌ مُتَبَرِّجَتٍ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات زينة بوضع ثيابهن. وحقيقة التبرج:
تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه، واختص بأن تنكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها،
وإظهار محاسنها.

والاستعفاف بلبس الجلابيب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ وإن سقط الحرج عنهن فيه.

(١) ساقطة من ج.

(٢) الكشف ج ٣: ٢٥٤.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِهْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاحِشُهُمْ أَوْ
صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ
أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ
لِيَبْغِضَ شَأْنِهِمْ فَإِذَا نِمَ شَأْنُكَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّكَ

اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم
وأولادهم، وإلى بيوت أقربائهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها، فخافوا أن يلحقهم
فيه حرج ف قيل: ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على أنفسكم يعني: ليس
عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين ﴿حَرَجٌ﴾ في ذلك، وقيل: كان هؤلاء
يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى أن يلحقهم من الكراهة من قبلهم^(١).
وقيل: كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم، ويدفعون إليهم
المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم، فكانوا يتحرجون، ف قيل: ليس على

هؤلاء الضعفاء حرج فيما تخرجون عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت^(١).
ولم يأت ذكر الأولاد لأن ذكرهم قد دخل في قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ لأن
ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه. وفي الحديث: ((إن أطيب ما يأكل الرجل
من كسبه، وإن ولده من كسبه))^(٢).

وملك المفاتيح: كونها في يده وحفظه، والصديق يكون واحداً وجمعاً،
وكذلك العدو، والمعنى: أو بيوت أصدقائكم. وعن أئمة الهدى عليهم السلام قالوا: ((لا
بأس بالأكل هؤلاء من بيوت من ذكره الله تعالى بغير إذهم قدر حاجتهم من غير
إسراف))^(٣). وعن الحسن: (إنه دخل داره فإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا
سلالاً من تحت سريره فيها الخبيص وأطياب الأطعمة وهم يأكلون، فتهلل وجهه
سروراً وقال: هكذا وجدناهم - يريد كبراء الصحابة - وكان الرجل منهم يدخل
دار صديقه وهو غائب، فيسأل جاريته كيسه فيأخذ ما شاء، فإذا حضر مولاهما
فأخبرته أعتقها سروراً بذلك)^(٤). وعن جعفر الصادق عليه السلام: ((من عظم حرمة
الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس
والأب والأخ والابن))^(٥).

﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أي: مجتمعين أو متفرقين، كانوا لا يأكلون إلا مع
ضعيفهم، ويتحرج الرجل أن يأكل وحده.

(١) عن الزهري. تفسير الطبري ج ١٨: ١٢٩.

(٢) سنن ابن ماجه ج ٢: ٧٢٣ ح ٢١٣٧.

(٣) التبيان ج ٧: ٤٦٣.

(٤) الكشف ج ٣: ٢٥٧.

(٥) الكشف ج ٣: ٢٥٧.

﴿إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت فابدؤوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة ﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ثابتة بأمره، مشروعة من لدنه، ولأن التسليم طلب سلامة للمسلم عليه، والتحية طلب حياة للمحتي من عند الله، ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن، يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق. ومنه قوله ﷺ: ((سَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ))^(١). و﴿تَحِيَّةٌ﴾ منصوبة ب﴿سَلِّمُوا﴾ لأنها في معنى تسليماً، كما تقول: حمدت شكراً. ﴿وَإِذَا كَانُوا﴾ مع النبي ﷺ ﴿عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ﴾ يقتضي الاجتماع عليه والتعاون فيه، من حضور حرب أو مشورة في أمر أو صلاة جمعة وما أشبهه. ﴿لَّزَّ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا﴾ جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنه ثالث الإيذان بالله والإيذان برسوله مع تصدير الجملة ب﴿وَإِنَّمَا﴾، وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبراً عنه بموصول يحيط صلته بذكر الإيذانين.

ثم أكد ذلك بأن أعاد ذكره على أسلوب آخر فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ضمَّنه شيئاً آخر، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيذانين، ثم خيره ﷺ بين أن يأذن وبين أن لا يأذن، وهكذا حكم من قام مقامه من الأئمة ﷺ.

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾
 أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
 وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

أي: ﴿لَا تَجْعَلُوا﴾ تسميته ونداءه ﴿يَتَنَكَّمُ﴾ كما يسمي بعضكم بعضاً ويناديه باسمه، فلا تقولوا: يا محمد، ولكن يا نبي الله، يا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والتواضع وخفض الصوت، ولا تقيسوا دعاءه إيتاكم على ﴿دُعَاؤَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي، فإن في القعود عن أمره قعوداً عن أمر الله تعالى، ولا تجعلوا ﴿دُعَاةَ الرَّسُولِ﴾ لكم أو عليكم مثل دعائكم، فإن دعوته مستجابة مسموعة.

﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾ قليلاً ﴿لِوَاذًا﴾ أي: ملاوذة، يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا. والمعنى: يتسللون عن الجماعة في الخفية، يستتر بعضهم ببعض. و﴿لِوَاذًا﴾ حال، أي: ملاوذين. وقيل: نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن^(١)، وقيل: كانوا يتسللون عن الجهاد يرجعون عنه^(٢)، وقيل: عن خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة^(٣).

يقال: خالفه إلى الأمر: إذا ذهب هو إليه دونه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُم عَنْهُ﴾^(٤)، وخالفه عن الأمر: إذا صد عنه دونه، ومعناه: الذين يصدّون عن أمره دون المؤمنين، والمفعول محذوف، والضمير في ﴿أمرهم﴾ لله أو للرسول، والمعنى: عن طاعة الله ودينه.

﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: محنة في الدنيا تظهر نفاقهم أو بلية. وعن جعفر بن

(١) الكشف والبيان ج ٧: ١٢١.

(٢) عن مجاهد. تفسير الماوردي ج ٤: ١٢٨.

(٣) عن مقاتل بن حيان. الدر المنثور ج ٥: ٦١.

(٤) هود: ٨٨.

محمد ﷺ: ((يسلّط عليهم سلطاناً جائراً))^(١). و﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وهذا يدلّ على أنّ أوامر النبي ﷺ على الوجوب.

أدخل ﴿قَدْ﴾ ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة، وتوكيد العلم لتوكيد الوعيد، وذلك أنّ (قد) إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى (ربّما)، فوافقت (ربّما) في خروجها إلى معنى التأكيد في نحو قوله:

فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ^(٢)
ونحوه قول زهير:

أَخِي ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ^(٣)
﴿أَلَا لِكُلِّ لَوْحٍ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد اختص جميعها به، خلقاً وملكاً وعِلماً، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها، وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوه ويجازيهم عليه.

والخطاب والغيبة في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾، ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يجوز أن يكونا معاً للمنافقين على طريق الالتفات، ويجوز أن يكون ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ عاماً ﴿يُرْجَعُونَ﴾ خاصاً.

(١) الكشف والبيان ج٧: ١٢١.

(٢) البيت لأبي عطاء السندي. الشعر والشعراء ج٢: ٧٦٩.

(٣) شعر زهير بن أبي سلمى: ٥٧، وفيه: لا تلتف الخمر.

سورة الفرقان

مكية إلا آيات، وهي سبع وسبعون آية بلا خلاف.

وفي حديث أبي: ((من قرأها بعث يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأدخل الجنة بغير نصب))^(١)، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: ((من قرأها في كل ليلة لم يعذبه الله أبداً، ولم يحاسبه، وكان منزله في الفردوس الأعلى))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝^(١)
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يَنْخَضُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ۝^(٢) وَاتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ
لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ۝^(٣)
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ إِفْكِهِ أَقْرَبَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝^(٤) وَقَالُوا اسْطِطِئْهُ الْأَوَّلِينَ
أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝^(٥) قُلْ أَنْزَلَهُ

(١) الكشف والبيان ج ٧: ١٢٢ باختصار.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٩.

الَّذِي يَعْلَمُ الْسِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوبُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ صَبَرُوا لَكَ الْأَمْثَلُ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿١٠﴾

البركة: الكثرة من الخير، ومنها: تبارك الله أي: عظمت خيراتاه وكثرت.
وسمى القرآن فرقاناً، لفصله بين الحق والباطل، أو لأنه لم ينزل جملة واحدة بل متفرقاً مفصلاً بين بعضه وبعض في الإنزال.

﴿يَكُونُ﴾ الضمير لـ ﴿عَبْدِهِ﴾ أو لـ ﴿الْفَرْقَانِ﴾.

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للجن والإنس.

﴿نَذِيرًا﴾ أي: منذراً مخوفاً، أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار.

﴿الَّذِي لَهُ﴾ بدل من ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾، أو مدح.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: وأوجد كل شيء ﴿فَقَدَرَهُ﴾ هياؤه لما يصلح له.

والخلق بمعنى الافتعال في قوله: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ أي: لا يقدرُونَ على

شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد، فلا يفتعلون شيئاً وهم يفتعلون، لأنهم عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ لا يستطيعون ﴿لِأَنْفُسِهِمْ﴾ دفع ضرر عنها ولا جلب

نفع إليها، وإذا عجزوا عن ذلك فهم عن الموت والحياة أعجز.

﴿عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وهم اليهود، وقيل: عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي.

(جاء) و(أتى) يستعملان في معنى (فَعَلَ)، فيعدّيان تعديته، ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل، وظلمهم أنهم جعلوا العربي يتلقّن من العجمي كلاماً عربياً أعجز الفصحاء البلغاء بفصاحته، والزور: بهتهم بنسبة ما هو بريء منه إليه.

و﴿أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره المتقدّمون في كتبهم.

﴿اَسْتَبَّهَا﴾ كتبها لنفسه وأخذها، كما تقول: إصطب الماء: إذا صبه لنفسه وأخذه. ﴿فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ﴾ أي: تلقى عليه من كتابه يتحفظها.

﴿بُكَرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي: دائماً، أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس، وحين يأوون إلى مساكنهم.

أي: يعلم الخفيات وبواطن الأمور، ومن جملتها: ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم بأن ما تقولونه باطل وزور.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَجِيماً﴾ لا يعاجل بعقابكم مع استيجابكم بمكابرتكم هذه أن يصب عليكم العذاب.

﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ حاله مثل حالنا ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، وكان يجب أن يكون مستغنياً عن الأكل والتعيش بأن يكون ملكاً، ثم نزلوا عن هذا إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ﴿مَلَكٌ﴾ يعينه على الإنذار والتخويف، ثم نزلوا أيضاً بأن قالوا: ﴿أَوْ يُنْفَخِ إِلَيْهِ كَنُزٌ﴾ يستظهر به ويستغني عن طلب المعاش، ثم نزلوا فاتسعوا بأن يكون

رجلاً له بستان يأكل منه ويأكلون منه، فقد قرئ: ﴿يَأْكُلُ﴾ بالياء والنون.

﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر، وإنما أرادهم.

وقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ نصب لأنه جواب، ﴿تَوَلَّى﴾ بمعنى (هلا)، وحكمه

حكم الاستفهام، وعطف ﴿يُلْقَى﴾ و﴿تَكُونُ﴾ على ﴿أُنْزِلَ﴾ لأن محله الرفع، لأنه في معنى (ينزل) بالرفع.

﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال النادرة من نبوة

مشتركة بين إنسان وملك، وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك، فهم متحiron ضلال لا يجدون قولاً يستقرون عليه، أو فضلوا عن الحق لا يهتدون إليه.

تكاثر خير ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ﴾ وهب لك في الدنيا خيراً مما قالوا. وقرئ:

﴿وَيَجْعَلُ لَكَ﴾ بالرفع والجزم عطفاً على ﴿جَعَلَ﴾ لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز

في جزائه الجزم والرفع، كقول زهير:

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرَمٌ^(١)

بَلْ كَذَبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا^(١١)

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهُمْ تَغِيظًا وَزَفِيرًا^(١٢) وَإِذَا أُلْقُوا

مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقَرَّيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا^(١٣) لَا نَدْعُوا

الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا^(١٤) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ

جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا^(١٥)

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ^(١٦)

(١) شعر زهير بن أبي سلمى: ١٠٥، وفيه: يوم مسألة.

ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾
 قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ
 وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا
 ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
 وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
 وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً
 أَتَصْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ عطف على ما حكى عنهم، يقول: بل أتوا بها هو
 أعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة، أو هو متصل بها يليه أي: كيف
 يصدّقون بذلك وهم لا يؤمنون بالآخرة؟! والسعير: النار المستعرة.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ نسب الرؤية إلى النار، وإنما يرونها هم، وهو كقولهم: دور بني
 فلان تراءى، أي: كان بعضها يرى بعضاً، والمعنى: إذا كانت منهم بمرأى النظر
 سمعوا صوت التهابها، وشبه ذلك بصوت المتغيّظ والزافر، وقيل: التغيّظ للنار
 والزفير لأهلها.

﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ جمع على أهل النار التضيق والإرهاق، نعوذ بالله منها.
 وعن ابن عباس: (أنّه يضيق عليهم كما يضيق الزجاج في الرمح)^(١)، وهم مع ذلك
 الضيق مسلسلون مصفدون، قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع والأصفاد.
 وقيل: قرونوا مع الشياطين في السلاسل^(٢).

(١) الكشف ج ٣: ٢٦٧. معالم التنزيل ج ٣: ٩٠.

(٢) عن يحيى بن سلام. تفسير الماوردي ج ٤: ١٣٤.

والثبور: الهلاك، ودعاؤه أن يقولوا: واثبورا، أي: تعال فهذا زمانك.

﴿لَا نَدْعُوا﴾ أي: يقال لهم، أو هم حريّ بأن يقال لهم ذلك وإن لم يكن هناك قول، أي: وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه بواحد، إنّما هو ثبور كثير.
أي: وعدها المتقون ﴿هُمْ فِيهَا مَا﴾ يشاؤون.

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ﴾ أي: كان ذلك مكتوباً في اللوح، أو لأنّ موعود الله في تحقّقه كأنّه قد كان، والضمير في ﴿كَانَتْ﴾ لـ ﴿مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: كان ذلك موعوداً واجباً ﴿عَلَىٰ رِيكَ﴾ إنجازه، حقيقة بأن يسأل ويطلب لأنّه ثواب مستحقّ، وقيل: ﴿مُسْتَوْلاً﴾ سأله الملائكة والناس في دعواتهم ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾^(١)، ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾^(٢).

وقرئ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾، ﴿فَيَقُولُ﴾ كلاهما بالنون والياء.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ يريد معبوديهم من الملائكة والإنس والأصنام إذا أنطقهم الله. والفائدة في ﴿أَنْتُمْ﴾ و﴿هُمْ﴾ وإيلائهما حرف الاستفهام: أنّ السؤال إنّما وقع عن متولي الفعل لا عن الفعل ووجوده، فقدّم ليعلم أنّه المسؤول عنه.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي: تنزيهاً لك عن الشريك، وهذا تعجب منهم مما قيل لهم لأنّهم ملائكة وأنبياء معصومون، أو قالوا: سبحانك ليدلوا على أنّهم المسبحون الموسومون بذلك.

﴿مَا كُنَّا﴾ يصحّ لنا ولا يستقيم أن نتولى أحداً دونك، فكيف يصحّ لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولانا دونك؟! وقرئ: نتخذ، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام. واتخذ قد يتعدّى إلى مفعول واحد وإلى مفعولين، فالقراءة الأولى من المتعدّي إلى

(١) غافر: ٨.

(٢) آل عمران: ١٩٤.

مفعول واحد وهو ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، والأصل: أن تتخذ أولياء فزيدت ﴿مِنْ﴾ لتأكيد النفي، والثانية من المتعدي إلى مفعولين، و﴿مِنْ﴾ للتبعيض أي: نتخذ بعض أولياء.

و﴿الذِّكْرَ﴾ ذكر الله والإيمان به، أو القرآن والشرع.

والبور: الهلاك يوصف به الواحد والجمع، أو هو جمع بائر كعائد وعود.

وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول من يزعم أن الله سبحانه يضلّ عباده على الحقيقة، حيث يقول للمعبودين من دونه: ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي .. أَمْ هُمْ ضَلُّوا﴾ بأنفسهم، فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به من أن يكونوا مضلين، ويقولون: بل أنت تفضلت على هؤلاء وآبائهم، فجعلوا النعمة التي هي سبب الشكر سبباً للكفر ونسيان الذكر، فكان ذلك سبب هلاكهم، فبرؤوا أنفسهم من الإضلال ونزّهوه سبحانه أيضاً منه حيث أضافوا إليه التمتع بالنعمة، وأضافوا نسيان الذكر الذي هو سبب البوار إليهم، فشرحوا الإضلال المجازي الذي نسبته الله إلى ذاته في قوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب أن يقولوا: بل أنت أضللتهم.

﴿يَمَّا نَقُولُ﴾ قرئ بالتاء والياء، فالتاء على معنى: فقد كذبوكم بقولكم: إثمهم آله، والياء على معنى: فقد كذبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا ... الآية﴾.

وقرئ: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء والياء أيضاً، فالتاء على فما تستطيعون أنتم صرف العذاب عنكم، وقيل: الصرف: التوبة^(٢)، وقيل: الحيلة^(٣) من قولهم:

(١) الرعد: ٢٧.

(٢) عن الأصمعي. الكشف والبيان ج ٧: ١٢٧.

(٣) عن يونس. الكشف والبيان ج ٧: ١٢٧.

إِنَّهُ لِيَتَصَرَّفَ، أي: ليحتال؛ والياء على فما يستطيع آلهتكم ذلك.

﴿يَذُوقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ في الآخرة، والكافر ظالم لقوله: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

والجملة بعد ﴿إِلَّا﴾ صفة لمحذوف، والمعنى: وما أرسلنا أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين، وإنما حذف لدلالة الجار والمجرور عليه، ونحوه: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٢) أي: وما منا أحد، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: وَيَمْشُونَ - على البناء للمفعول - أي: يمشيهم حوائجهم أو الناس.

﴿فِتْنَةً﴾ أي: محنة وابتلاء، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ وتصبير له على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه في الأسواق. يعني: إِنَّا نَبْتَلِي الْمُرْسَلِينَ بالمرسل إليهم بأنواع أذاهم. وموقع قوله: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ بعد ذكر الفتنة موقع (أيكم) بعد الابتلاء في قوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٣).

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ أي: عالماً بالصواب فيما يبتلى به وغيره، فلا يضيقن صدرك بأقوالهم واصبر، وقيل: هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾^(٤) أي: جعلنا الأغنياء فتنة للفقراء لننظر هل يصبرون، وقيل: جعلناك فتنة لهم لأنك لو كنت غنياً صاحب كنوز وجنات، لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا أو ممزوجة بها، فبعثناك فقيراً لتكون طاعة من يطيعك خالصة لنا من غير طمع وغرض دنيوي، وقيل: كان أبو جهل وأضرابه

(١) لقمان: ١٣.

(٢) الصافات: ١٦٤.

(٣) الملك: ٢.

(٤) الفرقان: ٨.

يقولون: إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا صهيب وبلال وفلان وفلان، ترفعوا علينا إدلالاً بالسابقة فذلك الفتنة^(١).

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَى رِسَالًا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿١١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَتِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿١٢﴾ وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿١٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْعَنَنِ وَنُزِلَ الْمَلَتِكَةُ نَزِيرًا ﴿١٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ يَوَيْلَ لِيَتَنَّى لَمْ اتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿١٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿١٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٢٠﴾

أي: لا يأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفر، أو لا يخافون لقاءنا بالشر، والرجاء: الخوف في لغة تهامة. جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقياً، هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ﴾ فتخبرنا بأن محمداً صادق ﴿أَوْ نَرَى رِسَالًا﴾ جهرة فيأمرنا بتصديقه واتباعه.

﴿اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بأن أضمرنا الاستكبار عن الحق والعناد في قلوبهم، ونحوه: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾^(٢).

(١) عن مقاتل. معالم التنزيل ج ٣: ٩١.

(٢) غافر: ٥٦.

و﴿عُتُوًّا﴾ أي: تجاوزوا لحد في الطغيان، ووصف العتو بالكبير فبالغ في إفراطه، أي: أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم إلا لأنهم بلغوا أقصى العتو وغاية الاستكبار. واللام جواب قسم محذوف.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ منصوب بها دلّ عليه ﴿لَا بُشْرَى﴾ أي: يمنعون البشرى، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تكرير، أو منصوب بـ(اذكر)، أي: اذكر يوم ﴿يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾، ثم ابتداء ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ﴾، وقوله: ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ إما ظاهر في موضع مضمّر، وإما لأنه عام فقد تناولهم لعمومهم.

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ منصوب بفعل ترك إظهاره، قال سيبويه: (يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا وكذا؟ فيقول: حجراً^(١)). وهو من حجره: إذا منعه. والمعنى: أسأل الله أن يحجر ذلك حجراً، ومجيئه على فعل أو فعل تصرّف فيه لاختصاصه بموضع واحد، كما قيل: فديت وعمرك، قال:

عَوَّذَ بِرَبِّي مِنْكُمْ وَحِجْرُ^(٢)

[وهذه كلمة كانوا يقولونها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة يضعونها موضع الاستعاذة.

﴿مَّحْجُورًا﴾ صفة لـ ﴿حِجْرًا﴾ جاءت لتأكيد معناه، كما قالوا: موت مائت^(٣). والمعنى: أنهم يطلبون الملائكة، وإذا رأوهم يوم القيامة كرهوا لقاءهم وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور، وقيل: هو من قول الملائكة^(٤)،

(١) الكتاب ج: ٣٢٦.

(٢) الأغاني ج: ١٩٧ دون نسبة، وصدرة: قالت وفيها حيدة وذعر.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) عن الضحاك وغيره. تفسير الطبري ج: ١٩: ٣.

ومعناه: حراماً محرماً عليكم الغفران والجنة أو البشرية، أي: جعل الله ذلك حراماً عليكم.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾ ليس هنا قدوم، ولكن شبه حالهم وأعمالهم التي عملوها في كفرهم - من صلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف، وغيرها من المكارم - بحال قوم عصوا ملكهم فقدم إلى أسبابهم وأملاكهم فأبطلها ولم يترك لها أثراً. والهباء: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس، شبيه بالغبار، ﴿مَنْثُوراً﴾ صفة لـ ﴿هَبَاءً﴾ أي: منتشرأ متناثراً.

المستقر: المكان الذي يستقرون فيه متحادثين.

والمقيل: المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم، وسطي مقيلاً على طريق التشبيه، وفي لفظ ﴿أَحْسَنُ﴾ رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه والصور وغير ذلك من التحاسين.

وقرئ: ﴿تَشَقَّقُ﴾ والأصل تشقق فحذف التاء في إحدى القراءتين وأدغم في القراءة الأخرى. ﴿بِالْغَمَمِ﴾ الباء للحال، أي: تشقق السماء وعليها الغمام، كما تقول: ركب الأمير بسلاحه، أي: وعليه سلاحه.

﴿وَنَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد. وقرئ: ونزل الملائكة.

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾، لأن كل ملك يزول ملكه يومئذ ويبطل ولا يبقى إلا ملكه، فـ ﴿الْمَلِكُ﴾ مبتدأ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف له، و﴿الْحَقُّ﴾ صفة له، و﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ خبره. ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفاً للخبر، ويجوز أن يكون ﴿الْحَقُّ﴾ خبراً، والجار والمجرور في موضع الحال.

العض على اليدين، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الإرم، وقرع

الأسنان، كنيات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما.

واللام في ﴿الظَّالِمُ﴾ يجوز أن يكون للعهد فيكون مخصوصاً على ما ذكر في الرواية^(١)، ويجوز أن يكون للجنس فيتناول كل ظالم تبع خليفه وتابعه على إضلاله. تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه سبيل الحق. الأصل يا ويلتي، فقلبت الياء ألفاً كما في صحارى ومدارى.

﴿فَلَنَّا﴾ كناية عن الأعلام، كما أن الهن كناية عن الأجناس.

﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾ عن ذكر الله أو القرآن أو متابعة الرسول، و﴿الشَّيْطَانُ﴾ إشارة إلى خليفه، سمّاه شيطاناً لأنه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة، أو أراد إبليس فإنه الذي حمّله على مخالطة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله. ويحتمل أن يكون ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ حكاية كلام الظالم، وأن يكون كلام الله.

﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ، وقومه قريش، حكى الله عنه شكواه قومه إليه.

﴿مَهْجُورًا﴾ أي: تركوه ولم يؤمنوا به، وقيل: هو من هجر إذا هذى^(٢)، أي: جعلوه مهجوراً فيه، أي: زعموا أنه هذيان وباطل، أو هجروا فيه حين سمعوه كقوله: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوَا فِيهِ﴾^(٣).

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ

(١) ينظر: تفسير الطبري ج ١٩: ٦، الدر المنثور ج ٥: ٦٨.

(٢) عن إبراهيم النخعي وغيره. تفسير الطبري ج ١٩: ٧.

(٣) فصلت: ٢٦.

عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَصْلُ سَبِيلَا ﴿٣١﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ
 وَزِيرًا ﴿٣٢﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَنَّهُمْ
 نَذِيرًا ﴿٣٣﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ
 لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٤﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٥﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
 الْأَمْثَلَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَىٰ آلِ قَارُونَ
 الْمَطَرُ مَطَرُ السَّوءِ أَفَكُم يَكُونُوا يَكُونُوا بِرَبِّهِمْ بَلْ كَانُوا لَا
 يَرْجِعُونَ شُورًا ﴿٣٧﴾

هذا تسلية للنبي ﷺ، أي: ﴿كَذَلِكَ﴾ كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه،
 وكفأك بي ﴿هَادِيًا﴾ إلى الانتصار منهم، وناصر آلك عليهم. والعدو يكون واحداً
 وجعاً.

﴿نَزَّلَ﴾ هنا بمعنى أنزل، كخبر وأخبر، أي: هلا أنزل ﴿عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾
 دفعة في وقت واحد كما أنزل التوراة والإنجيل والزبور ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ جواب لهم، أي: كذلك أنزل مفرقاً، والحكمة فيه أن
 نتبت به قلبك ونقويه بتفريقه حتى تعيه وتحفظه، لأن المتلقن إنَّما يقوى قلبه بأن
 يحفظ العلم شيئاً بعد شيء، وأيضاً فإن فيه ناسخاً ومنسوخاً، وما هو جواب
 للسائل على حسب سؤاله، ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة، ولأنه كان عليه
 أمياً لا يقرأ ولا يكتب فلا بد له من التلقن، فأنزل عليه مفرقاً، وكان موسى وعيسى
 قارئين وكاتبين.

﴿وَرَفَعْنَاهُ﴾ معطوف على الفعل الذي تعلّق به ﴿كَذَلِكَ﴾، كأنه قال: رفّناه

﴿وَرَوَّلْنَاهُ﴾ أي: قدرناه آية بعد آية، وسورة عقيب سورة، أو أمرنا بترتيل قراءته وهو أن يقرأ بترتل وتثبت. وأصل الترتيل: في الأسنان، يقال: ثغره رتل ومرتل أي: مفلج، وقيل: هو تنزيله على تمكث وتمهل في مدة بعيدة^(١).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ بسؤال عجيب كأنه مثل في البطلان ﴿إِلَّا﴾ أتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد لهم عنه، وبما هو ﴿أَحْسَنُ﴾ معنى من سؤالهم، وضع التفسير موضع المعنى لأن التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام، يعني: إن تنزيله مفترقاً وتحديهم بسورة سورة منها أدخل في باب الإعجاز من أن ينزل جملة واحدة فيقال لهم: اتنوا بمثلها في الفصاحة، كأنه قال: إنما يحملك على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته.

وإذا سحبتهم ﴿عَلَى﴾ وجوهكم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ علمتم أن مكانكم شر من مكانه، وسبيلكم أضل من سبيله، ويجوز أن يراد بالمكان: الشرف والمنزلة، وأن يراد الدار والمسكن، كقوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾^(٢).

﴿وَزَيَّرَا﴾ أي: مؤازرأ له على تأدية الرسالة. والمعنى: فذهبا إليهم فكذبوهما ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ﴾ فاختصر لأن المقصود من القصة إلزام الحجة بإرسال الرسل واستحقاق التدبير بتكذيبهم. ورووا عن علي عليه السلام: فَدَمَرْنَاهُمْ، وفدماهم على التأكيد. بالنون المشددة..

﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ لأن تكذيبهم له تكذيب لجميعهم، أو كذبوه ومن قبله من الرسل، أو لم يروا بعثة الرسل كالبراهمة^(٣).

(١) عن الحسن وغيره. تفسير الطبري ج ١٩: ٨.

(٢) مريم: ٧٣.

(٣) البراهمة: هم القوم المخصوصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً، وقد انتسبوا إلى رجل منهم يقال له: ليل

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: إغراقهم أو قصّتهم.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: لهم، إلا أنه قصد تظليمهم فأظهر، أو تناول

الظالمين بعمومه.

﴿وَعَادَا﴾ عطف على (هم) في ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾.

﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ كان لهم نبي اسمه حنظلة، فقتلوه فأهلكوا. والرس: البئر

غير المطوية، وقيل: الرس: قرية باليامة يقال لها فلج^(١)، وروي عن الصادق عليه السلام:

((أَنْ نَسَاءَهُمْ كُنَّ سَحَاقَاتٍ))^(٢).

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور، كما يحسب الحاسب أعداداً كثيرة ثم يقول:

فذلك كذا، بمعنى: فذلك المحسوب أو المعداد.

﴿وَكُلًّا﴾ منصوب بمضمر [وهو أنذرنا وحذرنا، ودلّ عليه قوله:

﴿مُزَيِّنَالَهُ لَأَمِثْلَ﴾ أي: يتناله القصص العجيبة ﴿وَكُلًّا﴾ الثاني بمضمر^(٣) وهو

﴿تَبَرَّنَا﴾. والتبیر: التكسير.

وأراد بـ ﴿لَقَرْيَةٍ﴾ سدوم من قرى قوم لوط، وكانت خمساً، أهلك الله أربعاً

منها وبقيت واحدة.

﴿وَمَطَرَ السَّوَّى﴾: الحجارة، وكانت قريش يمرّون في متاجرهم إلى الشام

على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة ويرونها.

﴿لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يتوقعون، وضع الرجاء موضع التوقع، لأنّه إنّما

طبرهام، قد مهد لهم نفي النبوات أصلاً وقرر استحالة ذلك في العقول. ينظر: الملل والنحل ج٣: ٣٤٢.

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج١٩: ١٠.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٦٨، الكشف والبيان ج٧: ١٣٨.

(٣) ساقطة من ج.

يتوقع العاقبة من يكون مؤمناً، أو لا يأملون ﴿شُورًا﴾، أو لا يخافون فلذلك لم ينظروا ولم يتذكروا.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ
رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا
عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا
﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا
﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ
إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الْظِلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَوْمَ
لِيَاسًا وَاللَّيْلَ سَبَاطًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا
﴿٤٨﴾ لِنَخْجِي بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُنْقِضَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنَاسِيًا
كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

﴿إِنْ﴾ الأولى نافية، والثانية مخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينهما، أي: ما ﴿يَنْخِذُونَكَ إِلَّا﴾ موضع هزاء أو مهزوء به، ومعناه: يستهزئون بك ويقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾ بعثه ﴿اللَّهُ﴾؟! وهذا استصغار.

وفي قولهم: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا﴾ دليل على بذل رسول الله ﷺ غاية المجهود في دعوتهم، وعرض الآيات والمعجزات عليهم حتى قاربوا أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، و﴿لَوْلَا﴾ هنا جار مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى،

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد، وقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب عن قولهم: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا﴾.

[﴿مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾^(١) أي: من جعل هواه معبوده، أفتوكل عليه بأن تدعوه إلى الهدى وتجبره عليه وتقول: لا بد أن تسلم شئت أو أبيت؟ كما قال: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضْطَرٍ﴾^(٢)، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾^(٣).
﴿أَمْ﴾ منقطعة، أي: بل أتحسب.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأن الأنعام تنقاد لمن يتعهدا، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يجتنبون العقاب الذي هو أشد المضار.
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته.
﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أي: جعله ممتداً منبسطاً لينتفع به الناس.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: لاصقاً بأصل كل ذي ظل من بناء أو شجر فلم ينتفع به أحد، سمى سبحانه انبساط الظل وامتداده تحركاً منه، وعدم ذلك سكوناً.

ومعنى كون الشمس ﴿دَلِيلًا﴾: إن الناس يستدلون بالشمس وأحوالها في سيرها على أحوال الظل من كونه ثابتاً في مكان وزائلاً ومتسعاً ومتقلصاً، ولولا الشمس لما عرف الظل، ولولا النور لما عرفت الظلمة.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الغاشية: ٢٢.

(٣) ق: ٤٥.

ومعنى قبضه إليه: ينسخه بضخّ الشمس ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ على مهل شيئاً بعد شيء، وفي ذلك منافع غير محصورة، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً. وأما فائدة ﴿ثُمَّ﴾ في الموضعين فهو أنه بيان لتفاضل الأمور الثلاثة تشبيهاً لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت. وفي الآية وجه آخر وهو: أنه سبحانه مدّ الظل حين بنى السماء كالقبة، فألقت القبة ظلها على وجه الأرض، ولو شاء لجعله ساكناً مستقراً على تلك الحالة، ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق، فهو يزيد بها وينقص، ثم نسخه بها فقبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير. ويمكن أن يكون المراد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه [وهي الأجرام ذوات الظل، أي: نعدمه بإعدام أسبابه] ^(١) كما أنشأه بإنشاء أسبابه، وفي قوله: ﴿قَبْضَتْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ دلالة عليه، وكذلك في قوله: ﴿يَسِيرًا﴾ كقوله: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ ^(٢).

جعل ظلام الليل مثل اللباس الساتر، والنائم شبه الميت. والسبات: الموت لأن في مقابله النشور، فالنوم واليقظة مشبهان بالموت والحياة، وقيل: ﴿سُبَاتًا﴾ راحة لأبدان الناس وقطعاً لأعمالهم ^(٣).

﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ينتشر الناس فيه لطلب معاشهم، ويتفرقون لحوائجهم. نشر أي: إحياء، ونشر جمع نشور وهي المحيية، ونشراً تخفيف نشر. و﴿بُشْرًا﴾ تخفيف بشر جمع بشير وبشرى ﴿بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ﴾ أي: قدام

(١) ساقطة من ج.

(٢) ق: ٤٤.

(٣) تفسير الطبري ج ١٩: ١٤.

المطر.

﴿طَهُورًا﴾ أي: بليغاً في طهارته، وقيل: طاهراً في نفسه مطهراً لغيره^(١)، وهو صفة في قولك: ماء طهور، واسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود.

قال: ﴿بَلَدَةٌ مَيِّتًا﴾ لأنَّ البلدة في معنى البلد في قوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾^(٢). وقرئ: نسقيه - بالفتح -، وسقى وأسقى لغتان، وقيل: أسقاه: جعل له سقياً. والأناسي: جمع إنسي أو إنسان، كالظراي في جمع ظربان، على قلب النون من أناسين وظرايين ياء.

﴿وَلَقَدْ﴾ صرّفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة ليستدلوا بذلك على سعة مقدورنا، فأبوا ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ وأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا^(٣).

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَهَدْنَاهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا
عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلْ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا تَحْجُورًا ﴿٥٣﴾
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ
عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءِ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا

(١) الكشف والبيان ج ٧: ١٤٠.

(٢) فاطر: ٩.

(٣) التوء: سقوط نجم، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها.
(الصحاح: مادة نوا)

﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى
 بِهِ يَذُنُوبَ عِبادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
 بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ
 خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ
 لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

﴿لَبَعْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ينذرها، وإنّا قصرنا الأمر عليك تفضيلاً لك
 على سائر الرسل، فقابل هذا التعظيم والتبجيل بالتصبر، و﴿لَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾
 فيما يريدونك عليه.

والضمير في ﴿بِهِ﴾ للقرآن، أو لترك الطاعة الذي دلّ عليه ﴿فَلَا تُطِيعُ﴾،
 والمراد: إنّ الكفار يجتهدون في توهين أمرك، فقابلهم من جدك واجتهادك بما تغلبهم
 به، وجعله ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ للمشاق العظيمة التي يحتملها فيه. ويجوز أن يكون
 المراد: وجاهدهم بسبب كونك نذيراً للجميع جهاداً كبيراً جامعاً لكل مجاهدة.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلاهما متجاورين كما يخلئ الخيل في المرح. والفرات: البالغ
 في العذوبة، والأجاج ضده.

﴿بَرْزَخًا﴾ أي: حائلاً من قدرته يفصل بينهما ويمنعها التمازج.

﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ مر تفسيره^(١)، وهو هاهنا مجاز، كأنّ كل واحد من
 البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له: حجراً محجوراً، كما قال: ﴿لَا يَبْتَغِيَانِ﴾^(٢)
 أي: لا يبغي أحدهما على صاحبه، فانتفاء البغي هناك كالتعوذ هنا، جعل كل واحد

(١) الآية: ٢٢.

(٢) الرحمن: ٢٠.

منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه.

﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ أي: من النطفة ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ أي: فقسم البشر قسمين: ذوي نسب ذكوراً ينسب إليهم، ﴿وَصِيْهَرًا﴾ أي: إناثاً يصاهر بهن ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ يخلق من النطفة الواحدة نوعين: ذكراً وأنثى.

والظهير بمعنى المظاهر، أي: يظهر الشيطان على ربه بعبادة الأوثان.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ معناه: إلا فعل من شاء أن ينفق المال في طلب رضا ربه، ويتقرب بالصدقة في سبيله، وهو معنى الاتخاذ إلى الله سبيلاً.

أي: تمسك بالتوكل ﴿عَلَى الْيَحْيَى الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ وثق به في استكفاء شروهم، وعن بعض السلف أنه قرأها فقال: (لا يصحّ لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق)^(١).

﴿وَكَفَى بِهِ﴾ الباء زائدة، أي كفاك الله، ﴿خَيْرًا﴾ تمييز أو حال، أراد بهذا أنه ليس إليه من أمر عباده شيء، آمنوا أم كفروا، وأنه خير بأحوالهم، كاف في جزاء أعمالهم.

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ و﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبره، أو هو صفة ل﴿الْحَيِّ﴾ و﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل عن الضمير المستكن في ﴿أَسْتَوَى﴾. وقرئ: الرحمن - بالجر - صفة ل﴿الْحَيِّ﴾، وقرئ: فاسأل، والباء في ﴿بِهِ﴾ صلة (سل) كقوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٢) كما أنّ (عن) صلته في قوله: ﴿لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(٣)، فقولك: سأل به مثل اهتم به واعتنى به، وسأل عنه (فتش عنه) و(بحث عنه).

(١) الكشف ج ٣: ٢٨٨.

(٢) المعارج: ١.

(٣) التكاثر: ٨.

ويجوز أن يكون صلة ﴿خَيْرًا﴾ ويجعل ﴿خَيْرًا﴾ مفعول (سل)، والمعنى: فسل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته، أو فسل رجلاً خبيراً به وبرحمته، أو فسل بسؤاله خبيراً، كما تقول: رأيت به أسداً، أي: برؤيته، والمعنى: إن سألته وجدته خبيراً، أو تجعله حالاً عن الهاء تريد: فسل عنه عالماً بكل شيء. وقيل: الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة، ولم يكونوا يعرفونه، فقيل له: سل بهذا الاسم من يخبرك به من أهل الكتاب^(١).

﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ أنكروا إطلاق هذا الاسم على الله لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم.

﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي: للذي ﴿تَأْمُرُنَا﴾ بالسجود له؟ فحذف على ترتيب، وقرئ بالياء، أي: لما يأمرنا محمّد، ويأمرنا المسمّى بالرحمن. ويجوز أن تكون (ما) مصدرية أي: لأمرك لنا.

وفي ﴿زَادَهُمْ﴾ ضمير ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ لأنه هو المقول.

نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ

يَقْتُلُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
 اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا
 يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ
 يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهَكَمًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
 عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
 غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

يريد بالبروج: منازل الكواكب السيارة، وهي اثنا عشر برجاً، سميت
 بالبروج التي هي القصور العالية لأنها هذه الكواكب كالبروج لسكانها، والسراج:
 الشمس. وقرئ: سرجاً، وهي الشمس [والكواكب الكبار معها. وعنهم الشمس]: لا
 تقرأ سرجاً إنما هي سراجاً، وهي الشمس^(١).

والخلفة: الحالة التي يختلف عليها الليل والنهار، ويختلف كل واحد منهما
 الآخر، والمعنى: جعلها ذوي خلفه، أي: ذوي عقبه، يعقب هذا ذاك وذاك هذا.
 وقرئ: يَذْكُرُ وَيُنَكِّرُ، أي: لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم أن لابد لهما من
 مغير وناقل من حال إلى حال، ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل
 والتصرف بالنهار، أو ليكونا وقتاً للمتذكرين والشاكرين، من فاته ورده في أحدهما
 قضاءه في الآخر.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ خبره في آخر السورة قوله: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ
 الْعُرْفَةَ﴾، ويجوز أن يكون خبره ﴿الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾. ﴿هُونًا﴾ حال أو
 صفة للمشي، أي: هينين، أو مشياً هيناً، إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة

مبالغة، والهن: الرفق واللين، وفي المثل: (إذا عَزَّ أخوك فهن)^(١)، أي: يمشون بسكينة وتواضع.

﴿سَلَمًا﴾ تسليماً منكم لا نجاهلكم، ومتاركة لا خير بيننا ولا شر، أي: نتسلم منكم تسليماً، فأقيم السلام مقام التسليم، وقيل: قالوا سداداً من القول يسلمون فيه من الإثم^(٢). والمراد بالجهل: السفه وقلة الأدب.

بات خلاف ظلّ، وصفوا بإحياء الليل أو أكثره ساجدين وقائمين.

﴿غَرَامًا﴾ أي: هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً، قال:

إِنْ يُعَاقَبُ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي^(٣)

ومنه: الغريم لأنه يلح ويلزم، يعني: إنهم مع عبادتهم واجتهادهم خائفون متضرعون إلى الله في استدفاع العذاب عنهم.

﴿سَاءَتْ﴾ في حكم (بئست)، فيها ضمير مبهم يفسره ﴿مُسْتَقْرًا﴾، والمخصوص بالذم محذوف، ومعناه: ساءت مستقراً ومقاماً هي، وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم (إِنَّ) وجعلها خبراً لها. ويجوز أن يكون ﴿سَاءَتْ﴾ بمعنى أحرزت، وفيها ضمير اسم (إِنَّ)، و﴿مُسْتَقْرًا﴾ حال أو تمييز. والتعليان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين، وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ قرئ بكسر التاء وضمها ويقترؤا - بضم الياء .. والقتر والإقتار نقيض الإسراف الذي هو مجاوزة الحد في النفقة، وصفهم بالقصد الذي

(١) مجمع الأمثال ج ١: ٣٥.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٩: ٢٢.

(٣) ديوان الأعشى: ١٠.

هو بين الغلو والتقصير.

والقوام: العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما، ونظيره: السواء من الاستواء. ويجوز أن يكون ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ و﴿قَوَامًا﴾ خبرين معاً، وأن يكون ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ لغواً، و﴿قَوَامًا﴾ مستقراً، وأن يكون الظرف خبراً و﴿قَوَامًا﴾ حال مؤكدة.

﴿الْأَنفَسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: حرّمها، والمعنى: حرّم قتلها، وتعلّق ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بهذا القتل المحذوف أو بـ﴿لَا يَقْتُلُونَ﴾.

نفى عنهم هذه الأفعال القبيحة، وبرّأهم منها تعريضاً بما كان عليه أعداؤهم من الكفار، كأنه قال: والذين برّأهم الله مما أنتم عليه. والقتل بغير حقّ يدخل فيه الوأد وغيره.

والأثام: جزاء الإثم كالوبال والنكال، وقيل: هو الإثم^(١). والمعنى جزاء أثام.

﴿يُضَنَعَفُ﴾ بدل من ﴿يَلْقَى﴾ لأنّها في معنى واحد، وقرئ: يضاعف - بالرفع -، ويخلد - بالرفع -، ويضعف - بالرفع والجزم -، والرفع على الاستئناف أو على الحال.

وتبديل السيئات حسنات أن تمحى السيئة وتثبت بدلها الحسنة، وقرئ: يُبْدَلُ، من الإبدال. وقيل: يبدلون بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام^(٢).

(١) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج٧: ١٤٨.

(٢) عن قتادة وغيره. الدر المنثور ج٥: ٧٩.

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

﴿وَمَنْ﴾ ترك المعاصي وندم عليها، ودخل في العمل الصالح فإنه يرجع ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وإلى ثوابه مرجعاً حسناً أي مرجع، أو فإنه تاب بذلك إلى الله ﴿مَتَابًا﴾ مرصياً عنده.

﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: مجالس الفساق، ولا يحضرون الباطل، وقيل: هو الغناء^(١)، وروي ذلك عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام^(٢)، وفي مواضع عيسى بن مريم: (إياكم ومجالسة الخطائين)^(٣). وقيل: لا يشهدون شهادة الزور^(٤) فحذف المضاف.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي: بأهل اللغو والمشتغلين به ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم، معرضين عنهم. واللغو: كل ما

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٩: ٣١.

(٢) الكافي ج ٦: ٤٣١-٤٣٣.

(٣) الكشف ج ٣: ٢٩٥.

(٤) عن علي بن أبي طلحة. معالم التنزيل ج ٣: ٩٨.

ينبغي أن يلقي وي طرح.

﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: وعظوا بالقرآن والأدلة ﴿لَمْ يَخْرُؤْ عَلَيْهَا صُغًا﴾ ليس بنفي للخروج، بل هو إثبات له ونفي للصمم والعمى، أي: إذا ذكروا بها أكتبوا عليها حرصاً على استماعها وهم سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية.

وقرئ: وذريتنا. سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأولاداً وأعقاباً تقر بهم عيونهم، وتسّر بهم نفوسهم، وعن ابن عباس: (هو الولد إذا رآه يكتب الفقه)^(١). ﴿إِمَامًا﴾ أراد أئمة، واكتفى بالواحد لدلالته على الجنس، أو أراد جمع أم كصائمه وصيام.

و﴿مَنْ﴾ للبيان، أي: هب لنا قرّة أعين، ثم بين القرّة بقوله: ﴿مَنْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾، وهو من قولهم: رأيت منك أسداً أي: أنت أسد. ويجوز أن يكون للابتداء بمعنى: هب لنا من جهتهم ما تقرّ به أعيننا من صلاح وعلم، ونكر القرّة بتنكير المضاف إليه، فكأنّه قال: هب لنا منهم سروراً وفرحاً. وعن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال عليه السلام: ((إيانا عنى))^(٢)، وروي عنه عليه السلام أنّه قال: ((هذه فينا))^(٣)، وعن أبي بصير^(٤) قال: ((قلت: واجعلنا للمتقين إماماً؟ فقال عليه السلام: سألت ربك عظيماً، إنّها هي: واجعل لنا من المتقين إماماً))^(٥).

(١) الكشف ج٣: ٢٩٦.

(٢) تفسير القمي ج٢: ١١٧ بالمعنى.

(٣) المحاسن ج١: ١٧٠.

(٤) أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي، وقيل: أبو محمّد، ثقة جليل، روى عن الباقر والصادق والكاظم عليه السلام وله كتاب، مات سنة ١٥٠ هـ. ينظر: معجم رجال الحديث ج٢: ٨٨.

(٥) تفسير القمي ج٢: ١١٧.

﴿تَجَزَّوْنَ الْفُرْقَةَ﴾ يريد الغرفات، وهي العلالى في الجنة، فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس، يدلّ عليه قوله: ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ﴾^(١).
 ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبرهم على الطاعات، وعن الشهوات، وعلى مجاهدة الكفار، ومقاساة الفقر ومشاق الدنيا، لشياع اللفظ في كل مصبور عليه. وقرئ: ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾، وهو كقوله: ﴿وَلَقَاهُمْ نَصْرَةٌ﴾^(٢)، ويلقون كقوله: ﴿يُلْقِ أَثَامًا﴾^(٣).
 ﴿حِجَّةً﴾: قولاً يَسْرُونَ به، ودعاء بالتعمير تحييم الملائكة ويسلمون عليهم، أو يحمي بعضهم بعضاً ويسلم عليه، وقيل: يعطون ملكاً عظيماً وتخليداً مع السلامة من كل آفة.

﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: موضع استقرار وموضع إقامة.

﴿مَا يَعْجُبُ بِكُمْ﴾ أي: ما يبالي بكم ربّي، ولم يعتدّ بكم ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أي: عبادتكم، وقيل: ﴿مَا﴾ استفهامية في محلّ النصب، وهي عبارة عن المصدر^(٤)، كأنه قال: أي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم، أي: لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم. وحقيقة قولهم: ما عبأت به: ما اعتدت به من مهماتي وما يكون عباً عليّ، وقيل: لولا دعاؤكم إياه إذا مسكم ضرّ رغبة إليه وخضوعاً له. وفي هذا دلالة على أنّ الدعاء من الله بمكان، وقيل: معناه: ما يصنع بكم ربّي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام^(٥).

(١) سبأ: ٣٧.

(٢) الإنسان: ١١.

(٣) الفرقان: ٦٨.

(٤) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٢٧٥.

(٥) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٢٧٥.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بالتوحيد وبمن دعاكم إليه ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب
 ﴿لِرَآئِكُمْ﴾ أي: لازماً لكم واقعاً بكم لا محالة، وهو القتل يوم بدر أو عذاب
 الآخرة.

سورة الشعراء

مكية كلها إلا قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى آخرها، مائتان وسبع وعشرون آية كوفي، ست في غيرهم، ﴿طسم﴾ كوفي، ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ غيرهم، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير البصري.

في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة الشعراء) كان له من الأجر بعدد من صدق بنوح وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى، وصدق بمحمد))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله وفي جواره وكنفه، ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً، وأُعطي في الآخرة من الجنة حتى يرضى وفوق رضاه، وزوجه الله مائة حوراء من الحور العين))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَكَآ بَنُجٌ نَفْسَكَ
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ شَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَمَّا خَضَعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثًا إِلَّا

(١) الكشف والبيان ج ٧: ١٥٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٩.

كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتْوْا مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ
﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

طاء وياء وحاء من ﴿طسم﴾ و﴿يس﴾ و﴿حم﴾ قرئ بالإمالة والتفخيم،
وقرئ نون (سين) بالإظهار والإدغام.

﴿الْكِتَابِ الْأَمِينِ﴾ هو اللوح المحفوظ يبين للناظرين في كل ما هو كائن، أو
القرآن يبين ما أودع من الحكم والشرائع وأنواع العلوم، أو هو الظاهر إعجازه
وصحة أنه من عند الله.

والبخع: الإهلاك، و﴿لَعَلَّكَ﴾ للإشفاق، أي: أشفق على نفسك أن تقتلها
حسرة على ما فاتك من إسلام قومك.

﴿أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: خيفة أن لا يؤمنوا، أو لأن لا يؤمنوا.

﴿إِنْ تَشَأْ نُزِّلْ﴾ آية ملجئة إلى الإيمان، كما نتق الجبل على بني إسرائيل.

﴿فَطَلَّتْ﴾ معطوف على ﴿نُزِّلْ﴾، والأصل: فظلوا ﴿هَٰذَا خَضِيعِينَ﴾
فأفحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله. ويجوز أن
يكون الأعناق لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل: ﴿خَضِيعِينَ﴾ كقوله:
﴿لِي سَاجِدِينَ﴾^(١)، وقيل: المراد بالأعناق الرؤساء والمقدمون^(٢)، شبهوا بالأعناق
كما قيل لهم: الرؤوس والصدور والنواصي، قال:

(١) يوسف: ٤.

(٢) عن مجاهد. معالم التنزيل ج ٣: ٩٩.

فِي تَخْفِيلٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٍ^(١)

وقيل: ﴿أَعْنَقَهُمْ﴾ جماعاتهم^(٢). يقال: جاء عنق من الناس أي: جماعة.

وما يجدد الله بوحيه موعظة وتذكيراً إلا جددوا إعراضاً عنه وكفراً به.

وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم، والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه، يقال: وجه كريم مرضي في حسنه وبهائه، وكتاب كريم مرضي في معانيه، فالنبات الكريم هو المرضي في المنافع المتعلقة به.

﴿إِنَّ فِي﴾ إنبات تلك الأصناف ﴿لَآيَةٍ﴾ على أن منبتها قادر على إحياء الأموات، وقد علم الله أن ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ لا يؤمنون.

﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه منهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن يؤمن.

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمٌ فَرَعَوْنَ^{١٠} أَلَّا يَنْفَعُوهُ

﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ

لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾

قَالَ كَلَّا فَادْخُلْ يَأْسَينَ^{١٤} إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا

إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ

تُرَبِّكُ فِينَا وَلِيدًا وَلِئْسَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنَّينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ آتَيْنِ

فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنْهَىٰ عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾

(١) البيت لأم قيس الضبية. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ٣: ١٠٦٠، وصدرة: ومشهد قد كفيت الغائبين به في مجمع..

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٥: ٨٣.

﴿قَوْمٌ فَرَعَوْنَ﴾ عطف بيان. و﴿أَلَا يَنْقُوتُ﴾ كلام مستأنف، أي: أما أن لهم أن يتقوا الله ويحذروا من أيامه.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُلُنِي لِسَانِي﴾ بالرفع لأنهما معطوفان على خبر (أن)، وقرئاً بالنصب عطفاً على صلة (أن)، والرفع يفيد أن فيه ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان. والنصب يفيد أن خوفه يتعلق بهذه الثلاثة.

﴿فَأَرْسِلْ﴾ جبرائيل ﴿إِلَىٰ هَارُونَ﴾ واجعله نبياً، وآزرني به واشدد به ظهري.

﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ هو قتله القبطي، أي: ولهم عليّ تبعة ذنب، وهي قود ذلك القتل ﴿فَأَخَافُ أَنْ﴾ يقتلوني به، فحذف المضاف، أو سمى تبعة الذنب ذنباً، كما سمى جزاء السيئة سيئة.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ يعني: ارتدع يا موسى عما تظن، لأنهم لن يقتلوك به، فإنّي لا أسلّطهم عليك، فاذهب أنت وهارون.

وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ من مجاز الكلام لأنه تعالى لا يوصف بالاستماع على الحقيقة، فإن الاستماع جار مجرى الإصغاء، وإنّما يوصف بأنه سميع وسامع، والمراد: أنا لكما كالظهير المعين إذا حضر وأستمع ما يجري بينكما وبينه، فأظهر كما عليه وأكسر شوكته عنكما. ويجوز أن يكونا خبرين لـ(إن)، وأن يكون ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ مستقراً، و﴿مَعَكُمْ﴾ لغواً.

﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جعل رسول هنا بمعنى الرسالة، فلم يثن كما ثنى

في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾^(١)، كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو: صوم وزور. ويجوز أن يوحد لأن حكمهما واحد بالاتفاق والأخوة، فكأنهما رسول واحد.

﴿أَنْ أَرْسِلَ﴾ بمعنى: أي أرسل لتضمّن الرسول معنى الإرسال، وفي الإرسال معنى القول، كما في المناذرة ونحوها. ومعنى هذه الإرسال التولية والإطلاق، كما يقال: أرسل البازي. والمراد: خلّ بني إسرائيل يذهبوا معنا إلى فلسطين، وكانت مسكنهما. وفي الكلام حذف تقديره: فذهبوا إلى فرعون وبلغوا الرسالة على ما أمرا به، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ تُرَبِّكْ﴾ وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل.

الوليد: الصبي لقرب عهده بالولادة.

﴿سَيِّئٌ﴾ قيل: لبث عندهم ثمانى عشرة سنة، وقيل: ثلاثين سنة^(٢)، [وقال الكلبي: أربعين سنة]^(٣).

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكْ﴾ يعني: قتلت القبطي، أي: ﴿وَأَنْتَ﴾ لذلك ﴿مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ لنعمتي وحقّ تربيتي. فأجابه موسى بأنّ تلك الفعلة إنّما فرطت منه وهو ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾^(٤). كذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه بأن وضع ﴿الضَّالِّينَ﴾ موضع ﴿الْكَافِرِينَ﴾ ربثاً بمحلّ من رشح للنبوّة عن تلك الصفة، ثمّ أبطل امتنانه عليه بالترية، وأبى أن يسمّي نعمته نعمة بأن بيّن

(١) طه: ٤٧.

(٢) تفسير مقاتل ج ٢: ٤٤٧.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) البقرة: ٢٨٢.

أَنَّ حَقِيقَةَ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِ تَعْبِيدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّ تَعْبِيدَهُمْ وَقَصْدَهُمْ بِذَبْحِ أِبْنَائِهِمْ هُوَ السَّبَبُ فِي حَصُولِهِ عِنْدَهُ وَتَرْبِيَّتِهِ، فَكَأَنَّهُ مَنْ عَلَيْهِ بِتَعْبِيدِ قَوْمِهِ. وَتَعْبِيدُهُمْ: اتِّخَاذُهُمْ عِبِيداً وَتَذْلِيلَهُمْ.

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى خصلة منكرا لا تدرى إلا بتفسيرها.

وَمَحَلَّ ﴿أَنْ عَبَدْتَ﴾ الرفع بآته عطف بيان لـ ﴿تِلْكَ﴾، ونظيره: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾^(١)، والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها عليّ! ويجوز أن يكون في محل نصب، والمعنى: إنها صارت نعمة عليّ لأنَّ عَبَدْتَ بني إسرائيل، أي: لو لم تفعل ذلك لكفّلتني أهلي ولم يلحقوني في اليم.

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِنَّا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَرَزَقَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَإِئْتِ فِي الدَّائِنِ حَدِيثِينَ ﴿٣٦﴾ بَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَبْنِئَ السَّحَرَةَ إِنْ

كَانُوا هُمُ الْفٰلِغِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا لَأَجْرًا
إِن كُنَّا نَحْنُ الْفٰلِغِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذَا لِلْمُفْرِقِينَ ﴿٤٢﴾

﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يريد: وأي شيء هو من الأشياء المشاهدة؟ فأجابه موسى بما يستدلّ عليه من أفعاله ليعرفه أنّه ليس بشيء يمكن أن يشاهد من الأجسام والأعراض، وإنّما هو شيء مخالف لجميع الأشياء، ليس كمثله شيء، منشىء ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومبدعهما ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بأنّ هذه الأشياء محدثة منشأة وليست من فعلكم، والمحدث لا بد له من محدث.

فلما أجاب موسى بما أجاب عجب فرعون قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره. فلما ثنى موسى ﷺ بتقرير قوله، نسبه فرعون إلى الجنون وأضافه إلى قومه حيث سمّاه رسولهم طنزاً به^(١). فلما ثلث ﷺ بتقرير آخر، غضب وقال: ﴿لَئِن لَّمْ أَتَخَذْتَ إِلَهًُا غَيْرِي﴾.

وعارض موسى ﷺ قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ... لَمَجْنُونٌ﴾ بقوله: ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ الواو للحال، دخلت عليها همزة الاستفهام، والمعنى: أتفعل ذلك بي ولو جئتك ﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: جاثياً بالمعجز الظاهر.

وفي قوله: ﴿إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ أنّ المعجز لا يأتي به إلا الصادق في دعواه، لأنّه يجري مجرى التصديق من الله تعالى، فلا بد من أن يدلّ على الصدق، وتقديره: إن كنت من الصادقين في دعواك اثبت به، فحذف الجزاء لأنّ الأمر بالإتيان به يدلّ عليه.

﴿تُعَبِّانِ مُبِينٍ﴾ ظاهر الثعبانية، لا شيء يشبه الثعبان.

﴿يَصْنَعُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ فيه دلالة على أَنَّ بياضها كان شيئاً تجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورانياً له شعاع يغشى الأبصار ويسد الأفق.

وقوله: ﴿حَوْلَهُ﴾ منصوب اللفظ على الظرف، أو منصوب المحل على الحال.

﴿فَمَآذَا تَأْمُرُونَ﴾ من المؤامرة وهي المشاورة، أو من الأمر الذي هو ضد النهي، جعل العبيد أمرين وربهم مأموراً، لما دهاه من الدهش والخيرة حين أبصر الآيتين، واعترف لهم بما توقعه وأحسن به من جهة موسى ﷺ وغلبته على ملكه وأرضه. و﴿مَاذَا﴾ منصوب: إما لكونه في معنى المصدر، وإما لأنه مفعول به من قولهم:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ^(١)

وقرئ: أَرَجْنَهُ، وقد مرّ بيانه^(٢).

﴿يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ هو يوم الزينة، وميقاته وقت الضحى، لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى ﷺ من يوم الزينة.

﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه: استعجالهم، ومنه قول تأبط شراً:

هَلْ أَنْتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لِحَاجَتِنَا^(٣)

(١) ديوان العباس بن مرداس السلمي: ٣١، وبقية: فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذان شب.

(٢) ينظر: الأعراف: ١١١.

(٣) ديوان تأبط شراً: ٢٤٥، وبقية: أو عبد رب أخا عون بن مخرق.

يريد: ابعثة إلينا سريعاً ولا تبطئ.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ﴾ في دينهم إن غلبوا موسى، ولا نتبع موسى في دينه.

قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِجَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ
وَقَالُوا يِعْزُوهَ فِرْعَوْنُ إِنَّآ لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْجِينَ
﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ
ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ
السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا فَطَمَنَ أَيْدِيكُمْ وَأُزْجَلَكُم مِّنْ خَلْفٍ
وَلَأُصْبِحَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ
فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾
وَأَنَّهُمْ لَنَا لَآغِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ
جَنَّتِ وَعَيْوُونَ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزَ وَمَقَامِرَ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْحَيْنَا بِنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ
أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ
﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَرَّ فَانْفَلَقَ
فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾
وَأَجْنَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

أقسموا ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ وهي من أقسام الجاهلية، وفي الإسلام لا يصح الحلف إلا بالله تعالى أو ببعض أسمائه وصفاته، وفي الحديث: ((لا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون))^(١).

وعبر عن الخور بالإلقاء على طريق المشاكلة إذ جرى ذكر الإلقاء، يعني: إنهم إذا رأوا ما رأوا رموا بنفوسهم إلى الأرض ﴿سَجِيدِينَ﴾ كأنهم أخذوا فطرحوا وألقوا.

الضر: الضر، أرادوا لا ضرر علينا في ذلك، بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه من الثواب العظيم، أو ﴿لَا ضَيْرَ﴾ لنا في القتل إذ لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت، والقتل أهون أسبابه وأرضاه، لأننا نقلب إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ورحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان. ﴿أَنْ كُنَّا﴾ معناه: لأن كنا.

وعلل الأمر بالإسراء بقوله: ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ على معنى: إن التدبير في أمرهم أن يتقدموا ويتبعهم فرعون وجنوده، ويسلكوا مسالكهم في البحر فيهلكهم الله بإطباق البحر عليهم.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ محكي بعد قول مضمر. والشرذمة: الطائفة القليلة، ذكرهم بهذا الاسم الدال على القلة ثم وصفهم بالقلة. ويجوز أن يريد بالقلة المذلة والقماء، ولا يريد قلة العدد، يعني: إنهم لقلتهم لا يبالى بهم.

﴿وَلَيْتُمْ﴾ يفعلون أفعالاً تغيظنا، ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج بادرنا إلى حسم مادة فساد، وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن لثلاثين به ما يكسر من سلطانه. وقرئ:

حذرون و﴿حَذِرُونَ﴾، فالحذر: المتيقظ، والحاذر: المستعد.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ منازل حسنة، وقيل: مجالس الأمراء التي يحتف بها الأتباع.

﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك، أو نصب

أي: أخرجنهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه.

﴿فَأَنبَعُوهُمْ﴾ فلحقوهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت الشروق.

[﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾] ^(١) سيهديني طريق النجاة من إدراكهم.

[﴿أَن أَضْرِبَ﴾] ^(٢) أي: فضرب ﴿فَأَنفَلَقَ﴾ البحر وظهر فيه اثنا عشر طريقاً.

والفرق: الجزء المتفرق فيه. والطود: الجبل العظيم.

﴿وَأَزَلَفْنَا نَمَ﴾ أي: حيث انفلق البحر ﴿الْآخِرِينَ﴾ يعني: قوم فرعون قربناهم

من بني إسرائيل، وأدناينا بعضهم من بعض، وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لا توصف، قد عاينها الناس وما تنبّه عليها ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾.

وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾
قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ
تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
الْأَفْئِدُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي
فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الذِّبِّ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْجِئَنِي
بِالصَّدَقَاتِ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي
مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لَأَيِّئِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا
تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُوكُمْ أَوْ
يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُجِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَخُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ
﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّبُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ﴿٩٩﴾
فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ قَلَوْا أَنْ لَنَا كُرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

سألهم إبراهيم عليه السلام - وإن كان يعلم عبادتهم الأصنام - ليريهم أن ما يعبدونه
بعيد عن استحقاق العبادة.

ولابد في ﴿يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ﴾ من تقدير حذف المضاف، معناه: هل يسمعون
دعاءكم، وهل يقدرّون على ذلك؟ وجاء مضارعاً مع إيقاعه على ﴿إِذْ﴾ لآته
حكاية حال ماضية.

وإنما قال: ﴿عَدُوٌّ لِي﴾ على معنى: أتى فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها
عبادة للعدو الذي هو الشيطان فاجتنبتها، وأثرت عبادة من الخير كله منه، وأراهم
بهذا القول أنه نصيحة نصح بها نفسه، لينظروا فيقولوا: ما نصحن إبراهيم إلا بما
نصح به نفسه، ويكونوا إلى القبول أقرب، ولو قال: فإنهم عدو لكم لم يكن بهذه

المثابة. والعدو والصديق يكونان بمعنى الواحد والجمع، قال الشاعر:

وَقَوْمٍ عَلَيَّ ذَوِي مِثْرَةٍ أَرَاهُمْ عَدُوًّا وَكَأَنُوا صَدِيقًا^(١)

﴿لَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناء منقطع، كأنه قال: لكن رب العالمين.

وقال: ﴿إِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل: أمرضني، لأن كثيراً من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في طعامه وشرابه وغير ذلك.

وإنما قال: ﴿أَطْمَعُ أَنْ يَعْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، أو أراد أطمع أن يغفر لأجلي خطيئة من يشفعني فيه، فإن الأنبياء ﷺ منزّهون عن الخطايا والآثام، فاستغفارهم محمول على تواضعهم لربهم وهضمهم لأنفسهم، ويدلّ على ذلك قوله: ﴿أَطْمَعُ﴾ ولم يجزم القول بالمغفرة. وفيه تعليم لأئمهم.

﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾ أي: حكمة أو حكماً بين الناس بالحق، وقيل: الحكم: النبوة^(٢)، لأن النبي ذو حكم بين الناس وذو الحكمة والعلم ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ اجمع بيني وبينهم في الجنة.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ من الخزي الذي هو الهوان، أو من الخزاية التي هي الحياء، وهذا أيضاً من نحو استغفارهم مع عصمتهم وبعدهم عما يوجب الاستغفار، وفي ﴿يُبْعَثُونَ﴾ ضمير للعباد لأنه معلوم.

﴿إِلَّا﴾ حال ﴿مَنْ أَمَّا اللَّهُ يَقَلِّبْ سَلِيمٌ﴾ وهو من قولهم:

تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٣)

(١) لم أعر على قائله في المصادر المتوفرة.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٣: ١٠٣.

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب: ١٣٧، وصدره: وخيل قد دلفت لها بخيل.

وبيانه أن يقال لك: هل لزيد مال وبنون؟ فتقول: ماله وبنوه سلامة قلبه، تريد نفي المال والبنين عنه، وإثبات سلامة القلب له بدلاً من ذلك. ويجوز حمل الكلام على المعنى بأن يجعل المال والبنين في معنى الغنى، [كأنه قيل: لا ينفع غنى]^(١) إلا غنى من أتى الله بقلب سليم، لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه، كما أن غناه في دنياه بيماله وبنيه. ويجوز أن يكون مفعولاً لـ ﴿يَنْفَعُ﴾ أي: لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث أنفق في طاعة الله، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع. وقيل: القلب السليم الذي أسلم وسالم واستسلم. وعن الصادق عليه السلام: ((هو القلب الذي سلم من حب الدنيا))^(٢).

﴿وَأَزَلَفَتْ أَجْنَتُهُ لِمُنْفِقٍ﴾ أي: قرّبت من موقفهم ينظرون إليها ويغضبون بمكانهم منها.

﴿وَوَرِثَ الْجَنَّةَ﴾ كشفت للأشقياء يتحسّرون على أنهم المسوقون إليها، قال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣) يجمع عليهم الغموم، فتجعل النار بمرأى منهم ويقال لهم: أين آهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم؟ أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وما كانوا يعبدونهم وقود النار، وهو قوله: ﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمُ وَالْغَاوُونَ﴾ أي: الألهة، والغاؤون أي: عبدتهم. والكبكة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في النار يكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعر جهنم، اللهم أعذنا منها. وكبكب معهم ﴿جُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أي: أتباعه وشياطينه.

(١) ساقطة من ج، ط.

(٢) مجمع البيان ج ٧-٨: ١٩٤.

(٣) الملك: ٢٧.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ أي: يخاصم بعضهم بعضاً.

و﴿إِنْ﴾ هي المخففة من الثقيلة، أي: إنا كنا في ﴿صَلَكَ لِي مُيِّنٍ﴾ إذ سويناكم بالله في توجيه العبادة إليكم.

والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم: رؤساؤهم وكبراؤهم والذين اقتدوا بهم ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَصْلَحُونَا السَّبِيلَ﴾^(١).

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ يشفعون لنا، ويسألون في أمرنا، كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من النبيين والأوصياء، ﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾ كما نرى لهم أصدقاء. الصادق عليه السلام: ((والله لنشفعن لشيعتنا - قالها ثلاثاً - حتى يقول عدونا: فما لنا من شافعين... إلى قوله: من المؤمنين))^(٢). وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: ((إِنَّ الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان؟ - وصديقه في الجحيم - فيقول الله سبحانه: أخر جواله صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي في النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم))^(٣).

والحميم من الاهتمام، وهو الذي يهتم ما يهتك، أو من الحامة بمعنى الخاصة، وهو الصديق الخاص. وإنما جمع الشفعاء ووحد الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق الصادق في الوداد، ويجوز أن يكون المراد بالصديق الجمع.

والكرّة: الرجعة إلى الدنيا، و﴿لَوْ﴾ هنا في معنى التمتي، المعنى: فليت لنا كرة، ويمكن أن يكون ﴿لَوْ﴾ على أصل معناه، ويكون محذوف الجواب والتقدير: لفعلنا كذا.

(١) الأحزاب: ٦٧.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ج ٨: ٢٧٨٦. تفسير القمي ج ٢: ١٢٣.

(٣) الكشف والبيان ج ٧: ١٧٢.

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَنْفَوْنَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوايُوحَى ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوايُوحَى ﴿١١٠﴾
قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْضَحَ بَيْنِي
وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَبَحْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي
الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

القوم مؤث، وتصغيره قويمه.

﴿أَخُوهُمْ﴾ مثل قول العرب: يا أخا بني أسد، يريدون: يا واحداً منهم، ومنه

بيت الحماسة:

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّاتِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا^(١)

﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على الرسالة، أو كان مشهوراً فيهم بالأمانة كمحمد ﷺ في

قريش.

﴿وَأَطِيعُوايُوحَى﴾ فيها أدعواكم إليه من الإيمان والتوحيد.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ على هذا الأمر ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ يعني على دعائه ونصحه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في طاعتي، وكرر ذلك ليقرره في نفوسهم مع أن كل واحد

(١) البيت لقريط بن أنيف العنبري. ديوان الحماسة: ٢٩.

منهما قد تعلّق بعله، جعل علة الأوّل كونه أميناً فيما بينهم، وعلة الثاني حسم طمعهم عنهم.

قري: وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهد، أو جمع تبع كبطل وأبطال. والواو للحال، والتقدير: وقد اتبعك، فأضمر (قد). والردالة والندالة: الخسة والدناءة، وإنّما استردلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا، وقيل: كانوا من أهل الصناعات الدنيئة كالحياكة ونحوها^(١).

﴿وَمَا عَلَيَّ﴾ وأي شيء علمي؟ والمراد: انتفاء علمه بسرّ أمرهم وباطنه، وإنّما قال هذا لأنّهم قد طعنوا مع استردالهم في إيمانهم، وادّعوا أنّهم لم يؤمنوا عن بصيرة وإنّما آمنوا هوى وبديهة، كما حكى الله عنهم قولهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن كَذَّبُوا بِالرَّأْيِ﴾^(٢). ويجوز أن يكون قد فسّر نوح قولهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن كَذَّبُوا بِالرَّأْيِ﴾ بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقيدة، ثمّ بنى جوابه على ذلك فقال: ما عليّ إلا اعتبار الظواهر دون الفحص عن الضمائر، فإن كانوا على ما وصفتهم فالله محاسبهم ومجازيهم وما أنا إلا نذير لا محاسب ولا مجاز، وليس من شأنّي أن أطرد ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ طمعاً في إيمانكم.

﴿قَالُوا لَيْنَ لَّمْ تَنْتَهَ﴾ أي: إن لم ترجع عما تقول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشتم.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ إنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم. والفتاح: الحاكم، والفتاحة: الحكومة.

﴿الْفُلُوكِ﴾ السفينة، وهو واحد هنا، وجمع في قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ

(١) عن قتادة وغيره. الدر المنثور ج ٥: ٩١.

(٢) هود: ٢٧.

مَوَاحِرَ ﴿١١٠﴾ فالواحد كقفل، والجمع كأسد، جمعوا فعلاء على فعل كما جمعوا فعلى على فعل لأنهما أخوان في قولك: العرب والعرب، والعجم والعجم، والرشد والرشد.

﴿الْمَشْحُونُ﴾ المملوء.

كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْقُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنِّي لَكُرُّ رَسُولٍ أَمِينٌ ﴿١٢٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةٍ تَبْنُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَخِدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِاتِّعَامٍ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَحَنَّتْ وَعُمُونُ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

الريع: المكان المرتفع، والآية: العلم، قيل: كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم، فاتخذوا في طرقهم أعلاماً طوالاً فعبثوا بذلك، لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم^(١)، وقيل: كانوا يبنون أبنية لا يحتاجون إليها لسكنائهم، فجعل بناء ما يستغنون عنه عبثاً منهم. وعن النبي ﷺ: ((كل بناء يبني وبال على صاحبه يوم

(١) فاطر: ١٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢: ٤٥٩.

القيامة إلا ما لا بد منه^(١). وقيل: كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة فيعبثوا بهم^(٢).

والمصانع: مأخذ الماء، وقيل: القصور المشيدة والحصون^(٣).
﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي: ترجون الخلود في الدنيا، أو تشبه حالكم حال من يخلد.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ بسوط أو بسيف ﴿بَطَشْتُمْ﴾ ظالمين عالين، وقيل: الجبار: الذي يقتل ويضرب على الغضب^(٤)، وعن الحسن: (مبادرين تعجيل العذاب لا يتفكرون في العواقب)^(٥).

ثم نبههم على نعم الله تعالى عليهم، فأجلها بقوله: ﴿أَمَذْكُرِمَا تَعْلَمُونَ﴾، ثم فصلها وعددها عليهم، وعرفهم النعم بتعديدها.

أي: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ﴾ من أهل الوعظ. وقرئ: خَلَقَ الْأَوَّلِينَ - بالفتح - ومعناه: إن ما جئت به ليس إلا اختلاق الأولين وكذبهم، أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الماضية، نحيا كما حيوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا حساب. وقرئ: خلق الأولين - بالضم - أي: ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر، أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلقفون مثله.

(١) مسند أبي يعلى ج ٧: ٣٠٩، وينظر: المحاسن ٢: ٦٠٨.

(٢) معالم التنزيل ج ٣: ١٠٤.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٩: ٥٩.

(٤) عن مجاهد. الكشف والبيان ج ٧: ١٧٥.

(٥) التبيان ج ٨: ٤١ بالمعنى.

كَذَبَتْ نُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوايَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتَتَزَكُّونَ فِي مَا هَاهُنَا
ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَدَرِينِ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوايَ ﴿١٥٠﴾
وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُتَشَفِّينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا فَأْتِ بَشَايَءَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ
لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ
الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾
وَلَوْ أَنَّ رَبَّكَ لَهَوُ الْعَرَبِ لَرَّيْزُ الرَّحِيمِ ﴿١٥٩﴾

﴿فِي مَا هَاهُنَا﴾ أي: في الذي استقر في هذا المكان من النعيم، ثم فسر ذلك
بقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ والمعنى: ﴿أَتَتَزَكُّونَ﴾ فيما أنتم فيه من نعيم الدنيا لا
تزالون عنه.

وخصّ النخل بإفرادها من جملة الجنات لفضله، أو لآله أراد بالجنات غير
النخل من الشجر ثم عطفها عليها. والطلع: الكفري^(١) لآله يطلع من النخل.
والهضيم: اللطيف الضامر من قولهم: كشح هضيم، وفي طلع إناث النخل لطف
ليس ذلك في طلع فحالتها، وقيل: الهضيم: اللين النضيج^(٢).

(١) كتاب العين ج ٥: ٣٥٨.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٩: ٦١.

وقرى: فرهين و﴿فَرِهَيْنِ﴾، والفاره: الكيس الحاذق، أي: حاذقين بنحتها، والفره: الأشر البطر.

[﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا﴾]^(١) أي: أطيعوني فيما أمركم به ﴿وَلَا تُطِيعُوا﴾ رؤساءكم المفسدين، ولا تمتثلوا أوامرهم.

والمسخر: الذي سحر كثيراً حتى غلب على عقله، أي: سحرت مرة بعد أخرى فصرت لا تدري ما تقول، وقيل: معناه: أنت من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب مثلنا، فلم صرت أولى بالنبوة منا؟!^(٢).

والشرب: النصيب من الماء إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، ولهم ﴿شَرِبْتُ يَوْمٍ﴾ لا تشرب فيه الماء، وإنما عظم اليوم لحلول العذاب العظيم فيه.

كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْقِزُ
﴿١٦١﴾ إِيَّاكُمْ رَسُولٌ آمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا ﴿١٦٣﴾ وَمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رُبُّكُمْ
مِنْ أَنْوَابِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ بِلُوطٍ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِيَّاكُمْ مِنْ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا
عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا
فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٩: ٦٣.

أي: أتأتون من بين أولاد آدم ذكرانهم كأَنَّ الإناث قد أعوزتكم؟ والمراد بـ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ الناس، أو أتأتون أنتم من بين ما عداكم من العالمين الذكران؟ بمعنى: إنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة. والمراد بالعالمين: كل ما ينكح من الحيوان.

و﴿مِنْ﴾ في ﴿مِنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾ تبيين لما خلق.

﴿عَادُونَ﴾ معتدون في الظلم، متجاوزون فيه الحد.

﴿لَيْنَ لَّمْ تَنْتَهَ﴾ عن نهينا، ولم تمتنع عن تقييح أفعالنا ﴿لَتَكُونَنَّ﴾ من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا، وطردهنا من بلدنا.

﴿مَنْ الْقَالِينَ﴾ أبلغ من أن يقول: إِنِّي لعملكم قال، كما يقال: فلان من العلماء، أي: معدود في جهلتهم معروف بالعلم فيهم، ويجوز أن يكون المراد: إِنِّي من الكاملين في فلاكم، والقلبي: البغض الشديد، كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد.

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من عقوبة عملهم.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ﴾ أي: مقدراً غبورها في العذاب والهلاك، قيل: إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة. قال قتادة: (أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم)^(١)، وعن ابن زيد^(٢): (لم يرض بالانقلاب حتى أتبعه مطراً من حجارة)^(٣)، والتقدير: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ مطرهم فحذف، ولم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم إنما هو للجنس.

(١) الكشف ج٣: ٣٣١.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، مات سنة ١٨٢ هـ. ينظر: طبقات المفسرين ج١: ٢٦٥.

(٣) الكشف ج٣: ٣٣١.

كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا
 مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولَىٰ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾
 وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ
 عَلَيْنَا كَيْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّ
 أَعْلِمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ
 عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ
 ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

قري: ﴿أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ بالهمزة وبتخفيفه وبالجر على الإضافة، وقري
 بالفتح على أَنَّ أَيْكَةَ اسم بلد. وروي: أَنَّ أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر
 ملتف، وكان شجرهم الدوم^(١).

ولم يقل: أخوهم شعيب كما في المواضع المتقدمة، لأن شعيباً لم يكن من
 أصحاب الأيكة، وفي الحديث: ((إِنَّ شعيباً أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب
 الأيكة))^(٢).

بخسه حقّه بمعنى: نقصه إياه ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ أي: لا تنقصوا الناس
 حقوقهم، وهو عام في أن لا يهضم حق لأحد، ولا يغصب ملك ولا يتصرف فيه

(١) تاريخ الطبري ج ١: ١٦٧.

(٢) الكشف ج ٣: ٣٣٢.

إلا بإذن مالكه.

وعثا في الأرض يعثو، وعثا يعثي، وعثا يعيث بمعنى، وذلك نحو: قطع الطريق وإهلاك الزرع.

﴿وَالْحِجْلَةَ﴾ الخليفة، أي: ذوي الجبلّة، وهو كفولك: والخلق الأولين.

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ دخلت الواو هنا لمعنى، وهو أنهم قصدوا أنّ البشرية والتسحير كليهما مناف للرسالة عندهم. (إن) المخففة من الثقيلة، وهي ولاهما تفرقتا على فعل (الظن) وثاني مفعوليه، لأنهما في الأصل يتفرقان على المبتدأ والخبر، فلما كان باب (كان) وباب (ظننت) من جنس باب المبتدأ والخبر، قالوا أيضاً في البابين: إن كان زيد لقائهما، وإن نظنك لمن الكاذبين.

وقرى: ﴿كَسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها، وكلاهما جمع كسفة، أي: إن كنت صادقاً فادع الله أن يسقط علينا كسفاً من السماء.

﴿قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل، وإن أراد عقاباً آخر فعل ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ الله بمثل ما اقترحوه من عذاب ﴿الظِّلَّةِ﴾. يروى: أنه حبس عنهم الريح سبعاً، وسلط عليهم الومد^(١) فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا إلى البرية فأظلمت سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً، فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا^(٢).

وَلَهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ وَلَهُ لَنُفُورُ
الْأَوَّلِينَ ﴿١١٦﴾ أَوْ لَرَّيْكَ لَمْ يَأْتِ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُونَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١٧﴾

(١) الومد: شدة حر الليل. (الصحاح: مادة ومد)

(٢) الكشف والبيان ج٧: ١٧٩.

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٨٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا
 بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٩٠﴾
 لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٩١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً
 وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿١٩٣﴾ أَفِعْدَابِنَا
 يُسْتَعْجِلُونَ ﴿١٩٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا
 كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٩٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿١٩٧﴾ وَمَا
 أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٩٩﴾
 وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢٠٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٠١﴾
 إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُوُونَ ﴿٢٠٢﴾

﴿وَلَوْ﴾ الضمير للقرآن، والمراد بالتنزيل: المنزل.

وقرى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، ونزل به الروح، والباء في كلتا القراءتين
 للتعدي، أي: جعل الله الروح الأمين نازلاً به.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: حفظك وفهمك إياه وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى،
 كقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(١).

﴿بِلِسَانٍ﴾ الباء يتعلق بـ ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾ أي: لتكون من الذين أنذروا بهذا
 اللسان وهم خمسة: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم
 أجمعين، أو يتعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾ فيكون المعنى: نزل به باللسان العربي لتنذر به، لأنه لو
 نزل باللسان الأعجمي لقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه؟ فيتعذر الإنذار.

وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له

على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك، ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك، فكنت تسمع أجراس حروف ولا تفهم معانيها ولا تعيها.

﴿وَأَنذَرْتُكُمْ﴾ يعني القرآن ﴿لَفِي زُبرٍ آلَآوَلِينَ﴾ يعني: ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية على وجه البشارة به وبمحمد ﷺ، وقيل: إن معانيه من الدعاء إلى التوحيد وغيره فيها.

وقرى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ﴾ بالتذكير و﴿آيَةً﴾ بالنصب على أنها خبره و﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾ هو الاسم، وقرئ: تكن بالتأنيث، وآية بالرفع على أن في (تكن) ضمير القصة، وآية خبر المبتدأ الذي هو ﴿أَن يَعْلَمَهُ﴾، والجملة خبر كان، والمعنى: ألم يكن علم علماء بني إسرائيل بمجيئه دلالة لهم على صحة نبوته، وهم عبد الله بن سلام وغيره، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا يُنْذِرُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾^(١).

والأعجم الذي لا يفصح، يقال: في لسانه عجمة واستعجام.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أي: كما أنزلنا القرآن عربياً مبيناً أدخلناه وأوقعناه ﴿فِي قُلُوبِ﴾ الكافرين بأن قرأه رسولنا عليهم.

ثم أسند ترك الإيذان به إليهم بقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ولا يزالون على التكذيب والجحود به حتى يعاينوا الوعيد ويروا العذاب، فيلحق بهم ﴿بَعَثَهُ﴾ أي: مفاجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمجيئه.

﴿أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ تبيكت لهم وتوبيخ. ثم قال: هب أن الأمر كما يظنون من التمتع والتعمير، فإذا أتاهم العذاب ما ينفعهم حيثذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب عيشهم.

﴿هَلَّا مُنْذِرُونَ﴾ أي: رسل ينذرونهم.

﴿ذَكَرْنِي﴾ منصوبة بمعنى تذكرة، إما لأنّ (أنذر) و(ذكر) متقاربان، فكأنّه قال: المذكرون تذكرة، [وإما لأنّها حال من الضمير في ﴿مُنْذِرُونَ﴾ أي: ينذرونهم ذوي تذكرة^(١)]، وإما لأنّها مفعول له بمعنى: أنّهم ينذرونهم لأجل التذكرة. ويجوز أن يكون ﴿ذَكَرْنِي﴾ متعلّقة بـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ مفعولاً له، والمعنى: وما أهلكنا من أهل قرية ظالمة إلا بعدما ألزمنهم الحجّة بإرسال المنذرين إليهم، ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فنهلك قوماً غير ظالمين.

كانوا يقولون: إنّما يتنزل على محمّد من جنس ما ينزل به الشياطين على الكهنة، فكذبهم الله بأنّ ذلك مما لا يتسهّل للشياطين ولا يقدرّون عليه، لأنّهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء.

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدِيْنَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرْفَعُ دَرَجَاتٍ لِّمَن يَشَاءُ
وَيُنَزِّلُكَ فِي السَّجَدِينَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢١٩﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ
عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢٠﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢١﴾ يُلْقُونَ
السَّمْعَ وَآكُتْرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٢﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٣﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴿٢٢٥﴾
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ

ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

علم عز اسمه أنّ ذلك لا يكون، لكنّه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى، وفيه لطف للمكلفين كما قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾^(١).

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أمر صلوات الله وسلامه عليه بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم. وروي: إنه جمع بني عبد المطلب، وهم يومئذ أربعون رجلاً. الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس. على رجل شاة وقعب من لبن، فأكلوا وشربوا حتى صدروا، ثم أنذرهم فقال: يا بني عبد المطلب، إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ثم قال: من يؤاخيني ويؤازرني فيكون وليي ووصيي بعدي، وخليفتي في أهل بيتي؟ فسكت القوم، وأعادها ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم ويقول عليّ: أنا، فقال في المرة الثالثة: أنت. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمر عليك^(٢).

وخفض الجناح مثل في التواضع ولين الجانب.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ فتنبراً منهم ومن أعمالهم.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى﴾ الله يكفك شرّ من يعصيك، وفوض أمرك إلى من يقدر على نفعك وضرّك، وقرئ: فتوكل - بالفاء - ويكون عطفاً على: ﴿فَقُلْ﴾ أو ﴿فَلَا تَدْعُ﴾.

﴿الَّذِي يَرَبُّكَ﴾ ويطلع عليك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ للتهجد.

والمراد بـ ﴿السَّاجِدِينَ﴾ المصلّون، وتقلّبه فيهم: تصرّفه فيما بينهم بقيامه

(١) الحاقة: ٤٤.

(٢) شواهد التنزيل ج ١: ٤٢٠، تاريخ الطبري ج ٢: ٢١٧ باختصار.

وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم، وقيل: معناه: وتقلّبك في أصلاب الموحدين حتى أخرجك نبياً^(١)، وهو المروي عن أئمة الهدى عليهم السلام.

ثم ذكر سبحانه من ﴿تَنَزَّلُ﴾ عليه الشياطين: ﴿كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هم الكهنة: كشق^(٣) وسطيح^(٤)، والمتنبئة: كمسيلمة الكذاب وطليحة^(٥).

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ هم الشياطين كانوا قبل أن يجججوا بالرجم يستمعون إلى الملا الأعلى، فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب، ثم ﴿يُلْقُونَ﴾ ما يسمعونه أي: يوحون به إليهم.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾^(٧)، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ أخوات، فرق سبحانه بينهن بآيات ليست في معانها لتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة، فبدل بذلك على أن المعنى الذي نزل فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها.

﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ مبتدأ و﴿يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوَنَ﴾ خبره، أي: لا يتبعهم على كذبهم

(١) الكشف والبيان ج ٧: ١٨٤.

(٢) تفسير القمي ج ٢: ١٢٥ باختلاف.

(٣) شق بن صعب بن يشكر القسري الأزدي، كاهن جاهلي، عاش الى ما بعد ولادة النبي صلى الله عليه وآله بقليل وقد عمّر طويلاً. الأعلام ج ٣: ٢٤٨.

(٤) ربيع بن ربيعة بن مسعود من بني مازن من الأزدي، كاهن جاهلي غساني من المعترين، كان العرب يحكمون إليه ويرضون بقضائه، مات بالشام بعد مولد النبي صلى الله عليه وآله بقليل. الأعلام ج ٣: ٣٨.

(٥) طليحة بن خويلد الاسدي كان يقال له طليحة الكذاب، وفد على النبي صلى الله عليه وآله في وفد بني أسد سنة ٩هـ وأسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة، في حياة النبي صلى الله عليه وآله، ثم أسلم زمن عمر وقتل بنهاوند. الأعلام ج ٣: ٣٣٢.

(٦) الشعراء: ١٩٢.

(٧) الشعراء: ٢١٠.

وباطلهم وفضول قولهم، وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض، ومدح من لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم إلا الغاؤون والسفهاء، وقيل: الغاؤون: الراوون^(١)، وقيل: الشياطين^(٢)، وقيل: هم شعراء المشركين: عبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو غرة، وأمّية بن أبي الصلت وغيرهم^(٣)، قالوا: نحن نقول مثل ما قال محمد وكانوا يهجون، ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجهم.

وقوله: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾ مثل لذهابهم في كل شعب من القول، وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاورة حد القصده فيه، وقذف التقى، وبهت البريء.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ استثنى الشعراء المؤمنين الذين يكثر ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والحكمة والموعظة والآداب الحسنة ومدح رسول الله ﷺ وصلحاء المؤمنين، وكان هجأؤهم على سبيل الانتصار والرد على من هجا المسلمين، وهم: عبد الله بن رواحة، والكعبان - كعب بن مالك وكعب بن زهير^(٤) - وحسان بن ثابت. قال ﷺ لكعب بن مالك: ((اهجهم، فوالذي نفسي بيده هو أشدّ عليهم من النبل))^(٥). وقال لحسان: ((قل وروح القدس معك))^(٦).

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٩: ٧٨.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج١٩: ٧٨.

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج١٩: ٧٩.

(٤) كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر المشهور، قدم على النبي ﷺ بعد انصرافه من الطائف مسلماً وأنشده قصيدته المشهورة التي أولها: بانت سعاد... ينظر: الاستيعاب ج٣: ٢٩٧.

(٥) سنن البيهقي الكبرى ج١٠: ٢٣٩.

(٦) المستدرک على الصحيحين ج٣: ٤٨٧، الكافي ج٨: ١٠٢ باختلاف يسير.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وعيد بليغ وتهديد شديد.

﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقِلُون﴾ أيّ منصرف ينصرفون، أي: سيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب وهو النجاة. وقرأ الصادق عليه السلام: وسيعلم الذين ظلموا آل محمد ﷺ حقهم، ويشبه أن تكون قراءة على سبيل التأويل.

سورة النمل

مكية أربع وتسعون آية بصري، ثلاث كوفي، عدّ البصري ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ آية.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (طس سليمان)، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بسليمان وكذّب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله))^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّ تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴿١﴾ هدى وبشرى
 للمؤمنين ﴿٢﴾ الذين يعيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة
 هم يوقنون ﴿٣﴾ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ربنا لهم أعمالهم فهم
 يعمهون ﴿٤﴾ أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم
 الآخسرون ﴿٥﴾ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيمٍ عليمٍ ﴿٦﴾ إذ
 قال موسى لأهله إني آنست نارا سائكم منها بخير أو أتيكم بشهاب
 قبس لعلكم تططلون ﴿٧﴾ فلما جاءها نودي أن بورك من في النار

(١) الكشف والبيان ج ٧: ١٨٨.

وَمَنْ حَوَّلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوِسْ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ
يُعِيقُ يَمْوِسْ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ و﴿ءَايَتُ الْقُرْآنِ﴾ خبره، و﴿هُدًى﴾ خبر بعد خبر، أو خبر
مبتدأ مضمّر، أو نصب على الحال، أي: هادية ومبشرة.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: هؤلاء هم الموقنون بالآخرة، ومعناه: وما
يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة.

﴿زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ﴾ أسند تزين أعمالهم إلى ذاته، وقد أسند ذلك إلى الشيطان
في قوله: ﴿وَزَيْنَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾^(١)، وبين الإسنادين فرق، وذلك أن إسناده
إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله عز اسمه استعارة أو مجاز حكمي. فالاستعارة
هي أنه لما متّعهم بطول العمر والتوسعة في الرزق، فجعلوا إنعامه بذلك ذريعة إلى
اتباع شهواتهم وإيثارهم الترفه ونفارهم عن لوازم التكليف، فكانت زينة لهم بذلك
أعمالهم، وإلى هذا أشارت الملائكة في قولهم: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا
الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾^(٢).

وأما المجاز الحكمي: فهو أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى زين لهم أعمالهم
القبیحة، وخلقه فيهم شهوة القبيح الداعية لهم إليها، وحرمانه إياهم التوفيق
عقوبة لهم على كفرهم، كالأسباب للتزين، فلذلك أضاف التزين إلى ذاته.
والعمه: التحير والتردد.

(١) النمل: ٢٤.

(٢) الفرقان: ١٨.

﴿سُوهُ الْعَذَابِ﴾ هو القتل والأسر يوم بدر.

﴿الْأَخْسَرُونَ﴾ أشد الناس خسراناً، لأنهم يخسرون الثواب الدائم ويحصلون في العقاب الدائم.

﴿تُلْقَى الْفُرَاتِ﴾ أي: تؤتاه وتلقنه من عند أيّ ﴿حَكِيمٍ﴾ وأيّ ﴿عَلِيمٍ﴾، وهذا معنى مجيئها نكرتين. وهذه الآية تمهيد لما يريد أن يقصّه بعدها من الأقاصيص، لما فيها من لطائف حكمته ودقائق علمه.

﴿إِذْ﴾ منصوب بمضمر وهو (اذكر)، كأنه قال على أثر ذلك: خذ من آثار حكمته وعلمه قصّة موسى، ويجوز أن ينتصب بـ ﴿عَلِيمٍ﴾. لم يكن مع موسى غير امرأته وقد كنى الله عنها بالأهل، فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله: ﴿امْكُثُوا... آتِيكُمْ﴾^(١).

﴿إِنِّي مَأْسُتٌ نَارًا﴾ أي: أبصرتها، والشهاب: الشعلة، والقبس: النار المقبوسة، وأضاف الشهاب إلى القبس لأنّه يكون قبساً وغير قبس. وقرئ: ﴿شِهَابٍ﴾ منوناً، فيكون ﴿قَبَسٍ﴾ بدلاً أو صفة لما فيه من معنى القبس.

وقال: ﴿سَتَائِكُمْ﴾ فجاء بسين التسويف عدة لأهله أنّه يأتيهم به وإن أبطأ وجاء بلفظه، أو لأنّه بنى الأمر على أنّه إن لم يظفر بأحد الأمرين لم يعدم الآخر: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار، لأنّه كان قد ضل عن الطريق، وأراد بالخبر: معرفة حال الطريق.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها، وما أدراه حين قال ذلك أنّه يظفر على النار بعزّ الدنيا وعزّ الآخرة.

﴿أَنْ بُرِكَ﴾ مفسرة، لأنّ النداء فيه معنى القول، أي: قيل له: ﴿بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ والمعنى: بورك من في مكان النار ومن حول مكانها. ومكانها: البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة، ويدلّ عليه قراءة أبي: تباركت الأرض ومن حولها.

والذي بورك له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث أمر ديني فيها، وهو تكليم الله جل جلاله موسى عليه السلام واستنباؤه له وإظهار المعجزات عليه، وقيل: المراد بمن بورك فيهم: موسى والملائكة^(١). والظاهر أنّه عام في كل من كان في تلك الأرض وذلك الوادي وحواليها من أرض الشام، كما وسم سبحانه أرض الشام بالبركات في قوله: ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢). والفائدة في ابتداء الخطاب من الله تعالى بذلك أنّه بشارة من الله تعالى لموسى عليه السلام أنّه قد قضي أمر عظيم ينتشر منه في أرض الشام كلها البركات والخيرات.

﴿وَسُبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ إعلام بأنّ ذلك الأمر من جلائل الأمور، وأنّ مكوّنه ربّ العالمين.

﴿إِنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ صفتان له، أي: أنا القوي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، المحكم لتدبيره.

﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ﴾ عطف على ﴿بُورِكَ﴾ وكلاهما تفسير لـ ﴿نُودِيَ﴾، والمعنى: قيل له: بورك من في النار، وقيل له: ألق عصاك، بدلالة قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ في سورة القصص^(٣) على تكرير حرف التفسير.

(١) عن محمد بن كعب. تفسير الطبري ج ١٩: ٨٣.

(٢) الأنبياء: ٧١.

(٣) الآية: ٣١.

﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: لم يرجع، يقال: عقب المقاتل: إذا كثر بعد الفرار، قال:

فَمَا عَقَّبُوا إِذْ قِيلَ هَلْ مِنْ مُعَقِّبٍ وَلَا نَزَلُوا يَوْمَ الْكَرِيمَةِ مَنْزِلًا^(١)

وإنما خاف لظنه أن ذلك لأمر أريد به، ويدل عليه قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّْ الْمُرْسَلُونَ﴾.

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ
فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَمَّدُوا بِهَا وَأَسْتَفِيقَنَّهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن)، لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطروء الشبهة، فاستدرك ذلك بـ(لكن)، والمعنى: لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ من غير المرسلين ﴿ثُمَّ بَدَّلَ﴾ توبة وندماً على ما فعله من سوء، وعزماً على أن لا يعود فيما بعد ﴿فَأِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لظلمه.

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ كلام مستأنف، وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف، والمعنى: واذهب في تسع آيات إلى فرعون، ونحوه:

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ نَحْسُدُ الْإِنْسَ الطَّعَامًا^(٢)

ويجوز أن يكون المعنى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ في جملة ﴿تِسْعِ آيَاتٍ﴾ وعدادهن.

(١) لم أعر على قائله في المصادر المتوفرة.

(٢) البيت لشمير بن الحارث الضبي. النوادر في اللغة: ١٢٤، وفيه: زعيم نحسد....

المبصرة: الواضحة البينة، جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لتأملوها لأنهم ملبسوها، وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها، أو جعلت كأنها تبصر فتهدى، لأن الأعمى لا يهتدي فضلاً عن أن يهدي غيره، ومنه قولهم: كلمة عوراء لأنها تغوي. وقرأ علي بن الحسين عليه السلام وقتادة مبصرة، وهي نحو: مجنبه ومنحلة أي: مكاناً يكثر فيه التبصرة.

الواو في ﴿وَأَسْتَقَيَّتْنَهَا﴾ واو الحال، و(قد) مضمرة، والعلو: الكبر والترفع عن الإيمان بما جاء به موسى، كقوله: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا عَالِينَ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾^(١). والمعنى: جحدوها بالسستهم واستيقنوها في قلوبهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان.

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْتَائِهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَبْتَائِهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبِّئْهُمْ صَاحِبَكُم مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِخْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

أي: ﴿عِلْمًا﴾ جليلاً سنياً، أو كثيراً من العلم، أي: آتيناهما علماً فعملما به وعلماه ﴿وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي هذا دلالة على

شرف العلم وفضله وتقدّم أهله، وأنّ نعمة العلم من أجلّ النعم، وأنّ من أوتيّه فقد أوتي فضلاً على كثير من الأمم.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ فيه دلالة على أنّ الأنبياء يورثون كتورث غيرهم، لأنّ إطلاق اللفظ يقتضي ذلك.

﴿وَقَالَ يَكَايُهَا النَّاسُ عُلِمْنَا﴾ فيه تشهير لنعمة الله واعتراف بها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجز الذي هو علم ﴿مَنْطِقُ الطَّيْرِ﴾ وغير ذلك مما أوتيّه من جلائل الأمور. والمنطق: كل ما يصوّت به من المفرد والمؤلف، والذي علم سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه، كما يحكى أنّه مر على بلبل في شجرة فقال: إنّهُ يقول: أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء.

﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد كثرة ما أوتيّه ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ وعن الصادق عليه السلام: ((يعني الملك والنبوة))^(١).

سخر الله له الريح والجن والإنس والطير، فكان إذا خرج إلى مجلسه عكف عليه الطير، وقام الجن والإنس حتى يجلس على سريره، وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أذّله وأدخله في الإسلام. ويروى: أنّه خرج من بيت المقدس مع ستمائة ألف كرسي عن يمينه ويساره، وأمر الطير فأظلمت، وأمر الريح فحملتهم حتى وردت بهم المدائن، ثم رجع فبات في اصطخر^(٢)، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً قط [أعظم من هذا أو

(١) لم أجده في المصادر المتوفرة.

(٢) اصطخر: من أقدم مدن فارس وأشهرها، بينها وبين شیراز اثنا عشر فرسخاً. معجم البلدان ج ١:

سمعتم؟ قالوا: لا، فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة في الله^(١) أعظم مما رأيتم^(٢).

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يحبس أولهم على آخرهم بأن توقف هواديهم حتى يلحقهم تواليهم، فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة. فسار سليمان بجنوده ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ لَّهُمْ عِثْرٌ﴾ وهو واد بالطائف أو بالشام كثير النمل، وإنما عُدِّي ﴿أَتَوْا﴾ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ لأن إتيانهم كان من فوق، أو هو من قولهم: أتى على الشيء: إذا أنفذه وبلغ آخره، كأنتهم أرادوا أن ينزلوا عند مقطع الوادي، لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف عليهم حطهم. ويمكن أن يكون جنود سليمان كانوا ركباناً ومشاة في ذلك الوقت ولم تحملهم الريح، أو كانت القصة قبل أن يسخر الله الريح له.

ولما كان صوت النمل مفهوماً لسليمان عبر عنه بالقول، ولما جعلت النملة قائلة والنمل مقولاً لهم كما في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم. و﴿لَا يَحْطُمَنَّكُمْ﴾ جواب الأمر أو نهى بدل من الأمر، لأن ادخلوا في مساكنكم في معنى: لا تكونوا حيث أنتم، والمراد: لا يحطمنكم جنود سليمان، فجاء بما هو أبلغ، ونحوه:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا^(٣)

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا﴾ أي: أخذ في الضحك، يعني: إنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك، وكذلك ضحك الأنبياء، وإنما ضحك لإعجابه بما دلّ

(١) ساقطة من ج.

(٢) ينظر: العرائس: ١٧٢ وما بعدها.

(٣) الرجز لخليفة بن بلاد. أنساب الاشراف ج ١٢: ٣٨٤، وبقية: ومن طراي الطير عن أرقاها.

من قولها على ظهور شفقة جنوده وشهرة حالهم في التقوى حيث قالت: ﴿وَمَنْ لَا يَشْكُرُونَ﴾، أو لسروره بما آتاه الله من إدراكه بسمعه ما همس به أصغر خلق الله وإحاطته بمعناه، ولذلك قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أي: اجعلني أزرع شكر نعمتك عندي، وأربطه لا ينفلت عني، حتى لا أزال شاكراً لك وذاكراً بإنعامك ﴿عَلَّيْ وَعَلَّيْ﴾ والدي بأن أكرمه بالنبوة وغيرها، وعلى والدي بأن زوجته نبيك، جعل النعمة عليهما نعمة عليه يلزمه شكرها.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ استوفقه سبحانه لزيادة العمل الصالح في المستقبل.

﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ومن بعدهم من النبيين، أي: أدخلني في جملةهم.

وَتَقَدَّرَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّ هَدَّ أَمْ كَانَ مِنْ
الْفَكَايِيرِ ⑩ لِأَعْدَبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ⑪ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ⑫
إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُكُمْ وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا
عَرَّشْتُ عَظِيمٌ ⑬ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ⑭ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ⑮ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ⑯

﴿أَمْ﴾ منقطعة. نظر سليمان عليه السلام إلى مكان الهدد فلم يره، فقال: ﴿مَا لِي﴾

لا أراه؟ على معنى: أنه لا يراه وهو حاضر، لساتر أو غيره، ثم لاح له أنه غائب، فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحّة ما لاح له من غيبته، فهو نحو قولهم: إنها لإبل أم شاء. ويروى أنّ أبا حنيفة سأل أبا عبد الله الصادق عليه السلام: ((كيف تفقد سليمان الهدد من بين الطير؟ فقال: لأنّ الهدد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة، فضحك أبو حنيفة وقال: كيف لا يرى الفخ في التراب ويرى الماء في بطن الأرض؟! قال: يا نعمان، أو ما علمت أنّه إذا نزل القدر غشي البصر))^(١).

﴿لَأَعَذِّبَنَّ﴾ بتف ريشه وتشميسه، وقيل: بالتفريق بينه وبين إلفه. وقرئ: ليأتيني - بنونين أولهما مشددة، وبنون واحدة مشددة. والسلطان: الحجة والعذر. قرئ: ﴿فَمَكَتْ﴾ بفتح الكاف وضمها، ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ كقولك: عن قريب. وصف مكته بقصر المدة للدلالة على إسرعه خوفاً من سليمان وتسخير له.

وقرئ: ﴿أَحَطْتُ﴾ بإدغام الطاء بالتاء بإطباق وبغير إطباق. وعن ابن عباس: (فأتاه الهدد بحجة وعذر فقال: اطلعت على ما لم تطلع عليه وجئت بك بخبر صادق لم تعلمه)^(٢). ألهم الله الهدد فكافحه بهذا الكلام مع ما أوتي من العلوم الكثيرة، ابتلاء له في علمه وتنبيهاً له على أنّ في أدنى خلقه من أحاط ﴿وَمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ﴾ ليكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء.

وقرئ: ﴿سَمِيعٌ﴾ بالهمزة منوناً وغير منون على منع الصرف، وسبا - بالألف،

(١) مجمع البيان ج ٧-٨: ٢١٧ عن العياشي.

(٢) الدر المنثور ج ٥: ١٠٥.

ومثله في سورة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾^(١)، وهو: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فمن جعله اسماً للقبيلة لم يصرفه، ومن جعله اسماً للحي أو الأب الأكبر صرفه، ثم سميت مدينة مأرب بـ(سبأ)، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، كما سميت مغافر بـ(مغافر بن أد). والنبأ: الخبر الذي له شأن.

﴿وَجَدْتُ أَمْرًا﴾ وهي بلقيس بنت شراحيل أو شراحيل، وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها.

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يحتاج إليه الملوك من زينة الدنيا ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ سرير أعظم من سريرك، مقدّمه من ذهب مرصع بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، ومؤخره من فضة، وكان عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق. وقال أبو مسلم^(٢): أراد بالعرش الملك^(٣).

وقرئ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ بالتشديد على أنّ المراد: فصدهم الشيطان عن السبيل لأن لا يسجدوا، فحذف الجار، وقرئ بالتخفيف وهو ألا يا اسجدوا: (ألا) للتنبية، و(يا) حرف النداء، والمنادى محذوف، كما حذفه من قال:

أَلَا يَا اسْلَمِي...^(٤)

﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ﴾ أي: المخبوء، سمّاه بالمصدر، وهو النبات والمطر

(١) سبأ: ١٥.

(٢) أبو مسلم محمد بن بحر الاصبهاني، الكاتب المترسل الجليلي المعتزلي، له جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب الاعتزال وغيره، ولد سنة ٢٥٤هـ، وتوفي سنة ٣٢٢هـ. الوافي بالوفيات ج ٢: ١٧٥.

(٣) تفسير الماوردي ج ٤: ٢٠٤.

(٤) ديوان شعر ذي الرمة: ٢٠٦ ونمائه: ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر.

وغيرهما مما خبأه عز وجل من غيوبه، وقرئ: ﴿الْخَبَاءُ﴾ بتخفيف الهمزة بالحذف. وقيل: إن الجميع من قوله: ﴿أَحْطُتُ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾ من كلام الهمداني^(١)، وقيل: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ إلى آخره كلام رب العزة، أمر جميع خلقه بالسجود^(٢).

وفي إحدى القراءتين أمر بالسجود وفي الأخرى ذم لتاركه، فسجدة التلاوة مسنونة في كليهما، وإذا خفف فالوقف على ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾، ومن شدد لم يقف إلا على ﴿الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

وقرئ: ﴿تُخْفُونَ﴾ و﴿تُعْلَتُونَ﴾ بالتاء.

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهِي لَعَلِّي إِلَهُ كَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِ مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَا آتَيْنَهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَنْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخَبَرٍ لَا يَكْفُلُ لَهُمْ فِيهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿سَنَنْظُرُ﴾ هو من النظر بمعنى الفكر والتأمل، والمراد ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ﴾

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ١٩: ٩٤.

(٢) عن أبي عبيد. معالم التنزيل ج ٣: ١١٥.

كذبت، إلا أن قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أبلغ.

﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه يسمع منك.

﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يردون من الجواب، ومنه قوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾^(١) قيل: دخل عليها من الكوة^(٢) فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوة^(٣).

وفي الكلام اختصار كثير، أي: فمضى الهدهد وألقى إليهم الكتاب، فلما قرأته بلقيس ﴿قَالَتْ﴾ لقومها بعد أن جمعتهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلُوءُ﴾ يعني: الأشراف ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وصفته بالكرم لأنه من عند ملك كريم، أو كتاب حسن مضمونه وما فيه، أو مختوم لقوله ﷺ: ((كرم الكتاب ختمه))^(٤)، أو لأنه صدره بـ(بسم الله الرحمن الرحيم).

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ استئناف وتبيين لما ألقى إليها، كأنه قيل لها: ممن هو، وما هو؟ فقالت: إنه من سليمان.

و(أن) في ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا﴾ مفسرة، والمعنى: لا تتكبروا كما يفعل الملوك ﴿وَأَتُونِي﴾ منقادين مستسلمين، أو مؤمنين.

الفتوى: الجواب في الحادثة، وأرادت أن يشيروا عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير، وقصدت بالرجوع إلى استشارتهم استعطافهم ليوافقوها

(١) سبأ: ٣١.

(٢) الكوة: نقب البيت. (الصحيح: مادة كوى)

(٣) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ١٩: ٩٥.

(٤) الكشف والبيان ج ٧: ٢٠٦ بالمعنى.

ويقوموا معها.

﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ أي: فاصلة، لا أقطع أمراً إلا بحضوركم.
[وَنَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً] في الأجساد والآلات والعدد ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ﴾: أي نجدة
وبلاء في الحرب.

﴿وَأَلْأَمْرُ﴾ موكول ﴿إِلَيْكَ﴾^(١) ونحن مطيعون لك، فمرينا بأمرك نطع أمرك
ونتبع رأيك. فمالَت إلى الصلح ورأت الابتداء بالأحسن، وذكرت في الجواب
لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها^(٢)، و﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ قسراً وعنوة
خزبوها، وأذلوا أعزبتها، وقتلوا وأسروا، ثم قالت: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: وهذه
عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير، وقيل: هو تصديق من الله سبحانه لقولها^(٣).
ثم ذكرت حديث الهدية، وما رأت من الرأي في ذلك، أي: ﴿مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ﴾
رسلاً ﴿يَهْدِيهِ﴾ أمانعه بذلك عن ملكي.

﴿فَنَاطِرُهُ﴾ أي: فمنتظرة ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك.
وقرئ: ﴿أَتَمِدُونَنَ﴾ بحذف الياء والاجتزاء بالكسرة، والهدية اسم المهدي،
كما أنَّ العطية اسم المعطى، فيضاف إلى المهدي والمهدي له، والمضاف إليه في قوله:
﴿يَهْدِيكُمْ﴾ هو المهدي إليه، والمعنى: إنَّ ما عندي خير مما عندكم، وذلك أنَّ الله
عزَّ اسمه آتاني مالا مزيد عليه، فلا يمدُّ مثلي بهال ﴿بَلْ أَنْتُمْ﴾ قوم لا تعلمون إلا
ظاهراً من الحياة الدنيا، فلذلك ﴿تَفَرِّحُونَ﴾ بما تزدادون ويهدي إليكم، لأنَّ ذلك
مبلغ همتكم، وليس حالي كحالكم، فما أرضى منكم بشيء إلا بالإيمان.

(١) ساقطة من ج.

(٢) المغتبة: العاقبة. (لسان العرب: مادة غب)

(٣) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ١٩: ٩٧.

ولما أنكر عليهم إمداده بالمال أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه. ويجوز أن تكون الهدية مضافة إلى المهدي، أي: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون.

﴿أَتَجْعَلُ﴾ خطاب للرسول.

﴿لَا قِيلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي: لا طاقة، وحقيقته: المقابلة والمقاومة، والمعنى: لا يقدر أن يقابلوهم.

﴿مِنْهَا﴾ من أرضها ومملكتها وهم ذليلون بذهاب ما كانوا فيه من العز والملك.

﴿صَغُرُونِ﴾ بوقوعهم في الاستعباد والأسر.

قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُوا أَيْكُمُ يَأْتِيهِ بَعْرِشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ عَفَرْتُ مَنِ الْغَيْنِ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٢٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُعَمَّرٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾

يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان فجعل عرشها في آخر سبعة

أبيات، ووكلت به حرساً يحفظونه، فأراد سليمان أن يريها بعض ما يخصه به الله تعالى من المعجزات الشاهدة لنبوته^(١). وعن الباقر^(٢): قال عفريت من عفاريت الجن. والعفريت: المارد القوي الداهي.

﴿مِنْ مَقَامِكَ﴾ أي: مجلسك الذي تقضي فيه ﴿وَلَيْنَ﴾ على الإتيان به ﴿لَقَوِيٍّ أَمِينٍ﴾ آتي به كما هو لا أبدله.

و﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وزير سليمان وابن أخته، وهو آصف بن برخيا، وكان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وهو قوله: يا إلهنا وإله كل شيء، إلهاً واحداً لا إله إلا أنت، وقيل هو: يا حي يا قيوم، وبالعبرانية: آهيا شراهيا^(٣)، وقيل هو: يا ذا الجلال والإكرام^(٤). وقيل: الذي عنده علم من الكتاب ملك أيد الله به سليمان^(٥)، وقيل: هو جبرئيل، والكتاب هو اللوح^(٦)، وقيل: هو من جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه، وقيل: هو علم الوحي والشرائع.

وقوله: ﴿مَائِكَ﴾ في الموضعين يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل.

الطرف: تحريكك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف في نحو قوله:

وَكُنْتُ إِذَا أَرْسَلْتُ طَرْفَكَ رَائِداً لِقَلْبِكَ يَوْمَ أَتَعَبْتُكَ الْمَنَاطِرُ^(٧)

(١) تفسير الطبري ج ١٩: ١٠٠.

(٢) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٣: ١١٨.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٩: ١٠٢.

(٤) عن ابن بحر. تفسير الماوردي ج ٤: ٢١٣.

(٥) تفسير السمرقندي ج ٢: ٥٨٣.

(٦) ديوان الحماسة: ٣٧٢ دون نسبة، وفيه: وكنت متى

وصف بردّ الطرف، ووصف الطرف بالارتداد، فعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إِنَّكَ ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك. وروي: أَنَّ آصف قال لسليمان: مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمدّ عينيه فنظر نحو اليمن، ودعا آصف فغار العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرتدّ طرفه^(١).

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لآته يرتبط به النعمة، ويحيط به عن نفسه عبء الواجب، ويستوجب المزيد.

﴿رَبِّ﴾ غني عن الشكر ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإنعام على الشاكر والكافر.
﴿تَكْرُوْا لَهَا عَرْشَهَا﴾ اجعلوه متنكراً متغيراً عن شكله، أراد بذلك اعتبار عقلها.

﴿نَظُرَ أَتَهْدِي﴾ لمعرفة، أو للجواب على الصواب إذا سئلت عنه، أو للدين والإيمان بنبوة سليمان إذا رأت تلك المعجزة.

﴿أَهَكَذَا﴾ أربع كلمات: حرف الاستفهام، وحرف التنييه، وكاف التشبيه، واسم الإشارة. أي: أمثل هذا عرشك؟ ولم يقل: أهذا عرشك؟ لثلاثين تلقيناً.
﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولم تقل هو هو ولا ليس هو، وذلك من رجاحة عقلها، إذ لم تقطع في موضع الاحتمال.

﴿وَأَوْرَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَلِيلٍ﴾ قيل: هو من كلام بلقيس^(٢) أي: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان من قبل هذه المعجزة، أو من قبل هذه الحالة، وقيل:

(١) تفسير الطبري ج١٩: ١٠٣.

(٢) معالم التنزيل ج٣: ١١٩.

هو من كلام^(١) سليمان وقومه^(٢) أي: وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائفة قبل مجيئها، أو أوتينا العلم بالله وبقدرته قبل علمها ولم نزل على دين الإسلام.

﴿وَصَدَّهَا﴾ عن التقدّم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين الكفار، وقيل: صدّها الله أو سليمان عما ﴿كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل^(٣).

والصرح: القصر، والممرد: المملس، وقيل: الصرح: الموضع البسيط المنكشف من غير سقف^(٤)، أمر سليمان الشياطين ببناؤه وأجرى تحته الماء، ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ بلقيس ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ وهي معظم الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ لدخول الماء، فقال لها سليمان: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مِّمْلَسٌ﴾ قواريص وليس بهاء.

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ يريد بكفرها فيما تقدّم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ يَبْقَوِرَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمْنُ مَعَكَ قَالِ طَاعَتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكَرًا وَهُمْ

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ١٩: ١٠٥.

(٣) إعراب القرآن ج ٣: ٢١٣.

(٤) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج ٤: ٢١٦.

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا
دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبِذَلِكَ يُبَوِّدُ لَكُمْ خَاوِجَةُ أَيْمَانَكُمْ
وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٢﴾

﴿هُم فَرِيقَانِ﴾ مبتدأ وخبر، و﴿إِذَا﴾ خبر ثان، و﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ حال أو صفة لـ ﴿فَرِيقَانِ﴾ أي: فريق مؤمن وفريق كافر، يقول كل فريق: الحق معي. والسيئة: العقوبة، والحسنة: التوبة من الشرك، ومعنى استعجالهم ﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أنهم قالوا: إن كان ما أتينا به حقاً فأتنا بالعذاب. هـلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ من الشرك بأن تؤمنوا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ فلا تعذبون في الدنيا. ﴿أَطِيعْنَا﴾ أي: تطيعنا بك، ومعناه: تشاء منا بك وبمن على دينك، وكانوا قد قحطوا.

﴿قَالَ طَغْيَئْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله، وهو قدره وقسمه، إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم. ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وابتلاء، ومنه قوله: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾^(١)، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾^(٢). ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون وتبتلون أو تعذبون. ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ التي بها صالح، وهي الحجر ﴿رِسْعَةٌ﴾ أنفس سعوا في

(١) يس: ١٩.

(٢) الإسراء: ١٣.

عقر الناقة، وكانوا عتاة قوم صالح ومن أبناء أشrafهم، أي: شأنهم الإفساد البحت الذي لا يختلط بشيء من الصلاح.

﴿تَقَاسَمُوا﴾ يجوز أن يكون أمراً، ويجوز أن يكون خبراً في محل الحال بإضمار (قد) أي: قالوا متقاسمين: ﴿لَنَبِيَّتَنَّهُ﴾ أي: لنقتلن صالحاً وأهله، وقرئ: لَنَبِيَّتُهُ . بالتاء وضم التاء الثانية . ثم لتقولن، وعلى هذا يكون ﴿تَقَاسَمُوا﴾ أمراً لا غير، والتقاسم: التحالف، والبيات: مباغطة العدو ليلاً. وقرئ: مهلك من الهلاك، ومهلك من الإهلاك.

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا﴾ بأن أخفوا تدبير الفتك بصالح وأهله ﴿وَمَكْرَنَا﴾ بإهلاكهم من حيث ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، شبهه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة. ﴿أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ﴾ استئناف، ومن قرأ بالفتح رفعه بدلاً من ﴿عَنْقَبُهُ﴾، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي تدميرهم، أو نصبه على خبر ﴿كَانَ﴾ أي: كان عاقبة مكرهم الدمار، أو على معنى (لأننا).

و﴿خَاوِبَةٌ﴾ نصب على الحال من معنى الإشارة، أي: فارغة خالية بظلمهم وكفرهم. وعن ابن عباس: (أجد في كتاب الله عز اسمه أن الظلم يخرب البيوت، وتلا هذه الآية)^(١).

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ
أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ
فَكَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطَهُرُونَ

﴿٥٦﴾ فَأَجْنَيْنَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَهَا مِنَ الْغَيْرِ

﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾

وأرسلنا لوطاً.

﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ من: بصر القلب، أي: تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها، أو تبصرونها لأنهم كانوا يرتكبون ذلك معالنين به، لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة و مجانة، أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم.

﴿تَجْهَلُونَ﴾ تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك، أو تجهلون العاقبة.

﴿يَنْظَهُرُونَ﴾ يتزهون عن هذا الفعل وينكرونه، وعن ابن عباس: (هو استهزاء) ^(١).

أي: قدرنا كونها ﴿مِنَ الْغَيْرِ﴾ أي: الباقيين في العذاب، فالتقدير واقع على الغيور في المعنى.

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ؕ وَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدُبًا ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْسُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ

خُلِقَ الْأَرْضُ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿١٢﴾ أَمَّنْ
يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾

فيه بعث على الاستفتاح بالتحميد والسلام على المصطفين من عباده، والتمنن
بالذكرين، والاستظهار بهما على قبول ما يلقي إلى السامعين، وقيل: اتصل بما قبله
إذا جعل تحميداً على الهالكين من كفار الأمم، والصلاة على الأنبياء وأشياهم
الناجين^(١). وعنهم عليه السلام: ((إِنَّ الَّذِي أَصْطَفَى: مُحَمَّدٌ وَآلَهُ عليهم السلام)).^(٢)

﴿اللَّهُ خَيْرٌ﴾ لمن عبده أم الأصنام لعابديها؟ وهذا إلزام للحجة على
المشركين بعد ذكر هلاك الكفار. وعن الصادق عليه السلام: يقول إذا قرأها: ((الله خير
- ثلاث مرات.)).^(٣)

و(أم) في ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ متصلة، والمعنى: أيتها خير؟ وهي في: ﴿أَمَّنْ
خُلِقَ﴾ منقطعة، والمعنى: بل أم من خلق السماوات والأرض خير. وفيه تقرير
لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء.
وفي قوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ وانتقاله إلى التكلم عن ذاته بعد الإخبار عن الغيبة

(١) معالم التنزيل ج ٣: ١٢١.

(٢) تفسير القمي ج ٢: ١٢٩.

(٣) تهذيب الأحكام ج ٢: ٢٩٧.

على طريقة الالتفات، تأكيد لمعنى اختصاص الفعل بذاته، وأنه لا يقدر على إنبات الحداثق مع بهجتها وبهائها إلا هو وحده. ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله: ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ ومعنى الكينونة: الابتغاء، يعني: أن تأتي ذلك من غيره محال، وكذلك قوله: ﴿بَلْ هُمْ﴾ بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم.

والحديقة: البستان عليه حائط، من قولهم: أحدقوا به أي: أحاطوا به.
و﴿ذَاتَ بِهِجَةٍ﴾ بمعنى: جماعة حداثق ذات بهجة، كما يقال: النساء ذهبت، والبهجة: الحسن لأن الناظر يبتهج به.
﴿أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ أغيره يقرن به ويجعل شريكاً له؟ ولك أن تحقّق الهمزتين وتوسط بينهما مدة، وأن تخرج الثانية بين بين.

﴿يَعْدِلُونَ﴾ [به غيره، أو يعدلون] ^(١) عن الحق والتوحيد.
﴿أَمَّنْ جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾ وحكمها حكمه.
﴿قَرَارًا﴾ سواها للاستقرار عليها.
﴿حَاجِرًا﴾ أي: برزخاً.

الاضطرار: افتعال من الضرورة، والمضطر: الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الأيام إلى التضرع إلى الله تعالى، يقال: اضطره إلى كذا، والفاعل والمفعول: مضطر.

﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ أي: الشدة وكل ما يسوء.
﴿وَيَجْمَعُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ خلفاء فيها، تتوارثون التصرف فيها خلفاً

بعد سلف وقرناً بعد قرن، أو أراد بالخلافة الملك والتسلط.

و﴿مَّا﴾ مزيدة أي: يذكرون تذكيراً قليلاً، والمعنى: نفي التذكر. وقرئ بالياء مع الإدغام، وبالتاء مع الإدغام والحذف.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ بالنجوم في السماء، وبالعلامات في الأرض إذا جنّ عليكم الليل وأنتم مسافرون في البحر والبر؟.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أقرّوا بالابتداء والإنشاء فيلزمهم الإقرار بالإعادة بعد الفناء.

﴿وَمِنَ السَّمَاءِ﴾ بإنزال الأمطار ومن ﴿الْأَرْضِ﴾ بالنبات والثمار. وجاء قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ على لغة بني تميم في قولهم: ما أتاني زيد إلا عمرو، وقول الشاعر:

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسُ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعِيسُ^(١)

وإنما اختير هذا ليؤول المعنى إلى قولك: إن كان الله ممن في السماوات والأرض ففيهم من يعلم الغيب، كما كان المعنى في البيت: إن كانت اليعافير أنيساً، ففيها أنيس.

﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى متى.

بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ
مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وءِآبَاءُنَا
أَنْبَاءًا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وءِآبَاءُنَا مِنْ
قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

(١) ديوان جبران العود: ٩٧، وفيه: بسابساً ليس به....

وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا
الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ لَكُمْ بَعْضُ
الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِمَّنْ غَابَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِنَافٍ
مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

قري: ﴿بَلِ أَذْرَكَ﴾ وأدرك، وأصل أدرك: تدارك فأدغمت التاء في الدال،
وأدرك افتعل. ومعنى: أدرك ﴿عِلْمُهُمْ﴾: انتهى وتكامل، و﴿أَذْرَكَ﴾: تتابع
واستحكم، يعني: إن أسباب استحكام علمهم وتكاملهم بأن القيامة كائنة لا
ريب فيها قد حصلت لهم، ومكنوا منها ومن معرفتها، وهم شاكون جاهلون،
وذلك قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ يريد المشركين ممن في
السموات والأرض، لأنهم لما كانوا في جهلهم نسب فعلهم إلى الجميع، كما يقال:
بنو فلان فعلوا كذا، وإنما فعله ناس منهم.

ووجه آخر وهو: أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفني، من قولك: أدركت
الثمرة، لأن تلك غايتها التي عندها عدم، وقد فسره الحسن بـ(اضمحل علمهم)^(١).
وتدارك: من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك. ومعنى الإضراب ثلاث مرات أنه
وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت البعث، ثم بأنهم لا يعلمون بأن القيامة كائنة،
ثم بأنهم ﴿فِي شَكٍّ﴾ يستطيعون إزالته ولا يزيلونه، ثم بما هو أسوأ حالاً وهو العمى،
وجعل الآخرة مبدأ عماهم فلذلك عداه بـ(من) دون (عن)، لأن الكفر بالعاقبة هو
الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون.

والعامل في (إذا) ما دلّ عليه ﴿أَيْنَا لَمُخْرَجُونَ﴾ وهو يخرج، لأن بين يدي (عمل) اسم فاعل فيه موانع من العمل، وهي: همزة الاستفهام، وإن، ولام الابتداء، وواحدة منها كافية فكيف إذا اجتمع الجميع. والمراد الإخراج من الأرض أو من حال الفناء إلى الحياة، وتكرير حرف الاستفهام بإدخاله على (إذا) و(إن) جميعاً إنكار على إنكار، وجحود بعد جحود، والضمير في (إنا) لهم ولآبائهم، لأن كونهم ﴿تُرَبًّا﴾ قد تناولهم وآباءهم. فانظر ﴿كَيفَ كَانَ عِقَبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لأنهم لم يتبعوك، والمراد لم يسلموا ﴿وَلَا تَكُنْ فِي﴾ حرج صدر من مكرهم وكيدهم، ولا تبال بذلك، فإن الله يعصمك منهم، يقال: ضاق الشيء ضيقاً بالفتح والكسر، وقد قرئ بهما جميعاً.

استعجلوا العذاب الموعود، فقليل لهم: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ﴾ ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر، فزيدت اللام للتأكيد كما زيدت الباء في ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾^(١)، أو ضمتن ﴿رَدَفَ﴾ معنى فعل يتعدى باللام نحو: دنا لكم، وأزف لكم، والمعنى: تبعكم ولحقكم. و(عسى) و(لعل) و(سوف) في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده، يعنون بذلك أنهم لا يعجلون بالانتقام لو ثوقهم بغلبتهم، وبأن الأمر لا يفوتهم.

والفضل: الإفضال أي: هو مفضل عليهم بتأخير العقوبة، وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه.

كننت الشيء وأكننته: سترته، أي: يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله وكيده، وهو معاقبهم على ذلك على حسب استحقاقهم.

التاء في الغائبة والخافية بمنزلتها في العاقبة والعافية، والمعنى: الشيء

الذي يغيب ويخفى، وهما اسمان، ويجوز أن يكونا صفتين، والتاء تكون للمبالغة كـ(الراوية) في قولهم: حماد الراوية، كأنه قال: وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأثبتته في اللوح.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
 ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَى رَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
 بِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ
 الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ مَدِيرِينَ
 ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعَمَى عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ
 بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ
 الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نُخَشِّرُ مِنْ
 كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ
 قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ
 الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾

أي: ﴿يَقُصُّ﴾ عليهم ما اختلفوا فيه من أمر المسيح ومريم وأشياء كثيرة وقع
 بينهم الاختلاف فيه من الأحكام وغيرها، وكان ذلك من معجزات نبيتنا ﷺ، إذ
 كان لا يدرس كتبهم وأخبرهم بما فيها.

﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين من آمن بالقرآن ومن كفر به، أو بين المختلفين في
 الدين يوم القيامة.

﴿يُحْكِمُهُ﴾ أي: بما يحكم به وهو عدله، فسمي المحكوم به حكماً، أو
 بحكمته.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يرد قضاؤه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمن يقضي له وعليه.

أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين، وعلل التوكل بأنه ﴿عَلَىٰ الْوَقْفِ﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بنصرة الله.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ ومن سمع آيات الله وهو حي صحيح الحواس فلا تعيها أذنه، فحاله كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع، وحاله كحال الصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون.

و﴿أَعْمَى﴾ الذين يضلون الطريق فلا يقدر أحد على أن يجعلهم هداة بصراء إلا الله وحده.

وقوله: ﴿إِذَا وَلَوْ سَدَرْنَا﴾ تأكيد لحال الأصم، لأنه إذا ولى عن الداعي مدبراً كان أبعد عن إدراك صوته، وقرئ: ولا يسمع الصم، وما أنت تهدي العمي.

وهذه عن الضلال [كقوله: سقاه عن العيمة^(١) أي: أبعد عنها بالسقي، وأبعد عن الضلال]^(٢) بالهدى ﴿إِنْ تَسْمِعُ﴾ أي: ما تسمع ﴿إِلَّا﴾ من يطلب الحق، ويعلم الله أنه يؤمن بآياته ويصدق بها ﴿فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ أي: حصل ما وعده الله من علامات قيام الساعة وظهور أسراطها.

﴿أَخْرَجْنَا هُم دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ تخرج بين الصفا والمروة، فتخبر المؤمن بأنه مؤمن والكافر بأنه كافر. وعن حذيفة: أن النبي ﷺ قال: ((دابة الأرض طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، فتسم المؤمن بين عينيه، وتسم الكافر بين عينيه، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا،

(١) العيمة: شهوة اللبن. (الصحاح: مادة عيم)

(٢) ساقطة من ج.

وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى يقال: يا مؤمن، ويا كافر^(١). وروى: فتضرب المؤمن بين عينيه بعصا موسى فتنتك نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يبيض لها وجهه، ويكتب بين عينيه: مؤمن، وتنتك الكافر بالخاتم فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه، ويكتب بين عينيه: كافر^(٢). وعن السدي: تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام^(٣). وعن محمد بن كعب^(٤) قال: سئل علي^(٥) عن الدابة فقال: ((أما والله ما لها ذنب، وإن لها للحية))^(٦)، وفي هذا إشارة إلى أنها من الإنس. وقد روي عنه^(٧) أنه قال: ((أنا صاحب العصا والميسم))^(٨). وعن ابن عباس وغيره: تكلمهم من الكلم وهو الجرح، والمراد به الوسم بالعصا والخاتم، ويجوز أن يكون تكلمهم من الكلم أيضاً على معنى التكرير، يقال: فلان مكلم أي: مجرح، ويجوز أن يستدل بالتخفيف على أن المراد بالتكليم التجريح، كما فسر ﴿لَنُخْرِقَنَّهُ﴾^(٩) بقراءة علي^(١٠): لَنُخْرِقَنَّهُ، ويستدل بقراءة أبي: تنبهم، وبقراءة ابن مسعود: تكلمهم - بالتشديد - بأن الناس، على أنه من الكلام. وعن الباقر^(١١): (كلم الله من قرأ تكلمهم، ولكن تكلمهم) بالتشديد.

وقرى: (إن) بالكسر على حكاية قول الدابة أو قوله تعالى عند ذلك، وإذا

(١) الكشف والبيان ج٧: ٢٢٣.

(٢) الكشف والبيان ج٧: ٢٢٤.

(٣) معالم التنزيل ج٣: ١٢٢.

(٤) أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم القرظي يعد من عباد أهل المدينة وعلمائهم، مات سنة ١٠٨ هـ. ينظر: مشاهير علماء الأمصار: ١٠٨، معجم رجال الحديث ج١٧: ١٩٨.

(٥) تفسير الماوردي ج٤: ٢٢٦، التبيان ج٨: ١٠٦.

(٦) بصائر الدرجات: ٢٠١.

(٧) طه: ٩٧.

كانت حكاية لقول الدابة فمعنى ﴿وَيَايَنَّا﴾: بآيات ربنا، أو لأنها من خواص خلق الله أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقول بعض خاصة الملك: بلادنا وجندنا، وإنما هي بلاد مولاه وجنده. والقراءة بفتح ﴿أَنَّ﴾ على حذف الجار.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا.
﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ﴾ منصوب بما دلّ عليه ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، لأن ﴿يَوْمَ﴾ هاهنا بمنزلة (إذا).

وقد استدلّ بعض الإمامية بهذه الآية على صحّة الرجعة، وقال: إنّ المذكور فيها: يوم نحشر فيه من كل جماعة فوجاً، وصفة يوم القيامة أنّه يحشر فيه الخلائق بأسرهم^(١) كما قال سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٢). وورد عن آل محمد^(٣): ((أَنَّ الله تعالى يحبي عند قيام المهدي^(٤) قوماً من أعدائهم قد بلغوا الغاية في ظلمهم واعتدائهم، وقوماً من مخلصي أوليائهم قد ابتلوا بمعاناة كل عناء ومحنة في ولائهم، ليستقم هؤلاء من أولئك، ويتشفوا مما تجرّعوه من الغموم بذلك، وينال كل من الفريقين بعض ما استحقّه من الثواب والعقاب))^(٥).

وهذا غير مستحيل في العقول فإنّ أحداً من المسلمين لا يشك في أنّه مقدور لله تعالى، وقد نطق القرآن بوقوع أمثاله في الأمم الخالية كـ ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾^(٦)، والذي ﴿أَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾^(٧).

(١) الاعتقادات في دين الامامية: ٦٣.

(٢) الكهف: ٤٧.

(٣) ينظر: كتاب الإيقاظ من الهجعة: ٢٢٣ - ٢٨٠.

(٤) البقرة: ٢٤٣.

(٥) البقرة: ٢٥٩.

وروي عنه عليه السلام: ((سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة))^(١).

وعلى هذا فيكون المراد بالآيات: أئمة الهدى عليهم السلام.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَحْيَاكُمُ عَنْهَا عَلَمًا﴾ الواو للحال، فكأنه قال: أكذبتم بها بادئ الرأي من غير فكر ونظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها، أو للعطف أي: أوجدتموها ومع جحودكم لم تقصدوا معرفتها وتحققها.

﴿أَمَّا أَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من غير الكفر والتكذيب بآيات الله، يعني: لم يكن لكم عمل في الدنيا غير ذلك.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: غشيهم العذاب بسبب ظلمهم فשלغهم عن الاعتذار والنطق به.

الَّذِينَ بَرَأْنَا آتَا جَعَلْنَا الْبَلَّ لَيْسَ كُنُوفًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَنُفِخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَأَنْ أَهْتَدَى

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١: ١٣٠، مصنف ابن أبي شيبة ج ٨: ٦٣٦.

فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَتُهُ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾
﴿مُبْصِرًا﴾ معناه: ليصروا فيه طرق المكاسب.

﴿فَفَزَعَ﴾ ولم يقل: فيفزع ليعلم أنه كائن لا محالة، والمراد: أن أهل السماوات والأرض يفزعون عند النفخة الأولى.

﴿لَا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ من الملائكة الذين ثبتهم الله تعالى وهم: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، وقيل: الشهداء^(١). وقرئ: وكل آتوه، أي: فاعلوه، وكلاهما محمول على معنى ﴿كُلُّ﴾. والداخر: الصاغر، ومعنى الإتيان: حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية، ويجوز أن يكون المراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له.

﴿تَحْسَبُا جَمَدةً﴾ من جمد في المكان إذا لم يبرح منه، تجمع الجبال وتسير كما تسير الريح السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ مرأ حثيثاً. وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا يتبين حركتها، كما قال النابغة الجعدي يصف جيشاً:

بَارَزَ عَنْ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ وَقُوفٌ لِحَاجِ وَالرَّكَابُ تَهْمَلُجُ^(٢)
﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد، وانتصابه بما دلّ عليه ما تقدّم من قوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ مَرَّ السَّحَابِ، وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتى بها على وجه الحكمة والإتقان وهو حسن الاتساق.

(١) عن أبي هريرة مرفوعاً. تفسير الطبري ج ٢٠: ١٣.

(٢) ديوان النابغة الجعدي: ٤٩.

﴿إِنَّهُ خَيْرٌ﴾ بما يفعله العباد، وما يستحقونه عليه فيجازيهم بحسب ذلك.
وقري: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتاء على الخطاب.

وقري: مِنْ فَرْعِ يَوْمِئِذٍ مجروراً بالإضافة، ويومئذ مفتوحاً مع الإضافة لأنه أضيف إلى غير متمكن، ومنصوباً مع تنوين ﴿فَرْعٍ﴾. ومن نون ففي انتصاب ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ ثلاثة أوجه: أن يكون ظرفاً للمصدر، وأن يكون صفة له كأنه قال: من فرع يحدث يومئذ، وأن يتعلق بـ ﴿ءَامِنُونَ﴾ كأنه قال: وهم آمنون يومئذ من فرع شديد لا يكتننه الوصف وهو خوف النار. وعن علي عليه السلام: ((الحسنة حَبْنَا أهل البيت، والسيئة بغضنا))^(١)، ويؤيده ما روه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((يا علي، لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالأوتار، وصلّوا حتى صاروا كالحنايا، ثم أبغضوك، لأكتبهم الله على مناخرهم في النار))^(٢).

﴿هَلْ تُحْزِنُونَ﴾ على إضمار القول.

﴿هَذِهِ أَلْبَدَةُ﴾ يعني: مكة، خصّها الله سبحانه بإضافة اسمه إليها، وأشار إليها إشارة تعظيم لها، ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها: لا يختل خلها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ومن التجأ إليها فهو آمن، ومن انتهك حرمتها فهو ظالم، وهو مالك كل شيء فيحرّم ما يشاء ويحلّ ما يشاء.

﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ باتباعه إيتاي فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إليّ ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ ولم يتبعني فلا عليّ، وما أنا إلا رسول منذر، وليس عليّ إلا البلاغ المبين.

ثم أمره سبحانه أن يحمد الله على ما آتاه من نعمة النبوة، وأن يهدد أعداءه بما سيرهم سبحانه من الآيات التي تلجئهم إلى المعرفة والإقرار بأنها آيات الله، وذلك

(١) شواهد التنزيل ج ١: ٤٢٥. المحاسن ج ١: ١٥٠.

(٢) شواهد التنزيل ج ١: ٤٢٦.

تفسير سورة فاطر / الآيات ٨٦-٩٣ ١٩٧.

حين لا تنفعهم المعرفة، يعني في الآخرة، وقيل: هي العذاب في الدنيا والقتل يوم بدر فيشاهدونها^(١). وقرئ: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء.

سورة القصص

مكية، وهي ثمان وثمانون آية، ﴿طسم﴾ كوفي، ﴿يَسْقُونَ﴾ غيرهم.
وفي حديث أبي: ((من قرأها أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق موسى عليه السلام ومن كذب به))^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْخِلُ آبْنَاءَهُمْ فِي سِتْرِهِ، يَسْتَحْيِي، نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ، كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَكَ وَنُحْشِدَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ بعض ﴿نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ أي: محققين كقوله: ﴿تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ﴾^(٢).

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٢٣٢ باختصار.

(٢) المؤمنون: ٢٠.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سبق في علمنا أنهم يؤمنون، لأن التلاوة إنها تنفع هؤلاء.

﴿إِنْ فِرْعَوْنَ﴾ جملة مستأنفة كال تفسير لما تقدم.

﴿عَلَا﴾ أي: بغى وتجبر ﴿فِي﴾ أرض مصر، وتجاوز الحد في الظلم.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ أي: فرقاً يشيعونه على ما يريد، أو يشيع بعضهم

بعضاً في طاعته، أو فرقاً مختلفة قد أوقع بينهم العداوة، وهم: بنو إسرائيل والقبط

﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل.

وسبب ذبح الأبناء أن كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب

ملكك على يده، ﴿يُذِيحُ﴾ بدل من ﴿يَسْتَضِعُّ﴾، و﴿يَسْتَضِعُّ﴾ إما حال من

الضمير في ﴿جَعَلَ﴾، أو صفة لـ ﴿شِيَعًا﴾، أو كلام مستأنف.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾ جملة معطوفة على الكلام المتقدم، لأن الجميع تفسير

لـ ﴿نَبِيٍّ مُّوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾، و﴿نُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية، ويجوز أن يكون حالاً

من ﴿يَسْتَضِعُّ﴾ أي: يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمُنَّ عليهم ﴿وَنَجْعَلَهُمْ

أَيُّمَةً﴾ مقدمين في الدين والدنيا، وقادة في الخير يقتدى بهم. وعن سيد العابدين (عليه السلام):

((والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، إن الأبرار منا أهل البيت، وشيعتهم بمنزلة

موسى وشيعته، وإن عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه))^(١).

﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ يرثون فرعون وقومه ملكهم.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي﴾ أرض مصر والشام، أي: نجعلها لهم عمدة لا تنبو بهم كما

كانت في أيام الجبابرة، ونفذ أمرهم، ونطلق أيديهم فيها ونسلطهم عليها. وقرئ:

ويرى - بالياء -، فرعون وجنوده - بالرفع -، أي: يرون منه ما كانوا يحذرونه من

ذهاب ملكهم وهلاكهم.

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَلَيْهِ
فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَأَلْقَيْتُهَا إِلَىٰ فَارْعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا
وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتْ أُمَّرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ
أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

﴿الْيَمِّ﴾ البحر، وهو نيل مصر.

يعني: ألهمناها، أو أتاها جبرائيل بذلك ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما لم تخافي عليه ﴿فَإِذَا
خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ القتل فاقد فيه في النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الغرق والضياح، والفرق
بين الخوف والحزن: أنَّ الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع، والحزن غم يلحقه
لواقع؛ وهو فراقه والإخطار به. وقد نهيت عن الأمرين جميعاً، ووعدت بما يسليها
ويطمئن قلبها ويبهجها، وهو رده إليها وجعله ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

واللام في ﴿لِيَكُونَ﴾ لام (كي) التي معناها التعليل، ولكن معنى التعليل
فيها وارد على طريق المجاز، لأنّه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم ﴿عَدُوًّا
وَحَزَنًا﴾، غير أنَّ ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته، شبه بالداعي الذي يفعل
الفعل لأجله. وقرئ: حُزناً، وهما لغتان كالرُّشد والرَّشد.

﴿كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ في كل شيء، وليس خطأهم في تربية عدوهم بيدع
منهم، أو كانوا مجرمين مذنبين، فعاقبهم الله بأن ربّى عدوهم الذي هو سبب

هلاكمهم على أيديهم. وقرئ: خاطين بتخفيف الهمزة، أو هو من خطوت أي: خاطين الصواب إلى الخطأ.

وروي أنهم التقطوا التابوت فذنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً ففتحته فإذا بصبي يمص إبهامه فأحبوه، فقالت آسية لفرعون: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ أي: هو قرّة عين. وعن ابن عباس: (إن أصحاب فرعون جاءوا ليقتلوه فمنعهم وقالت: لا تقتلوه، فقال فرعون: قرّة عين لك، فأما لي فلا، ولو أنه أقر بأن يكون له قرّة عين كما أقرت امرأته، لهداه الله به كما هداها)^(١).

﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فإن فيه محائل اليمن، توسمت في سيمائه النجاة المؤذنة بكونه نفاعاً ﴿أَوْ نَنْتَهِدْهُ، وَلَدَا﴾ فأنه أهل لأن يكون ولداً للملوك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم وجدوا المطلوب الذي يطلبونه.

﴿فَرِحْنَا﴾ من الهم حين سمعت بعطف فرعون عليه وتبّيه له. وقيل: فارغاً: صفرأ من العقل حين سمعت بوقوعه في يد فرعون^(٢)، ونحوه: ﴿وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾^(٣) أي: لا عقول فيها. قال حسان:

أَلَا أَبْلِغَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَحْبُ هَوَاءٍ^(٤)

﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ معناه: إنها كادت تذكر موسى فتقول: يا ابنه، من شدة الوجد ﴿لَوْ أَنَّ رَيْطَنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بإلهام الصبر ﴿لَتَكُونَنَّ مِنْ﴾ المصدقين بوعد الله في ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾، وقيل: كادت تخبر أنها أمه لما رآته عند

(١) تفسير الطبري ج ٢٠: ٢٢.

(٢) عن ابن عباس وغيره. تفسير الماوردي ج ٤: ٢٣٨ بالمعنى.

(٣) إبراهيم: ٤٣.

(٤) ديوان حسان بن ثابت ج ١: ١٨.

فرعون لشدة سرورها به^(١). والهاء في ﴿يَهْ﴾ لموسى، والمراد بأمره وقصته.

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
 (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ
 بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورُ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُهْلِهِ
 كَىٰ نَقَرَّ عَنْهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
 وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْنَهُ
 حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ
 حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ
 وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ
 فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ
 مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)

﴿وَقَالَتْ﴾ أم موسى لأخت موسى: ﴿قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره وتتبعي

خبره.

﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ عن بعد. والمراد: فذهبت فوجدت آل فرعون
 أخرجوا التابوت وأخرجوا موسى، فرأت أخاها موسى وهم لا يحسون بأنها أخته.
 والتحريم: استعارة للمنع، لأن من حرّم عليه الشيء فقد منع ذلك،
 وذلك أنّ الله منع موسى أن يرضع ثدياً، فكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أهمهم
 ذلك، و﴿الْمَرَاضِعُ﴾ جمع مرضع وهي التي ترضع، أو جمع مرضع وهو الرضاع
 أو موضع الرضاع يعني الثدي من قبل قصّها أثره. وروي أنّها لما قالت: ﴿وَهُمْ

لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١١﴾ قال هامان: إنها لتعرفه وتعرف أهله، فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون^(١).

والنصح: إخلاص العمل من شائب الفساد. فانطلقت إلى أمها فجاءت بها، والصبي على يد فرعون يقبله شفقة عليه، إذ ألقى الله محبته في قلبه، وهو يبكي بطلب الرضاع، فحين وجد ريجها استأنس إليها والتقم ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه، [فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟]^(٢) قالت: إني امرأة طيبة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز الله وعده في الرد، فعند ذلك استقر عندها أنه يكون نبياً، وذلك قوله: ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ والمراد: ليثبت علمها ويتمكن ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه حق كما علمت.

﴿وَأَسْتَوِي﴾ أي: اعتدل واستحكم وبلغ المبلغ الذي لا يزداد عليه وهو أربعون سنة.

﴿ءَايَنُّهُ حُكْمًا﴾ وهو النبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ وهو التوراة.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ يعني: مصر، وقيل: مدينة منف من أرض مصر^(٣).

﴿عَلَى جَبِّ عَقَلَةٍ﴾ يعني: ما بين العشاءين، وقيل: وقت القائلة^(٤).

﴿مِنْ شِيعِيهِ﴾ ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل.

﴿مِنْ عَدُوِّهِ﴾ من مخالفيه من القبط.

(١) تاريخ الطبري ج ١: ٢٠١.

(٢) ساقطة من ب، ط.

(٣) عن السدي وغيره. معالم التنزيل ج ٣: ١٢٨.

(٤) عن قتادة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٠: ٢٩.

والوكر: الدفع بأطراف الأصابع، وقيل: بجمع الكف^(١).

﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: إنَّ العمل الذي وقع القتل بسببه من عمل الشيطان إذ حصل بوسوسته ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ لبني آدم ﴿مُضِلٌّ﴾ ظاهر الإضلال.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بهذا القتل لأنَّ القوم لو علموا بذلك لقتلوني، وقيل: إنَّما قاله على سبيل الانقطاع إلى الله، والاعتراف بالتقصير عن أداء حقوق نعمه^(٢).

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّكَ أَلَمَلَأَ بِأَنْعَمُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف، والتقدير: أقسم بإنعامك عليَّ لأتحفظنَّ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾، وأن يكون معناه: بما أنعمت عليَّ من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك المؤمنين، ولا أدع قبضاً يغلب أحداً من بني إسرائيل.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾ المكروه وهو أن يستقاد منه، أو ينتظر الأخبار في قتل القبطي

(١) تفسير الطبري ج ٢٠: ٢٩.

(٢) تنزيه الأنبياء: ٨٧.

ويتجسس، لآته خاف من فرعون وقومه أن يكونوا عرفوا أنه قتله، وقال للإسرائيلي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ لآته كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر.

﴿فَلَمَّا﴾ أخذته الرقة على الإسرائيلي و﴿أَرَادَ﴾ أن يدفع القبطي الذي هو عدو لموسى والإسرائيلي عنه و﴿يَبْطِشُ﴾ به، وقرئ: يَبْطِشُ - بالضم..

والجبار: الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم، لا ينظر في العواقب، وقيل: هو المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله^(١). ولما قال للإسرائيلي هذا اشتهر أمر القتل في المدينة، وأنهى إلى فرعون وهموا بقتله.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ قيل: هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون^(٢).

و﴿يَسْعَى﴾ يجوز أن يكون في محل الرفع وصفاً لـ ﴿رَجُلٌ﴾، ويجوز أن يكون منصوباً حالاً عنه، لآته قد تخصص بوصفه الذي هو ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾، ويجوز أن يكون صلة لـ ﴿جَاءَ﴾ فيكون ﴿يَسْعَى﴾ صفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾ لا غير.

﴿يَأْتِمِرُونَ﴾ يتشاورون بسببك، يقال: تأمر القوم واثمروا، و﴿لَكَ﴾ ليس بصلة لـ ﴿التَّصْحِيفِ﴾ بل هو بيان.

﴿خَرَجَ﴾ موسى من مصر.

﴿وَتَرَقَّبُ﴾ التعرض له في الطريق، أو أن يلحق.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي﴾ من فرعون وقومه.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ
(٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ

(١) معاني القرآن وإعراجه ج ٤: ١٣٧.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٢٠: ٣٣.

وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا
 سَمْعِي حَتَّى يَصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُوكَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا
 ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ
 ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى يَدْعُوكَ
 لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ
 قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا
 يَبْنَوبُ اسْتَفْجَرُهُ إِنَّكَ خَيْرُ مَنْ اسْتَفْجَرْتُ الْقَوِيَ الْآمِينَ ﴿٢٦﴾
 قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي
 ثَمَنِي حَبْجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
 ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ
 عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ صرف وجهه نحوها، وهي قرية شعيب، وعن ابن عباس: (خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه) ^(١).

و﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وسطه، وقيل: خرج خائفاً لا يعيش إلا بورق الشجر ^(٢).

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ الذي يسقون منه وكان بئراً، ووروده: مجيئه والوصول إليه ﴿وَجَدَ﴾ فوق شفيره ومستقاه.

﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة كثيرة العدد من أناس مختلفين.

(١) تفسير الطبري ج ٢٠: ٣٤.

(٢) عن سعيد بن جبير. تفسير الطبري ج ٢٠: ٣٤.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: مكان أسفل من مكانهم ﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذَوْدَانِ﴾ عنهما، والذود: الطرد والدفع، كانتا تكرهان المزاحمة على الماء، وقيل: كانتا لا تتمكنان من السقي، لأنّ على الماء من هو أقوى منهما^(١).

﴿مَا خَطَبُكُمَا﴾ ما شأنكما، وأصله: ما مخطوبكما أي: مطلوبكما من الزيادة. وقرئ: يصدر الرعاء، أي: يصدروا مواشيهم من ورودهم، والرعاء: جمع الراعي كالصيام والقيام.

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ فسقى غنمها لأجلهما، وروي: أنّ الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقلّه إلا سبعة رجال، وقيل: عشرة، وقيل: أربعون، فأقلّه وحده، وسألهم دلواً فأعطوه دلوهم، وكان لا يتزعاها إلا عشرة، فاستقى بها وحده مرة فروى غنمها وأصدرهما^(٢). وإنّما فعل ذلك رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف.

ولم يذكر مفعول ﴿يَسْقُونَ﴾، و﴿تَذَوْدَانِ﴾، و﴿لَا سَقَى﴾ لأنّ الغرض هو الفعل لا المفعول. والوجه في مطابقة جوابها لسؤاله أنّه سألها عن سبب ذودهما الغنم، فقالتا: سبب ذلك أنّهما ضعيفتان لم تقدرا على مزاحمة الرجال، ولا بد لهما من تأخير السقي إلى أن يصدروا.

﴿وَأَبْوُنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ضعيف كبير السن لا يقدر على تولي السقي بنفسه، وكأّنما قالتا ذلك تعريضاً للطلب منه الإعانة على سقي غنمها، وإبلاء للعذر في توليها السقي بأنفسهما.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى﴾ ظل سمرة من شدة الحر وهو جائع فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا

(١) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ١٣٩.

(٢) الدر المنثور ج ٥: ١٢٤.

أَنْزَلَتْ إِلَيَّ ﴿١﴾ أَي: لَأَيِّ شَيْءٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ ﴿فَقِيرٌ﴾، وَإِنَّمَا تَعْدَى ﴿فَقِيرٌ﴾ بِاللَّامِ لِأَنَّهُ ضَمَّنَ مَعْنَى سَائِلٍ وَطَالِبٍ. وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وَخَضِرَةُ الْبَقْلُ تَرَى فِي بَطْنِهِ مِنَ الْهَزَالِ، وَمَا سَأَلَ إِلَّا خَبِزاً يَأْكُلُهُ^(١).

﴿عَلَى أَسْتَحْيَاءَ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي: مُسْتَحْيِيَةٌ خَفِرَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا لَمَّا رَجَعْنَا إِلَى أَبِيهِمَا قَبْلَ النَّاسِ وَأَغْنَاهُمَا حِفْلُ بَطْنٍ وَقَالَتَا: وَجَدْنَا رَجُلًا صَالِحًا رَحِمَنَا وَسَقَى لَنَا، قَالَ لِأَحَدَاهُمَا: عَلَيَّ بِهِ، فَرَجَعْتُ فَتَبِعَهَا مُوسَى، فَالْصَقْتُ الرِّيحَ ثَوْبَهَا بِجَسَدِهَا فَوَصَفْتَهُ، فَقَالَ لَهَا: إِمَشْ خَلْفِي وَأَرِنِي السِّمْتَ بِقَوْلِكَ، فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ ﴿قَالَ لَا تَخَفْ﴾ فَلَا سُلْطَانَ لِفِرْعَوْنَ بِأَرْضِنَا. وَ﴿الْقَصَصُ﴾ مُصَدَّرٌ سَمِّيَ بِهِ الْمَقْصُوصُ.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ وَهِيَ كِبْرَاهِمَا، وَهِيَ الَّتِي ذَهَبَتْ بِهِ، وَهِيَ الَّتِي تَزَوَّجَهَا. وَرَوَى أَنَّ شُعَيْبًا قَالَ لَهَا: وَكَيْفَ عَلِمْتَ قُوَّتَهُ وَأَمَانَتَهُ؟ فَذَكَرَتْ إِقْلَالَ الْحَجَرِ، وَنَزْعَ الدَّلْوِ، وَأَنَّهُ صَوَّبَ رَأْسَهُ حَتَّى أَبْلَغَتْهُ رِسَالَتَهُ، وَأَمَرَهَا بِالْمَشْيِ خَلْفَهُ^(٢). وَفِي قَوْلِهَا حِكْمَةٌ جَامِعَةٌ لِأَنَّهُ إِذَا حَصَلَتِ الْأَمَانَةُ وَالْكَفَايَةُ فِي الْقِيَامِ بِالْأَمْرِ فَقَدْ تَمَّ الْمُرَادُ.

﴿تَأْجِرَنِي﴾ مِنْ أَجْرَتِهِ إِذَا كُنْتَ لَهُ أَجِيرًا، وَ﴿ثُمَّنِي حِجَجٌ﴾ ظَرْفٌ لَهُ. ﴿فَعِنَّ عِنْدَكَ﴾ أَي: فِلَاتِمَامَهُ مِنْ عِنْدِكَ، يَعْنِي: لَا أَوْجِبُهُ عَلَيْكَ وَلَا أَلْزَمُكَه، وَلَكِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ فَهُوَ تَبَرُّعٌ مِنْكَ.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بِإِتِمَامِ الْأَجْلِينَ وَإِجَابِهِ.

﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فِي حَسَنِ الْمَعَامَلَةِ وَلَيْنِ الْجَانِبِ.

(١) تفسير الطبري ج ٢٠: ٣٨.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٠: ٤٠.

﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ و﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ خبره، أي: ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه، أي أجل ﴿قَضَيْتُ﴾ من الأجلين: الثاني أو العشر، فلا يعتدى ﴿عَلَى﴾ في طلب الزيادة عليه، و(ما) مؤكدة لإبهام (أي) زائدة في شياعها. والوكيل: الذي وكل الأمر إليه، ولما استعمل بمعنى الشاهد والمهيمن عدي بـ﴿عَلَى﴾.

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ ۚ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَانَهَا جَانًّا وَلَيْ مُذِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسُ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ ۚ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣٣﴾ أَسَلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ يَصْفَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهْبِ ۚ فَذَلِكَ بُرْهَانِي مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٥﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٦﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا ۖ أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٧﴾

قري: ﴿جَذْوَةٍ﴾ بالحركات الثلاث، وفيها اللغات الثلاث، وهي العود الغليظ في رأسه نار.

و﴿مِنْ﴾ الأولى والثانية لابتداء الغاية، أي: أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة. و﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من ﴿شَطِئِ الْوَادِ﴾ وهو بدل الاشتغال، لأنَّ الشجرة قد نبتت على الشاطئ.

والرهب: الخوف، والجناح المراد به اليد، لأنَّ يد الإنسان بمنزلة جناحي الطائر، وإذا أدخل الإنسان يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضمَّ جناحه إليه، من الرهب أي: من أجل الرهب، يعني: إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك.

﴿فَذَنَّاكَ﴾ قرئ مخففاً ومشدداً، فالمخفف تثنية ذاك، والمشدد تثنية ذلك. ﴿بُرْهَنَانِ﴾ حجتان بيتان، وسميت الحجة برهاناً لبياضها ووضوحها، وقالوا: امرأة برهرة أي: بيضاء، وأبره الرجل: جاء بالبرهان، وكذلك السلطان مشتق من السليط وهو الزيت لإنارته.

والردء: اسم ما يعان به، فعل بمعنى مفعول به، كالدفع لما يدفأ به، قال:

وَرِدْنِي كُلُّ أَبْيَضٍ مَشْرِفٍ شَحِيذٍ حَدِّ عَذْبٍ ذِي فُلُولٍ^(١)

وقرئ: رداً - على التخفيف -، وقرئ: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالرفع والجزم صفة وجواباً لقوله: ﴿وَلَيْتَا يَرْتُنِي﴾^(٢) سواء.

والمراد بالتصديق أن يخلص بلسانه الحقَّ ويمجاد به الكفار كما يفعل المصقع البليغ، فإنه يجري مجرى التصديق، كما أنَّ البرهان يصدق القول، أو يبين كلامه حتى يصدقَه الذي يخاف تكذيبه، وأسند التصديق إليه لأنَّه السبب فيه على سبيل

(١) البيت لسلامة بن جندل. شرح شواهد الكشاف: ٤٩٩ وفيه: غضب، ولا يوجد في ديوانه.

(٢) مريم: ٦٥.

الاستعارة، وبدل عليه قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

ومعنى ﴿سَنُشَدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك به ونؤيدك بأن نقرنه إليك في النبوة، لأنَّ العضد قوام اليد، قال طرفة:

أُنْبِي لُتَيْسَى لَسْتُ بِيَدٍ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ^(١)

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَنًا﴾ أي: غلبة وتسلطاً، أو حجة وبرهاناً.

﴿وَنُؤَيِّنَا﴾ يتعلق بـ ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَنًا﴾ أي: نسلطكم، أو نعلق بـ ﴿لَا

يَصِلُونَ﴾ أي: تمتنعان منهم بآياتنا، أو هو بيان لـ ﴿الْفَٰغِلِيُونَ﴾ لا صلة، لأنَّ الصلة لا تتقدّم على الموصول، أو على تقدير: إذهبا بآياتنا.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا جَاءَ بِالْهَدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَنَقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَدُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطْلُعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَهُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَهَانَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَنَقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى النِّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

أي: ﴿سِحْرٌ﴾ ظاهر افتراؤه، وليس بمعجز من الله.

﴿وَيَا بَايَا﴾ حال عن هذا، أي: كائناً في زمان آبائنا، أي: لم نسمع بكون ما تدعيه فيهم.

﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ منكم بحال من يؤهله النبوة ويبعثه بالهدى، يعني نفسه، ولو كان - كما تزعمون - كاذباً مفترياً لما أهله لذلك، لأنه غني حكيم لا يرسل الكاذبين والساحرين، و﴿لَا يُفْلِحُ﴾ عنده ﴿الظَّالِمُونَ﴾.

و﴿عَقِبَةُ الدَّارِ﴾ هي العاقبة المحمودة، يدلّ عليه قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾^(١). والدار هي الدنيا، وعقباها وعاقبتها أن يختم للعبد بالرضوان والرحمة. وقرئ: قال موسى - بغير واو - و﴿تَكُونُ﴾ بالتاء والياء.

﴿فَأَوْقَدْ لِي يَنْهَمْنُنْ عَلَى الْطِينِ﴾ أي: فأجج النار على الطين واتخذ الآجر فاجعل لي قصراً وبناء مرتفعاً عالياً ﴿لَعَلِّي﴾ أقف على حال ﴿إِلَهُ مُوسَى﴾ وأشرف عليه. وهذا تلبس من فرعون وإيهام على العوام، إن الذي يدعوا إليه موسى يجري مجراه في الحاجة إلى المكان، وقصد بنفي علمه بآله غيره نفي وجوده، يعني: مالكم من إله غيري، أو يريد أن إلهاً غيره غير معلوم عنده لكنّه مظنون. والطلوع والإطلاع: الصعود.

وكل مستكبر متكبر سوى الله عز وجل فاستكباره ﴿يَغْيِرَ الْحَقَّ﴾، وهو جل جلاله المتكبر على الحقيقة، أي: المبالغ في كبرياء الشأن. قال عليه السلام: فيما حكاه عن ربه عز اسمه -: ((الكبرياء ردائي، والعظمة إزارتي، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار))^(٢). وقرئ ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالضم والفتح.

(١) الرعد: ٢٢، ٢٣.

(٢) مسند الشهاب ج ٢: ٣٣٠، الكافي ج ٢: ٣٠٩.

﴿فَأَخَذَتْهُ وَخُودُهُ، فَنبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ من الكلام الدال على عظم شأنه وجلال كبريائه. شبههم استحقاراً لهم - وإن كانوا الجم الغفير - بكف من تراب أخذها الإنسان بكفه فطرحه في البحر.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ أي: دعوناهم دعاة إلى النار، [وقلنا: إنهم أئمة دعاة إلى النار]^(١)، من قولك: جعله بخيلاً، أي: دعاه وقال: إنه بخيل. ومعناه: إنهم دعاة إلى موجبات النار من الكفر والمعاصي، ويجوز أن يكون المعنى: خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومنعناهم الطافنا، وإنما يمنع الألفاظ من علم أنها لا تنفع فيه، وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر، فكأنه قال: صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه، ولولا ذلك لما خذلناهم، و﴿هُمْ﴾ يوم القيامة مخذولون لا ينصرون.

﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعدين.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾
وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ
الشَّاهِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا
كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن
رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْلَا أَن نُّصِيبَهُمْ مُّصِيبَةً يَمَّا قَدَّمْتَ

أَيَّدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَنْتَبِعَ آيَاتِكَ
وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
لَوْلَا أَوْفَىٰ بِمِثْلِ مَا آوَفَ مُوسَىٰ أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا آوَفَ مُوسَىٰ
مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفَرٍ ﴿٨﴾ قُلْ
فَأَتُونَا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ
أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَفْضَحْهُدَىٰ مِنَ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

انتصب ﴿بَصَائِرَ﴾ على الحال، والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به، كما
أنَّ البصر نور العين الذي تبصر به، يعني: آتيناه الكتاب أنواراً للقلوب ﴿وَهْدَىٰ﴾
وإرشاداً ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به.

و﴿الْفَرِيقَ﴾: المكان الواقع في شق الغرب، وهو المكان الذي وقع فيه
ميقات موسى عليه السلام من الطور، والخطاب لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أي: ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ حاضراً
المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى ولا ﴿كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ للوحي إليه أو على
الوحي إليه، حتى تقف بالمشاهدة على ما جرى من أمره.

﴿وَلَنَكُنَّ أَنتَانَا﴾ بعد عهد الوحي إليه إلى عهدك ﴿قُرُونًا﴾ كثيرة
﴿فَنَطَاوَلُ﴾ على آخرهم، وهو القرن الذي أنت فيهم ﴿الْعُمُرُ﴾ أي: أمد انقطاع
الوحي واندرست العلوم فأرسلناك وأوحينا إليك قصص الأنبياء وقصة موسى.
﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ أي: مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهم شعيب والمؤمنون
به ﴿تَنَلُّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ تعلموا منهم، يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه
﴿وَلَنَكُنَّ﴾ أرسلناك وعلمناكها وأخبرناك بها.

﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى، يريد ليلة المناجاة ﴿وَلَكِنَّ﴾ علمناك ﴿رَحْمَةً﴾.
 ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا﴾ هم العرب ﴿مَا أَنتَهُم مِّنْ نَّذِيرٍ﴾ في زمان الفترة بينك وبين
 عيسى، وهو خمسمائة وخمسون سنة، ونحوه: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾^(١).
 ﴿لَوْلَا﴾ الأولى امتناعية وجوابها محذوف، والثانية تحضيضية، وإحدى
 الفاءين للعطف، والأخرى جواب ﴿لَوْلَا﴾ لكونها في حكم الأمر من حيث أن
 الأمر يبعث على الفعل، والباعث والمحرض من باب واحد. والمعنى: لولا أنهم
 قائلون إذا عوقبوا بكفرهم: هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يحتجون علينا بذلك لما
 أرسلنا إليهم، يريد أن إرسال الرسول إنما هو لإلزام الحجة إليهم، ولثلاث تكون لهم
 الحجة كقوله: ﴿لَنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٢)، ﴿أَن تَقُولُوا مَا
 جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾^(٣)، ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾^(٤).

ولما كانت أكثر الأعمال بالأيدي اتسع فيه حتى عبر عن كل عمل بتقديم
 الأيدي، وإن كان من أعمال القلوب.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ وهو الرسول المصدق بالمعجزات ﴿قَالُوا لَوْلَا
 أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ من فلق البحر وقلب العصا حية، أو الكتاب المنزل
 جملة واحدة، إلى غير ذلك من اقتراحاتهم المبنية على التعنت والعناد.
 ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ يعني: أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم

(١) يس: ٦.

(٢) النساء: ١٦٥.

(٣) المائدة: ١٩.

(٤) طه: ١٣٤.

عنادهم، وهم الكفار في زمن موسى ﴿بِمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ قالوا في موسى وهارون ساحران تظاهرا أي: تعاونا، وقرئ: ﴿سِحْرَانِ﴾ أي: ذوا سحر، جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر، أو أرادوا نوعان من السحر و﴿إِنَّا بِكُلِّ﴾ واحد منهما ﴿كَافِرُونَ﴾.

و﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يتعلّق ب﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾، وإن تعلّق ب﴿أُوْتِيَ﴾ انقلب المعنى إلى: أنّ أهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد ﷺ وبالقرآن، فقد كفروا بموسى والتوراة فقالوا في موسى ومحمد: ساحران تظاهرا، أو في الكتابين: سحران، وذلك حين بعثوا الرهط إلى رؤساء اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فأخبروهم أنّ نعته وصفته في كتابهم، فقالوا ذلك.

﴿هُوَ أَهْدَى﴾ مما أنزل على موسى ومما أنزل عليّ.

أي: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ دعائك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى ﴿فَاعْلَمْ﴾ أنهم قد ألزموا، ولم يبق لهم حجة إلا اتباع الهوى.

ثم قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مَعَنٍ﴾ لا يتبع في دينه إلا ﴿هُوَئِلَآءِ يَغْيِرُ هُدًى مِّنْ اللَّهِ﴾.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ أي: لا يطف بالقوم الثابتين على الظلم. وقوله: ﴿يَغْيِرُ هُدًى﴾ في موضع الحال، أي: مخذولاً.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَايَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُنَالُ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَّرْتَيْنٍ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُفْقُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٢﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي
مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
﴿٥٣﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُخْطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ
لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبَى إِلَيْهِ نَمَرْتُ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بِطَرَفِ
مَعِشَتَهَا فَمِنْكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا
نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٥﴾

أي: آتيناهم القرآن متتابعاً متواصلاً، وعداً ووعداً، وعبراً ومواعظ، إرادة أن يتذكروا فيفلحوا، فنزلناه عليهم نزولاً متصلاً بعضه في إثر بعض.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل محمد ﷺ أو القرآن، وهم مؤمنو أهل الكتاب، وقيل: هم أربعون من أهل الإنجيل، جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، وثمانية من الشام، منهم بحيرا^(١).

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ تعليل للإيمان به، لأن كونه حقاً من الله يوجب أن يؤمن به.
﴿وَلَنَا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُتَّبِعِينَ﴾ بيان لقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ أخبروا أن إيمانهم به متقادم، والإسلام صفة كل موحد مصدق بالوحي.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على الإيمان بالتوراة والإيمان بالقرآن، أو بصبرهم على الإيمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله، أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب، ونحوه: ﴿يُؤْتِيكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ

رَحْمَتِهِ^(١).

﴿وَيَذَرُون﴾ بالإيمان والطاعة المعاصي المتقدمة أو بالحلم الأذى.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة وتوديع. وعن الحسن: (كلمة حلم من المؤمنين)^(٢).

﴿لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ لا نريد مخالطتهم، ولا نطلب مجالستهم ومصاحبتهم.

﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر أن تدخل في الإيمان كل من أحببت أن

تدخل فيه من قومك وغيرهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾ يدخل فيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ وهو من علم

أن الألفاظ تنفع فيه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ بالذين يهتدون باللفظ. وكان النبي ﷺ حريصاً

على إيمان قومه وإقرارهم بنبوته، فأخبره سبحانه بأن ذلك ليس في مقدوره. وقالوا:

إن الآية نزلت في أبي طالب، وقد ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام: أن أبا طالب مات مسلماً،وأجمعت الإمامية على ذلك، وأشعاره مشحونة بالإسلام وتصديق النبي ﷺ^(٣).

﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ﴾ أي: نستلب ﴿مَنْ أَرْضَيْنَا﴾ قيل:

إن القائل الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف^(٤)، قال: إننا نحن أكلة رأس،

أي: قليلون، ونخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا، فرد الله

عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ والعرب حوله يتغاورون، وهم

آمنون في حرمهم لا يخافون تجبي إليهم الثمرات من كل أرض، فإذا خوّلهم الله

ما خوّلهم من الأمن والرزق وهم كفرّة عبدة أصنام، فكيف يعرضهم للتخطف

ويسلبهم الأمن إذا آمنوا به ووحدوه وصدقوا رسوله؟! وإسناد الأمن إلى أهل

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) الكشف ج ٣: ٤٢٢.

(٣) ينظر: كتاب إيمان أبي طالب، شرح نهج البلاغة ج ١٤: ٧١-٨١.

(٤) أسباب النزول: ٢٣٩.

الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز.

و﴿يُجِئُ﴾ من جبيت الماء في الحوض أي: جمعته، ومعنى الكلية الكثرة كما في قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تعلق بقوله: ﴿مَنْ لَدُنَّا﴾ أي: قليل منهم يقرّون بأنّ ذلك رزق من عند الله وأكثرهم لا يعلمون ذلك، ولو علموا ذلك لما خافوا التخطف إذا آمنوا به، و﴿رِزْقًا﴾ مفعول له أو مصدر، لأنّ معنى ﴿يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَتْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ويرزق ثمرات كل شيء واحد.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانت حالهم مثل حالهم في كفرانهم نعم الله تعالى ومقابلتها بالأشر حتى دمرهم الله وأبادهم.

وانتصب قوله: ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ بحذف الجار وإيصال الفعل كما في قوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾^(٢)، أو بالظرف بتقدير حذف الزمان المضاف أي: بطرت أيام معيشتها، كخفوق النجم، أو بتضمين بطرت معنى غمطت وكفرت. والبطر: سوء احتمال الغنى، وهو أن لا يحفظ حق الله فيه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من السكنى لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوماً أو ساعة.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ لتلك المساكن من ساكنيها تركناها على حال لا يسكنها أحد، أو كنا خربناها فسويناها بالأرض.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْذِرُهَا عَنْهُمْ
ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ
﴿٩﴾ وَمَا أُوتِشُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ

(١) النمل: ٢٣.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

خَيْرٌ وَأَنْتَجَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهِ
 كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ
 ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾
 قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا
 تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ
 فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾
 وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمَّتْ عَلَيْهِمْ
 الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾

أي: ﴿وَمَا كَانَ﴾ من حكم ﴿رَبِّكَ﴾ أن يهلك ﴿الْقُرَى﴾ في الأرض ﴿حَتَّى﴾ يَبْعَثَ ﴿فِي أُمِّ الْقُرَى﴾ أي: مكة ﴿رَسُولًا﴾ وهو محمد صلوات الله عليه وآله خاتم الأنبياء، أو ما كان مهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي أمها أي: أصلها رسولاً لإلزام الحجة عليهم. وهذا إخبار عن تنزهه عن الظلم حيث لا يهلكهم - مع كونهم ظالمين - إلا بعد تأكيد الحجة عليهم ببعثة الرسل، مع علمه بأنهم لا يؤمنون، ولم يجعل علمه بهم حجة عليهم.

﴿وَمَا﴾ أُعْطِيتُمْ من أسباب الدنيا فتمتع وزينة آثاماً قلائل، وهي مدة الحياة المنقضية.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَنْتَجَى﴾ لأن بقاءه سرمدى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وقرئ بالتاء والياء.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ هذا تقرير للآية التي قبلها، أي: أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوّى بين أبناء الدنيا وأبناء الآخرة.

والوعد الحسن: الثواب لأنه منافع دائمة مقارنة للتعظيم والإجلال.

﴿فَهُوَ لَنَقِيرَ﴾ كقوله: ﴿وَلَقَاهُمْ نَصْرُهُ وَفُتُورًا﴾^(١).

﴿مِنَ الْمُخَضِرِينَ﴾ أي: من الذين أحضروا النار، ونحوه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُخْضَرُونَ﴾^(٢). وقرئ: ثم هو - بسكون الهاء -، كما قيل: عضد في عضد تشبيهاً للمنفصل بالمتصل، وسكون الهاء في وهو، فهو، هو، أحسن، لأن الحرف الواحد لا ينطق به وحده، فهو كالمتصل.

﴿شُرَكَائِي﴾ مبني على زعمهم، وهو تهكم. ومفعولا (زعم) محذوفان هنا، والتقدير: [الذين كنتم تزعمونهم شركائي، وهذا جائز وإن لم يجز الاختصار على أحد المفعولين]^(٣).

و﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الشياطين أو رؤساء الضلالة، ومعنى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب عليهم مقتضى القول وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٤).

﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ و﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ صفته، وحذف العائد إلى الموصول، و﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبر المبتدأ، والكاف صفة مصدر محذوف، وتقديره: أغويناهم فغوا غياً مثل ما غوينا، يعنون أنهم غواوا باختيارهم كما غوينا نحن باختيارنا، لأن إغواءنا لهم كان وسوسة وتسويلاً لا قسراً وإلجاءً.

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر.

(١) الإنسان: ١١.

(٢) الصافات: ١٢٧.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) هود: ١١٩.

تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من المشركين، وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَعَسَى﴾
أن يفلح عند الله، و(عسى) من الكرام تحقيق.

و﴿الْخَيْرَةُ﴾ من التخير، كالطيرة من التطير، يستعمل بمعنى المصدر
وبمعنى المتخير، يقال: محمد ﷺ خيرة الله من خلقه. وقوله: ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ
الْخَيْرَةُ﴾ بيان لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾، فإن معناه: ويختار ﴿مَا يَشَاءُ﴾، ولهذا لم يدخل
العاطف، والمعنى: إن الخيرَةَ لله في أفعاله، وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها، وليس
لأحد من خلقه الاختيار، إذ لا طريق له إلى العلم بجميع أحوال المختار. وقيل:
معناه: ويختار الذي لهم فيه الخيرَةُ^(١)، فحذف فيه كما حذف منه في قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ
لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٢)، أن يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم
من أنفسهم.

والحمد في ﴿الْآخِرَةِ﴾ قولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾^(٣)،
والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة.

﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ معناه: أخبروني من يقدر على هذا؟.

والسرمد: الدائم المتصل، من السرد، والميم مزيدة، والمراد بالضياء: ضوء

(١) تفسير الطبري ج ٢٠: ٦٤.

(٢) الشورى: ٤٣.

(٣) الزمر: ٧٤.

الشمس، وقرن به ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ لأن السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده. وقرن بالليل ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ لأن غيرك يبصر ما تبصره من منفعة الظلام.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ زواج بين الليل والنهار ﴿لِتَسْكُنُوا﴾ في أحدهما ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ من فضل الله في الآخر، ولإرادة شكركم، وقد سلكت فيه طريقة اللف. وكرر سبحانه التوبيخ باتخاذ الشركاء إيداناً بأن الشرك أجلب الأشياء لغضب الله، كما أن التوحيد أجمع لمرضاته.

﴿وَنَزَعْنَا﴾ أي: وأخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم، يشهد على تلك الأمة بما كان منها، وقيل: هم عدول الآخرة الذين لا يخلو زمان من واحد منهم. ﴿فَقُلْنَا لِلْأُمَمِ﴾: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ فيما ذهبتم إليه وكنتم عليه. ﴿فَعَلِمُوا﴾ حينئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ ولرسوله ﴿وَوَضَّلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا﴾ يفترونه من الأباطيل.

إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاحِيهُ لَتَسَوُا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغَتْ

لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَدْ رَوْنَاهُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَاتُ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا
 يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٧٧﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ
 لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٧٨﴾
 وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ اللَّهُ يَسْطُرُ
 الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا
 وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٧٩﴾

﴿قَدْ رَوْنَاهُ﴾ اسم أعجمي كان من بني إسرائيل، وهو ابن خالة موسى، وكان
 أقرأ بني إسرائيل للتوراة، ولما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرئاسة لهارون
 فقرب القربان وجد قارون في نفسه.

﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ من البغي الذي هو الكبر والبذخ.

والمفتاح: جمع المفتاح، وهو ما يفتح به، وقيل: هي الخزائن^(١)، واحدها
 مفتاح. وناء به الحمل: إذا أثقله حتى أماله، والعصبة: الجماعة الكثيرة.

و﴿إِذْ﴾ نصب بـ ﴿تَنُوءُ﴾، ﴿تَفَرَّجَ﴾ أي: لا تأثر ولا تتكبر بسبب كنوزك.

﴿وَابْتِغَ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ﴾ من الغنى ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تفعل فيه
 أفعال الخير تزود بها إلى الآخرة.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ وهو أن تأخذ منها ما يكفيك.

﴿وَأَحْسِنَ﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾. وقيل: إن المخاطب بذلك

(١) عن أبي صالح. تفسير الطبري ج ٢٠: ٦٨.

موسى عليه السلام^(١).

﴿عَلَّ عَلِيمٌ﴾ على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضّلت به الناس، وذلك أنّه كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة، وقيل: هو علم الكيمياء^(٢)، وقيل: علّم الله تعالى موسى عليه السلام علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون^(٣).

وقال: ﴿عِنْدِي﴾ معناه: في ظني كما يقول: الأمر عندي كذا، أي: هو في ظني ورأيي هكذا.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ في جملة ما عنده من العلم وقرأه في التوراة ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من هو أقوى منه فلا يغتر بكثرة ماله وقوته، ويجوز أن يكون نفيًا لعلمه بذلك.

﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، أو أكثر جماعة وعدداً.

﴿وَلَا يُسْتَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ بل يدخلون النار بغير حساب.

﴿فِي زِينَتِهِ﴾ التي كان يتزيّن بها وحشمه وخيله. والحظ والجد: البخت والدولة.

ويلك: أصله الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى.

والضمير في ﴿وَلَا يُلْقَاهَا﴾ للكلمة التي تكلم بها العلماء، أو للثواب لأنّه في معنى المثوبة.

(١) معاني القرآن للفراء ج٢: ٣٠٦.

(٢) عن ابن المسيب. الكشف والبيان ج٧: ٢٦٢.

(٣) الكشف والبيان ج٧: ٢٦٢.

﴿مَنْ الْمُتَصَرِّينَ﴾ من المنتقمين من موسى، أو من الممتنعين من عذاب الله، يقال: نصره من عدوه فانتصر، أي: منعه منه فامتنع.

أراد ﴿يَا لَأَمْسٍ﴾ الوقت القريب على طريق الاستعارة، والمكان: المنزل.

(وي) مفصولة من (كأن) وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندّم، والمعنى: إن القوم تنبهوا على خطئهم في غمّتهم منزلة قارون وتندّموا، ثم قالوا: كأن الله، أي: ما أشبه الحال بأن ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لا لكرامة ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيق على من يشاء لا لهوان، لكن بحسب المصلحة. ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح.

وعند الكوفيين أنّ (ويك) بمعنى (ويلك)، وأنّ المعنى: ألم تعلم أنّه لا يفلح الكافرون، ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب قد ضمت إلى (وي)، كقوله:

وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمُ^(١)

و(أنّه) بمعنى (لأنّه)، واللام لبيان الذي قيل لأجله هذا القول، أو لأنّه يفلح الكافرون كان ذلك، وهو الخسف بقارون، وقرئ: لخسف بنا، وفيه ضمير لله.

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ

(١) شرح ديوان عنتره : ١٨٤، وصدره: ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس....

تَرْجُوْا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُوْنَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِيْنَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِيْنَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ﴿٨٨﴾

﴿تِلْكَ﴾ تعظيم للدار وتفخيم لها، أي: تلك التي بلغك صفتها.

علّق الوعد بترك إرادة العلو والفساد، ولم يقل: لا يعلون ولا يفسدون، كما علّق الوعيد بالركون في قوله: ﴿وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١). وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها))^(٢). وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال: (ذهبت الأمانى هاهنا)^(٣). ﴿وَالْعَقِيْبَةُ﴾ الحميدة للذين اتقوا معاصي الله.

المعنى: فلا يجزون، فوضع الظاهر موضع الضمير، لأن في إسناد السيئات إليهم مكرراً زيادة تهجين لهم.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ليثيبك عليه ثواباً لا يحاط بكنهه،

و﴿لَرَأَدُكَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي معاد، وإلى معاد ليس لغيرك من الخلق، ونكر المعاد لذلك، وقيل: أراد بالمعاد مكة فردّه إليها يوم الفتح^(٤)، ووجه

(١) هود: ١١٣.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٠: ٧٩.

(٣) الكشف ج ٣: ٤٣٥.

(٤) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢٠: ٨٠.

تنكيره أن كان معاداً له ذكر عال وشأن جليل، ظهر عز الإسلام وأهله به، وقيل: نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجرة وقد اشتاق إلى مكة^(١).

ولما وعده الرد إلى معاد قال: ﴿قُلْ﴾ للمشركين: ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾ يعني: نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده.

﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم.
﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ بمعنى (لكن) للاستدراك، أي: ولكن لرحمة من ربك ألقى إليك، وقيل: هو محمول على المعنى، والتقدير: وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة^(٢).

﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: بعد وقت إنزاله إليك.
وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ وما بعده من باب التهيج الذي سبق ذكره^(٣). وعن ابن عباس: (إن أكثر القرآن: إيتاك أعني فاسمعي يا جارة).
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ أي: فان بائد ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا ذاته.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢: ٥٠٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٣١٣.

(٣) ينظر: تفسير آل عمران: ٦٠، الأنعام: ١١٤.

سورة العنكبوت

مكية وقيل: مدنية، وهي تسع وستون آية ﴿الم﴾ كوفي، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بصري.

وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة العنكبوت) كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين))^(١). وروى أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال: ((من قرأ (سورة العنكبوت) والروم) في شهر رمضان في ليلة ثلاث وعشرين فهو والله - يا أبا محمد - من أهل الجنة، لا أستثني فيه أبداً، ولا أخاف أن يكتب الله عليّ في يميني إثماً، وإن لهاتين السورتين من الله مكاناً))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَمَّ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ
 (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
 الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ
 مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٢٦٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١٠٩.

عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

الحسبان إنما يتعلق بمضامين الجمل، وتقدير الكلام هنا: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ غير مفتونين لأن ﴿يَقُولُوا آمَنَّا﴾، وكان التقدير قبل المجيء بالحسبان: تركهم غير مفتونين لقولهم: ﴿آمَنَّا﴾ على الابتداء والخبر، وغير مفتونين من تمة الترك، لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصير، كما في قول عنتره:

فَرَكَّتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يُنْشِنُهُ يَقْضِمُنْ حُسْنَ بَنَائِهِ وَالْمَعْصَمِ^(١)

وهذا كما تقول: خروجه لمخافة الشرّ، فصَحَّ أن يقع خبر مبتدأ وإن كان علة، وتقول: حسبت خروجه لمخافة الشرّ، فتجعلها مفعولين كما جعلتها مبتدأ وخبراً.

﴿وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ﴾ أي: لا يمتحنون بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء، ولا يصابون بمصائب الدنيا ومحنها، بل يبتليهم الله بضروب المكارِه حتى يبلو صبرهم وصحّة ضمائرهم، وليميز المخلص من غير المخلص، والراسخ في الدين من المضطرب فيه.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: أتباع الأنبياء قبلهم فقد أصابهم من الفتن بالفرائض التي افترضت عليهم أو بالشدائد والمحن. وجاء في الحديث: ((قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه))^(٢).

(١) شرح ديوان عنتره: ١٧٤، وفيه: ما بين قلة رأسه والمعصم.

(٢) سنن البيهقي الكبرى ج ٩: ٥.

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ بالامتحان ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في الإيمان ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾ فيه، ولم يزل عزّ وعلا عالماً بذلك، ولكنه لا يعلمه موجوداً إلا إذا وجد، والمعنى: وليميزن الصادق من الكاذب، ورووا عن علي عليه السلام: فليعلمن، وليعلمن - من الإعلام - أي: وليعرفنهم الله الناس من هم، أو ليسمنهم بسمه يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها. وروي: ((إِنَّ الْعَبَّاسَ جَاءَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: إِمَشْ حَتَّى يَبَايَعَ لَكَ النَّاسَ، فَقَالَ: أَتَرَاهُمْ فَاعِلِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَيْنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسَ... الْآيَاتِ﴾))^(١).

﴿أَنْ يَسْقُونَا﴾ أي: يفوتونا، يعني: إِنَّ الْجَزَاءَ يَلْحَقُهُمْ، مثل قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٢).

﴿وَأَمْ﴾ منقطعة، ومعنى الإضراب فيها: إِنَّ هَذَا الْحِسَابَ أَبْطَلَ مِنَ الْحِسَابِ الْأَوَّلِ، لَأَنَّ ذَلِكَ يَقْدَرُ أَنَّهُ لَا يَمْتَحَنُ لِإِيْمَانِهِ، وهذا يظن أَنَّهُ لَا يَجَازِي بِكَفَرِهِ وَعَصْيَانِهِ.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: بُسُّ الَّذِي يَحْكُمُونَهُ حَكْمَهُمْ هَذَا، أَوْ بُسُّ حَكْمِ يَحْكُمُونَهُ حَكْمَهُمْ هَذَا، فحذف المخصوص بالذم.

﴿لِقَاءَ اللَّهِ﴾ مثل للوصول إلى العاقبة من لقاء الجزاء والبعث والحساب، مثَّلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيِّده بعد عهد بعيد وقد اطَّلع سيِّده على أحواله، فتلقاه ببشر وترحيب أو تقطيب لما رضي أو سخط من أفعاله، فالمعنى: من كان يرجو تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة، فليبادر بالعمل الصالح الذي يحقِّق رجاءه ويقرِّبه

(١) تفسير القمي ج ٢: ١٤٨.

(٢) الزمر: ٥١.

إلى الله، وقيل: يرجو: يخاف^(١).

﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ أعداء الدين لإحيائه، وجاهد نفسه [التي هي أعدى أعدائه
﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ﴾ لأجل نفسه]^(٢)، فَإِنَّ الْمُنْفَعَةَ عَائِدَةٌ إِلَيْهَا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيْرٌ عَنِ
الْعَالَمِينَ﴾ ولا يحتاج إلى طاعتهم، وإِنَّمَا يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ لِمَنْفَعَتِهِمْ.

﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ التي اقترفوها قبل ذلك، ولنبطلنَّها حتى يصير
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوهَا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ بحسَنَاتِهِم التي كانوا يعملونها.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ
وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ
الْفِتْمَةِ عَمَّا كَانُوا يَقْرَأُونَ ﴿١٣﴾

أي: أمرنا الإنسان بأن يفعل ﴿بِوَلَدَيْهِ حَسَنًا﴾ [أو بإيلاء والديه حسنًا]^(٣)،
أي: فعلاً ذا حسن، يقال: وصيته بأن يفعل شيئاً وأمرته به، بمعنى.

(١) عن سعيد بن جبیر. الدر المنثور ج ٥: ١٤١.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ساقطة من ج.

﴿وَإِنْ جَهَدَاكَ﴾ أبواك ﴿لَتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ مالا علم لك بإلهيته وحملاك عليه ﴿فَلَا تَطْعَمُهُمَا﴾ في الشرك، والمراد بنفي العلم بنفي المعلوم، كأنه قال: لنشرك بـي شيئاً لا يصح أن يكون إلهاً. تبه بذلك سبحانه على أن كل حق - وإن عظم - ساقط إذا جاء حق الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ثم قال: ﴿إِلَّا﴾ مرجع المؤمن والمشرک منكم فأجازيكم بحسب استحقاقكم.

﴿فِي الصَّالِحِينَ﴾ أي: في جملتهم وزمرتهم في الجنة.

﴿مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ أي: يؤمنون بالستهم، فإذا أصابهم أذى من الكفار ﴿فِي اللَّهِ﴾ أي: في ذات الله وبسبب دين الله، رجع عن الدين، وهو المراد بفتنة الناس، يعني: يصرفهم ما مستهم من أذاهم عن الإيـان كما أن عذاب الله يصرف المؤمنين عن الكفر.

وإذا ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾ من الله للمؤمنين ودولة لهم على الكافرين قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: متابعين لكم في دينكم فأعطونا نصيبنا من الغنـمة.

ثم أخبر سبحانه بأنه أعلم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ومن ذلك ما تخفيه صدور هؤلاء من النفاق. ثم وعد المؤمنين وأوعـد المنافقين.

أمر الكفار أهل الإيـان باتباع سبيلهم وطريقتهم التي كانوا عليها، وأمروا نفوسهم بحمل خطاياهم، فعطف الأمر على الأمر، وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول: أن تتبعوا سبيلنا، وأن نحمل خطاياكم، والمعنى: تعليق الحمل بالاتباع، والمراد ما كان من قریش تقوله لمن آمن منهم: لا بعث ولا نشور، ولو كان ذلك فإننا نتحمل آثامكم.

﴿وَلِيَحْمِلُوا﴾ أنقال أنفسهم ﴿وَأَنقَالَا﴾ آخر ﴿مَعَ أَنفَالِهِمْ﴾ وهي أنقال الذين كانوا سبباً في آثامهم.

﴿وَلِيَسْئَلُنَّ﴾ سؤال تقريع وتعنيف ﴿عَمَّا كَانُوا﴾ يختلقونه من الأباطيل.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقُضُوا ذُلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْنِعُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿الطُّوفَانُ﴾ ما أطف وأحاط بكثرة وغلبة.

والضمير في ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ للسفينة أو للقصة.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على (نوح).

﴿وَإِذْ قَالَ﴾ ظرف لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي: أرسلناه حين بلغ السن التي صلح فيها

لأن يعظ قومه ويعرض عليهم الإيمان، ويأمرهم بالعبادة والتقوى.

﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر

لكم، وإن نظرتم بعين البصيرة علمتم أنه ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

أي: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ بتسميتكم الأوثان شركاء لله وألهة أو شفعاء عند الله، وقيل: معناه: وتصنعون أصناماً بأيديكم سبأها إفكاً، ونحتهم لها خلقاً للإفك^(١).

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أن يرزقوكم شيئاً من الرزق فاطلبوا ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ كله، فإنه هو الرزاق وحده.

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فاستعدوا للقاءه بعبادته ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ على نعمه.

﴿وَإِنْ﴾ تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم، فقد كذبت الأمم رسلهم ولم يضرّوهم بالتكذيب بل ضرّوا أنفسهم، إذ حلّ بهم ما حلّ بسبب ذلك.

و﴿الْبَلْعُ الْمُبِينُ﴾ الذي يزول معه الشك لاقرانه بالمعجزات.

وهذه الآية والآيات التي بعدها إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ يحتمل أن تكون من جملة قول إبراهيم لقومه، وأن تكون آيات وقعت معترضة في شأن رسول الله ﷺ وشأن قريش بين أول قصة إبراهيم وآخرها، على معنى: إنكم يا معشر قريش إن تكذبوا محمداً فقد كذب إبراهيم قومه، وكذبت كل أمة نبيها. وكذلك الآيات التابعة لها لأنها ناطقة بدلائل التوحيد ووصف قدرة الله وإيضاح حججه.

وقرئ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بالتاء والياء.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُبْدِئُهُ﴾ إخبار بالإعادة بعد الموت غير معطوف على ﴿يُبْدِئُ﴾، ولم تقع الرؤية عليه كما وقع النظر بعده على البدء دون الإنشاء في قوله: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى معنى الإعادة في ﴿يُعِيدُهُ﴾.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ
الْنَّشَأَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ
يَشَاءُ وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِدُوا بِاللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ
يَكُونُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَتْ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ
النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم
بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

﴿النَّشَأَ الْآخِرَةَ﴾ يدل على أنها نشأتان، كل واحدة منهما ابتداء وإخراج من
العدم إلى الوجود، لا فرق بينهما إلا أنَّ الثانية إنشاء بعد إنشاء مثله، والأولى ليست
كذلك. وقرئ: النشأة والنشأة كالرأفة والرأفة. والمعنى: ثم الله الذي أنشأ النشأة
الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة، وللتنبية على هذا المعنى أظهر اسمه ولم يقل:
ثم ينشئ.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ﴾ تردون

وترجعون.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم، أي: لا تفوتونه إن هربتم من حكمه ﴿فِي

الْأَرْضِ﴾ العريضة البسيطة ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ التي هي أفسح منها لو كنتم فيها،

أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم فيصيبكم بلاء يظهر في الأرض أو ينزل من السماء. وعن قتادة: (إِنَّ اللَّهَ ذَمَّ قَوْمًا هَانُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿أُولَٰئِكَ يَسْأَلُونَ مِن رَّحْمَتِي﴾ وقال: ﴿لَا يَبْتَاسُ مِنْ رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته ولا يأمن عقابه، وصفة المؤمن أن يكون راجياً لله خائفاً^(٢).

﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ قرئت منصوبة بغير إضافة وإضافة، ومرفوعة كذلك. والنصب [على وجهين: على التعليل، أي: لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاتفاقكم على عبادتها كما يتفق الناس]^(٣) على مذهب واحد فيكون ذلك سبب توادهم، وعلى أن يكون مفعولاً ثانياً، أي: اتخذتم الأوثان سبب المودة بينكم، على تقدير حذف المضاف، أو اتخذتموها مودة يعني: مودودة بينكم كقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(٤). والرفع على وجهين أيضاً: أن يكون خبراً لـ (إِنَّ) على أن تكون (ما) موصولة، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: إِنَّ الأوثان مودة بينكم، أي: سبب مودة أو مودودة، يعني: إنما تتوادون عليها أو تودونها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ تتباغضون وتتلاعنون، تنبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَبُونَ﴾ الأتباع القادة.

فَقَامَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
(٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ١٦٥.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) البقرة: ١٦٥.

﴿٢٧﴾ وَلَوْ كُنَّا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

﴿لُوطٌ﴾ أول من صدق بإبراهيم، وهو ابن أخته.

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من كوثى - وهو سواد الكوفة - إلى حران من أرض الشام، ثم منها إلى فلسطين، وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر [وهو ابن خمس وسبعين سنة] ^(١).

﴿وَأِنْ رَيْتَ﴾ إلى حيث أمرني ربّي بالهجرة إليه.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي يمنعي من أعدائي ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمرني إلا بما فيه مصلحتي.

﴿وَأَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ هو الذكر الحسن، والصلاة عليه إلى آخر الدهر، والذرية الطيبة، وأن أهل الملل كلهم يتولونه.

﴿وَلُوطًا﴾ عطف على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أو على ما عطف عليه.

﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ مفسرة بقوله: ﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾. وقرئ: إنكم بغير الاستفهام في الأول دون الثاني.

﴿السَّبِيلَ﴾ عمل قطاع الطريق من قتل الأنفس وأخذ الأموال،

(١) زيادة من الكشاف يقتضيها السياق.

وقيل: هو قطعهم الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشة بالمجتازين في ديارهم^(١)، وعن الحسن: (هو قطع النسل باختيار الرجال على النساء)^(٢).

و﴿الْمُنْكَرُ﴾ هو الحذف بالخصا، فأتيهم أصابه ينكحونه، والصفع، وضرب المعازف، والقمار، والسباب، والفحش في المزاح، وقيل: كانوا يتحابقون^(٣)، وقيل: المجاهرة في ناديمهم بذلك العمل^(٤). وكل معصية فإظهارها أقبح من سرّها، وفي الحديث: ((من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له))^(٥). والنادي: مجتمع القوم، فإذا تفرّقوا عنه لا يكون نادياً.

﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ فيما وعدتنا من نزول العذاب.

﴿أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِیْنَ﴾ الذين يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من الفاحشة طوعاً وكرهاً، وابتداعهم إياها، وبأن سنّوها لمن بعدهم.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرٰهٖمَ بِٱلْبَشَرِیْ قَالُوْٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوْٓا۟ أَهْلَ
هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوْٓا ظٰلِمِیْنَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّیْ
فِیْهَا لَوَطْٓءٌ قٰلُوْٓا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِیْهَا لَنَنْجِیْنَهُ ۖ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا
أَمْرٰتَهُۥ ۖ كَانَتْ مِنَ ٱلْغٰیْبِیْنَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أُنْزِلَتْ رُسُلُنَا
لُوطًا سَیِّءَۢ بِهٖمُ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوْٓا لَا تَخَفْ ۖ وَلَا تَحْزَنْ
إِنَّا مُنْجُوْكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرٰتَكَ ۖ كَانَتْ مِنَ ٱلْغٰیْبِیْنَ ﴿٣٣﴾

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٢٠: ٩٣.

(٢) الكشف ج ٣: ٤٥٢ بالمعنى.

(٣) عن عائشة. تفسير الطبري ج ٢٠: ٩٣.

(٤) عن مجاهد وغيره. تفسير الطبري ج ٢٠: ٩٣.

(٥) تحف العقول: ٤٥، سنن البيهقي الكبرى ج ١٠: ٢١٠.

إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا
كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بِّنَتْهُ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِلَىٰ مَدِينَةِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ
أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جِثِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَعَادًا وَنَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ
مَّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٥﴾

﴿مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ إضافة تخفيف لا إضافة تعريف، ومعناه
الاستقبال، و﴿الْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم التي قيل فيها: (أجور من قاضي سدوم)^(١).
﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ استمر بهم فعل الظلم في الأيام السالفة وأصروا عليه.
وقرئ: ﴿لَنَنْجِيَنَّهُ﴾ و﴿مُنْجُوكَ﴾ بالتشديد والتخفيف.

ضاق ﴿بِهِمْ ذُرْعًا﴾ أي: ضاق بشأنهم وتدير أمرهم ذرعه أي: طاقته،
جعلوا ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة، كما قالوا: رحب الذراع، إذا
كان مطيقاً.

والرجز والرجس: العذاب، من قولهم: ارتجز وارتجس: إذا اضطرب لما
يلحق المعبذب من القلق والاضطراب. والآية البيّنة: آثار منازلهم المتخربة، وقيل:
الماء الأسود على وجه الأرض^(٢).

(١) مجمع الأمثال ج ١: ٣٣٩.

(٢) عن مجاهد. الكشف والبيان ج ٧: ٢٧٨.

﴿لَقَوْمٍ﴾ يتعلّق بـ ﴿تَرْكُنَا﴾ أو بـ ﴿يَنْتَهُ﴾.

﴿وَأَرْجُوا أَلْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ افعلوا ما ترجون منه العاقبة، فأقيم المسبب مقام السبب، أي: وارجوا ثواب اليوم الآخر بفعل الإيثار والطاعات، وقيل: هو من الرجاء بمعنى الخوف^(١).

﴿الرَّحْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، وقيل: هي صيحة جبرائيل^(٢)، لأنّ القلوب رجفت لها.

﴿فِي دَارِهِمْ﴾ في بلدهم وأرضهم، واكتفي بالواحد والمراد في ديارهم لأنّه لا يلتبس.

﴿جَنِيمِيكَ﴾ باركين على الركب ميتين.

وأهلكنا **عَادًا وَثَمُودًا** ويدلّ عليه قوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾ لأنّه في معنى الإهلاك.

﴿وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمُ﴾ يعني: ما وصفه من إهلاكهم ﴿مِنْ﴾ جهة ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ إذا نظرتم إليها عند مروركم بها.

﴿وَكُنَّا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء متمكّنين من النظر ولم يفعلوا، أو كانوا متبيّنين أنّ العذاب نازل بهم.

وَقَرَّبُوا وَفَرَعُونَ وَهَمَنَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآلِينَتِ
فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣١﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا
بِذُنُبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ

(١) عن يوسف النحوي. الكشف والبيان ج٧: ٢٧٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٢: ٥١٩.

الْصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ
 أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ ﴿١٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ ذُوبِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
 كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ
 لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢﴾
 وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
 ﴿١٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

﴿وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾ أي: فائتين الله، أدركهم أمر الله فلم يفوتوه.

الحاصب لقوم لوط، وهي ريح عاصف فيها حصباء، وقيل: ملك كان
 يرميهم.

و﴿الْصَّيْحَةُ﴾ لمدين وشمود، والخسف لقارون، والغرق لقوم نوح
 وفرعون.

شبه سبحانه ما اتخذوه متكلًا في دينهم ومعولًا عليه بما هو مثل في الضعف
 والوهن، وهو نسج العنكبوت.

والولي: المتولي للنصرة، وهو أبلغ من الناصر.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن هذا مثلهم، وأن أمر دينهم بلغ هذه الغاية
 في الضعف، أو إذا صحَّ هذا التشبيه فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا
 يعلمون.

وقرى: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالتاء والياء، وهذا أوكد مما تقدم إذ لم يجعل ما يدعونه شيئاً.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء، وتركوا عبادة القادر الحكيم.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ أي: لا يعقل صحة ضرب المثل بالعنكبوت والذباب وفائدته إلا العلماء بالله، فإن الأمثال والتشبيهات هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار، تكشف عنها وتصورها للأفهام، كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد. وروي عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية فقال: ((العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه))^(١).

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالغرض الصحيح الذي هو حق، وهو أن تكونا مساكن عباده، وعبرة للمعتبرين، ودلالة للموحدين على وحدانيته وكمال قدرته.

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ
الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ
أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا
آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ
وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ
فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ

فَبَلِّغْهُ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُئْهُ، بِمِيزَانِكَ إِذَا لَا زَنَابَ الْمُبْطِلُونَ
 ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا
 يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

الصلاة لطف للمكلف في ترك المعاصي، فكأنها ناهية عنها. وعن النبي ﷺ: ((من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً))^(١).

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ والصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسأها بذكر الله كما قال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢) فكانه قال: الصلاة أكبر لأنها ذكر الله. وعن ابن عباس: (ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته)^(٣).

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخير والطاعة فيشيككم عليه.

﴿وَلَا تَجْدِلُوا﴾ اليهود والنصارى ﴿إِلَّا﴾ بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي مقابلة الخشونة باللين كقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤)، وفي هذا دلالة على أن الدعاء إلى الله تعالى يجب أن يكون على أحسن الوجوه وألطفها.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فأفراطوا في الاعتداء والعناد، ولم ينجع فيهم الرفق واللطف.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلْ إِلَيْكُمْ﴾ هو من جملة المجادلة التي هي أحسن.

(١) مسند الشهاب ج ١: ٣٠٥.

(٢) الجمعة: ٩.

(٣) الدر المنثور ج ٥: ١٤٦.

(٤) فصلت: ٣٤.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الإنزال ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: أنزلناه مصدقاً لسائر الكتب السماوية.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ﴾ هم عبد الله بن سلام وأضرابه.

﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ أي: ومن أهل مكة. وقيل: أراد بالذين آتيناهم الكتاب من تقدم عهد رسول الله ﷺ منهم ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ من في عهده منهم^(١).

﴿وَمَا يَجْعَلْ يَتَيْنَا﴾ مع ظهورها ﴿إِلَّا﴾ المصممون على الكفر.

وما كنت تقرأ من قبل القرآن كتاباً، وكنت أمياً لم تعرف بخط قط، إذ لو كان شيء من ذلك أي: من التلاوة والخط ﴿لَازْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا: أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس هو به، أو لارتاب مشركو مكة وقالوا: لعله تعلّمه أو خطّه بيده.

بل القرآن ﴿ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم النبي ﷺ والأئمة والعلماء الذين حفظوه ووعوه، ورسخ معناه في قلوبهم. وهذان من خصائص القرآن: كون آياته بيّنات الإعجاز، وكونه محفوظاً في الصدور يتلوه حملته ظاهراً، بخلاف سائر الكتب الإلهية فإنها لم تكن معجزات، وما كانت تقرأ إلا من المصاحف.

﴿وَمَا يَجْعَلْ﴾ بالآيات الواضحات ﴿إِلَّا﴾ المكابرون المتوغلون في الظلم.

وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَطِلِ
وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ لَمْحِطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ
أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

وقرئ: ﴿ءَايَتٌ﴾ أي: هلا أنزل عليه مثل ناقه صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك.

﴿وَإِنَّمَا الْآيَتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزل أيتها شاء، ولو شاء أن ينزل ما يقترحونه لأنزله.

﴿وَإِنَّمَا أَنَا﴾ منذر أنذر بما أعطيت من الآيات، وليس لي اختيار الآيات على الله عز اسمه، مع علمي بأن الغرض من الآية ثبوت الدلالة، والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾ القرآن عليك وهو المعجزة الواضحة، والآية المغنية عن سائر الآيات، تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة إلى آخر الدهر.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ لنعمة عظيمة وتذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ لي بأن قد أبلغت الرسالة، وعليكم بأن كذبتم وعاندتم.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو مطلع على أمري وأمركم،
وعالم بحقي وباطلكم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ منكم وهو ما يعبدون من دون الله.
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر
بالإيمان.

استعجالهم العذاب: استهزاء منهم وتكذيب، ومنه قول النضر بن الحارث:
﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾^(١).

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ قد سماه الله، ووقت قدره الله أوجبت الحكمة تأخيره
إلى ذلك الوقت ﴿لَجَاءَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ وهو وقت فنائهم بأجلهم، وقيل: المراد بالأجل:
الآخرة^(٢)، لأن الله سبحانه وعد رسوله ﷺ أن لا يعذب أمته ولا يستأصلهم، وأن
يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة.

﴿وَلِإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ﴾ بهم لأنها مصيرهم لا محالة، فكأنها أحاطت بهم،
أو ستحيط بهم.

﴿يَوْمَ يَفْسَحُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وعلى الأول ينتصب ﴿يَوْمَ يَفْسَحُ لَهُمُ﴾ بمضمر.
﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ
غَوَاشٍ﴾^(٣)، ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾^(٤).
وقرئ: ﴿وَيَقُولُ﴾ بالياء والنون، أي: ذوقوا جزاء أعمالكم.

(١) ينظر: تفسير الآية ٣٢ من سورة الأنفال.

(٢) عن ابن عباس. معالم التنزيل ج ٣: ١٤٤.

(٣) الأعراف: ٤١.

(٤) الزمر: ١٦.

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
 كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا
 وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا
 اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
 مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ
 اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

معناه: إذا لم يتسهّل لكم العبادة، ولم تتمش أمور دينكم في بلد أنتم فيه
 فاخرجوا منه إلى بلد آخر. وعن الصادق عليه السلام: ((إذا عصي الله في أرض أنت بها
 فاخرج منها إلى غيرها))^(١). وعن النبي صلى الله عليه وآله: ((من فرّ بدينه من أرض إلى أرض
 وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام))^(٢).

﴿فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ هو في المتكلم مثل: إياه ضربته في الغائب، وإياك ضربتك
 في المخاطب، والتقدير: إياي فاعبدوني. والفاء جواب شرط محذوف، لأنّ المعنى:
 إنّ أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها، ثم حذف
 الشرط وعوّض عن حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص
 والإخلاص.

ولما أمر عباده بالحرص على العبادة والإخلاص فيها حتى يطلبوا لها أوفق

(١) مجمع البيان ج ٧-٨: ٢٩١.

(٢) الكشف والبيان ج ٧: ٢٨٨.

البلاد، عقبه بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: واجد مرارته بأي أرض كان.
 ﴿لِنُنَزِّلَهُمْ﴾ [لِنُنَزِّلَهُمْ] للنزولهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ أي: علالي عاليات، وقرئ:
 لثوينهم^(١) من الثواء، يقال: ثوى في المنزل وأثوى غيره، والوجه في تعديته
 إلى الغرف أن يكون الأصل: لثوينهم في غرف، فحذف الجار، أو أجري مجرى
 لنزولهم، أو شبه الظرف الموقت بالملهم.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على مفارقة الأوطان لأجل الدين، وعلى المحن والشدائد،
 وعلى الطاعات، وعن المعاصي، ولم يتوكلوا إلا على ربهم.

ولما أمروا بالهجرة من مكة خافوا الفقر والضيعة فقالوا: كيف نخرج إلى
 بلدة ليس لنا فيها معيشة؟ فقيل: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ﴾ والدابة: كل نفس دبت
 على وجه الأرض، عقلت أو لم تعقل.

﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تستطيع أن تحمله لضعفها.

﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: لا يرزق تلك الدواب إلا الله، ولا يرزقكم أيضاً
 إلا هو، وإن كنتم تطيقون حمل أرزاقكم وكسبها فلا تتركوا الهجرة بسبب الاهتمام
 للرزق.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم: نخشى الفقر ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضمايركم.

﴿وَلَيْنَ﴾ سألت هؤلاء المشركين من أهل مكة ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
 لأقروا بأنه خالقهما ومسخر الشمس والقمر ومسيرهما.

﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: فكيف يصرفون عن توحيد الله؟.

وقدر الرزق وقتره: ضيقه، أي: ويقدر لمن يشاء، فوضع الضمير موضع

(من يشاء).

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ
 بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
 ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
 لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ
 دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ
 ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
 أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَنُخَافُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ
 أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
 أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ
 مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
 وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما وفق من توحيده، ونفي الأنداد عنه.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان

الشرك وصحة التوحيد.

﴿هَذِهِ﴾ فيها ازدراء لأمر الدنيا وتحقير لها، أي: ما هي لسرعة زوالها عن
 أهلها إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون، وإن ﴿الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ أي:
 ليس فيها إلا حياة دائمة لا موت فيها ولا تنغيص، فكأنها في ذاتها حياة. والحيوان:
 مصدر حيي، وأصله حييان فقلبت الثانية واوًا، وبه سمي ما فيه حياة حيواناً.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لم يؤثروا عليها الحياة الفانية.

واتصل قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا﴾ بمحذوف دل عليه ما شرحه من أمرهم،

والمعنى: إنهم على ما وصفوا به من الشرك والعناد، فإذا ركبوا في الفلك ﴿دَعَوْا اللَّهَ﴾ كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين، حيث لا يذكرون إلا الله، ولا يدعون معه إلهاً آخر ﴿فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ وأمنوا عادوا إلى حالهم الأولى من الإشرak معه في العبادة.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾، ﴿وَلِيَسْتَمْعُوا﴾ قرئ بكسر اللامين، فيحتمل أن يكون لام (كي)، بمعنى: أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود كافرين بنعمة الله قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير، وأن يكون لام الأمر على معنى التهديد والتوعيد، وقراءة من قرأ: وليتمتعوا - بالسكون - تشهد له، ونحوه قوله سبحانه: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١).

ثم ذكّرهم الله سبحانه النعمة عليهم في كونهم آمنين من القتل والغارة، والعرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً ويتغاورون مع قتلهم وكثرة العرب، ووبّخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، وهذه النعمة الظاهرة إلى غيرها من نعم الله مكفورة عندهم.

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ تقرير لثوائهم في جهنم، كقول الشاعر:

الَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَأْنَدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحٍ^(٢)

والهمزة همزة الإنكار دخلت على النفي فرجع إلى معنى التقرير، وفيها وجهان:

أحدهما: ألا يثبون في جهنم، وألا يستحقّون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا

(١) فصلت: ٤٠.

(٢) ديوان جرير: ٧٧.

الكذب على الله في ادعائهم له شريكاً، وكذبوا بالحقّ هذا التكذيب؟!.

والثاني: ألم يصحّ عندهم أن في جهنم مثواهم حتى اجترؤوا مثل هذه الجراءة؟!.

﴿وَالَّذِينَ جَهِدُوا﴾ ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء، والشيطان وأعداء الدين.

﴿فِينَا﴾ أي: في حقنا ولوجهنا ومن أجلنا.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لتزيدنهم هداية إلى السبيل الموصلة إلى ثوابنا، وتوفيقاً لازدياد الطاعات الموجبة لرضائنا، كقوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(١) وقيل: والذين جاهدوا فيما علموا لنهديتهم إلى ما لم يعلموا^(٢).

(١) محمّد: ١٧.

(٢) عن أبي سليمان الداراني وغيره. الكشف والبيان ج ٧: ٢٩٠.

سورة الروم

مكية، إلا آية منها، وهي قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾، وهي ستون آية، ﴿ألم﴾ كوفي، ﴿بضع سنين﴾ غيرهم.
في حديث أبي: ((من قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والأرض، وأدرك ما ضيع في يومه وليلته))^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَلَمَ ① غَلَبَتِ الرُّومُ ② فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ بِضْعَ سِنِينَ ④ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ⑤ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑥ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مَنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ⑧ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ⑨ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ⑩

﴿الْأَرْضِ﴾ أرض العرب، لأنَّ الأرض المعهودة عند العرب أرضهم،

والمعنى: ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ فِي آدَنَى﴾ أرض العرب منهم، وهي أطراف الشام، وقيل: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس^(١). والبضع: ما بين الثلاث إلى العشر.

قيل: احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى، فغلبت فارس الروم، فبلغ الخبر مكة، فشق على رسول الله ﷺ والمسلمين، لأن فارس مجوس والروم أهل كتاب، وفرح المشركون وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس لا كتاب لنا، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرن نحن عليكم، فنزلت^(٢).

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ يعني: إن الروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبونهم ﴿يَضَعُ سِينِكَ﴾. وهذه من الآيات الشاهدة على صحة نبوة نبيتنا ﷺ، وأن القرآن من عند الله سبحانه، لأنه أنبأ بما سيكون وهو الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل. وعن أبي سعيد الخدري قال: (التقينا مع رسول الله ﷺ ومشركو العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر الله الروم على المجوس، وفرحنا بنصر الله إيانا على المشركين، ونصر أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وهو يوم بدر^(٣).

﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: في أول الوقتين وآخرهما، حين غلبوا وحين يغلبون، يعني: إن كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله وقضائه.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ ويوم يغلب الروم فارس ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بنصر الله ﷻ وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له، وقيل: نصر الله أنه ولي بعض الظالمين

(١) عن مجاهد. الكشف والبيان ج ٧: ٢٩٤.

(٢) أسباب النزول: ٢٤٣.

(٣) تفسير الطبري ج ٢١: ١٢.

بعضاً وفرّق بين كلمتهم، وفي ذلك قوة للإسلام.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد، كقولك: له عليّ ألف درهم اعترافاً^(١)، لأنّ معناه: اعترفت لك بها اعترافاً، ووعد الله ذلك وعداً لأنّ الكلام المتقدّم في معنى وعدتم.

ثمّ ذمهم الله تعالى بأنهم بصراء بأمور الدنيا، يعلمون منافعها ومضارّها، غافلون عن أمور الدين، وعن الحسن: (بلغ من علم أحدهم بدنيّاه أنّه يقلّب الدرهم على ظفّره فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلي)^(٢).

وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدل من ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي هذا الإبدال إيذان بأنّ عدم العلم الذي هو مثل الجهل، ووجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا، مستويان في أنفسهم. ويحتمل أن يكون ظرفاً، فيكون المعنى: أو لم يحدّثوا التفكّر في قلوبهم الفارغة من الفكر؟. والتفكّر لا يكون إلا في القلوب ولكنّه زيادة تصوير لحال المتفكرين، كما يقال: اعتقد في قلبه، أي: أو لم يتفكروا فيقولوا هذا القول أو فيعلموا ذلك؟.

ويحتمل أن يكون صلة للتفكر، فيكون المعنى: أو لم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب إليهم من غيرها من المخلوقات فيتدبّروا ما أودعها الله من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال؟.

وقوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: ما خلقها باطلاً وعبثاً بغير غرض صحيح، وإنّما خلقها مقرونة بالحقّ مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمّى لا بد أن ينتهي إليه، وهو قيام الساعة ووقت الجزاء والحساب، والمراد ببقاء ربّهم: الأجل

(١) في ب: عرفاً.

(٢) معالم التنزيل ج٣: ١٤٧.

المسمى. والباء في ﴿بِالْحَقِّ﴾ مثلها في قولك: اشتريت الفرس بسرجه ولجامه.

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا
 أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
 اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
 بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
 وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ
 كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ
 ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي
 رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَلِقَائِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

هذا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم إلى آثار المهلكين من الأمم الخالية
 بتكذيبهم الرسل، ثم وصف أحوالهم وأتهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾.

﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ أي: حراثوا الأرض، وسمي الثور لإثارته الأرض،
 والبقرة لبقرها، وهو الشق.

﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا﴾ عمر هؤلاء، ﴿فَمَا كَانُوا اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾
 بتدميره إياهم، لأن حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم بفعلهم ما أوجب
 تدميرهم.

وقرئ: ﴿عَاقِبَةُ﴾ بالنصب والرفع. و﴿السُّوْءَى﴾ تأنيث الأسوء وهو

الأقبح، كما أَنَّ الحسنى تأنيث الأحسن. والمعنى: إنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى، إلاَّ أَنَّهُ [وضع المظهر موضع المضمر، فمن نصب ﴿عَنْقَبَةً﴾ جعلها الخبر، والسوأى: هي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات] ^(١) في القيامة وهي جهنم.

و﴿أَن كَذَّبُوا﴾ بمعنى لأن كذبوا.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى ثوابه أو عقابه ﴿تَرْجِعُوهُمْ﴾ وقرئ بالتاء والياء.

والإبلاس: أن يبقى يائساً ساكناً متحيراً.

وشركاؤهم: الذين عبدوهم من دون الله ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يَكْفُرُونَ بِإِلَهِيَّتِهِمْ وَيُحَدِّثُونَهَا.

والضمير في ﴿تَنْفَرُوهُمْ﴾ للمسلمين والكافرين، يدلُّ على ذلك ما بعده، يتفرَّقون فرقة لا اجتماع لها.

﴿فِي رَوْضَةٍ﴾ في بستان وهي الجنة، ونكرت للتفخيم والإبهام، أي: في روضة وأيّ روضة، والروضة عند العرب: كل أرض ذات نبات وماء، وفي المثل: (أحسن من بيضة في روضة) ^(٢).

﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون، وقيل: هو السماع في الجنة ^(٣).

﴿مُخَضَّرُونَ﴾ لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم.

(١) ساقطة من ج.

(٢) مجمع الأمثال ج ١: ٤٠٦.

(٣) عن يحيى بن أبي كثير. تفسير الطبري ج ٢١: ٢٠.

فَسُبْحَنَّ اللَّهَ حِينَ تُنْسَوْنَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ
تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ
بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْأَسْنِينَكُمْ وَالْوَنُكْرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ
مَنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾
وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ
إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

ثم عقب سبحانه ذكر الوعد والوعيد بما يوصل إلى الوعد وينجي من
الوعيد، والمراد بالتسبيح: ظاهره الذي هو تنزيه الله جل اسمه من السوء وذكره في
هذه الأوقات، وقيل: هو الصلاة^(١). وقيل لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس
في القرآن؟ قال: (نعم، وتلا هذه الآية)^(٢).

﴿تُنْسَوْنَ﴾ صلاة المغرب والعشاء، و﴿تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الصبح.

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢١: ٢٠.

(٢) الكشف والبيان ج ٧: ٢٩٨.

﴿وَعِشْيَا﴾ صلاة العصر، ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾ صلاة الظهر. وعن النبي ﷺ: ((من سرّه أن يكال له بالقفيز^(١) الأوفى فليقل: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ... إلى قوله: وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾^(٢)). ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور وتبعثون. ﴿خَلَقَكُمْ﴾ أي: خلق أصلكم من تراب.

و﴿إِذَا﴾ للمفاجأة. والتقدير: ثم فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض، كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٣).

﴿مَنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ أي: من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر.

[﴿أَزْوَجا﴾ لتطمئنوا إليها وتألّفوا بها، وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون، وما]^(٤) بين الجنسين المختلفين من التنافر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ أي: تواداً وتراحماً بعد أن لم يكن بينكم معرفة ولا سبب يوجب التحاب والتعاطف من القرابة والرحم.

والألْسنة: اللغات أو أجناس المنطق وأشكاله. خالف سبحانه بين هذه الأشياء حتى لا يكاد يسمع بين منطقيين متفقين في شيء من صفات المنطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها، ولهذا الاختلاف وقع التعارف، ولو اتفقت وتشاكلت لوقع الالتباس.

و﴿فِي ذَلِكَ﴾ آية بيّنة في حكمة الصانع وكمال قدرته.

وقرئ: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها. ويشهد للكسر قوله: ﴿وَمَا

(١) القفيز: مكبال وهو ثمانية مكابيك. (الصحاح: مادة قفر)

(٢) الكشف والبيان ج٧: ٢٩٨.

(٣) النساء: ١.

(٤) ساقطة من ج.

يَغْلِبُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ^(١).

﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ هو من باب اللف وترتيبه، ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، إلا أنه فصل بين القرينين [الأولين بالقرينين]^(٢) الآخرين لأنهما زمانان، والزمان والواقع فيه كشيء واحد، مع إعانة اللف على الاتحاد، ويجوز أن يكون المراد: منامكم في الزمانين وابتغاؤكم من فضله فيهما، والأول أظهر لتكرره في القرآن.

وفي ﴿تُرِيكُمْ﴾ وجهان: أحدهما: إضمار (أن)، والآخر: إنزال الفعل منزلة المصدر. وفسر المثل: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)^(٣) على الوجهين.

﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة أو من الإخلاف ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث. وقيل: خوفًا للمسافر وطمعاً للحاضر^(٤)، وهما منصوبان على المفعول له، وكأنه قيل: يجعلكم رائيين البرق خوفاً وطمعاً، أو تقديره: إرادة خوف وإرادة طمع، فحذف المضاف. ويجوز أن يكونا حالين أي: خائفين وطماعين.

﴿وَمِنْ أَيْنِيهِ﴾ قيام السماوات والأرض واستمساكهما بغير عمد ﴿بِأَمْرِ﴾ أي: بقوله: كونا قائمتين، والمراد بإقامته لهما وإرادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال.

وقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ بمنزلة (يريككم) في أن الجملة وقعت موقع المفرد على المعنى، كأنه قال: ومن آياته قيام السماوات والأرض ثم خروج الموتى من القبور

(١) العنكبوت: ٤٣.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) مجمع الأمثال ج ١: ٢٢٧.

(٤) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٢١: ٢٢.

إذا دعاهم ﴿دَعْوَةً﴾ واحدة يا أهل القبور أخرجوا. والمراد: سرعة وجود ذلك من غير تلبث كما يجيب المدعو داعيه المطاع، وتقول: دعوت زيدا من أعلى الجبل فنزل عليّ، ودعوته من أسفل الجبل فطلع إليّ.

و﴿إِذَا﴾ الأولى للشرط، والثانية للمفاجأة.

وَلَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ، فَتَنُونَ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا
مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا
رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ
مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾

﴿فَتَنُونَ﴾ أي: مطيعون متقادون لوجود أفعاله فيهم.

﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ كما يجب عندكم أن من أعاد منكم صنعة شيء كان أهون عليه وأسهل من إنشائها، وتسمون الماهر في صناعته معاوداً، بمعنى: أنه عاودها كرة بعد أخرى حتى مرّن عليها، وذكر الضمير لأن المراد: وأن يعيده أهون عليه، وقيل: الأهون بمعنى الهين^(١)، كقول الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ^(٢)

(١) عن ابن عباس. تفسير الطبري ج ٢١: ٢٤.

(٢) ديوان معن بن أوس المزني: ٩٣. وبقيته: على أيتنا تغدو المنية أول.

أي: لوجل.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله، قد وصف به ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من ^(١) إنشاء وإعادة.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القاهر ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لأفعاله. وعن قتادة: (المثل الأعلى قول: لا إله إلا الله وهو الوصف بالوحدانية) ^(٢).

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: أخذ لكم مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهو أنفسكم، ف(من) هنا لا ابتداء ^(٣) الغاية.

﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ﴾ أي: هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشاركوكم فيها ﴿رَزَقْنَكُمْ﴾ من الأموال تكونون أنتم وهم فيه على السواء من غير تفرقة بينكم وبينهم، تهابون أن تستبدوا بالتصرف دونهم كما يهاب بعضكم بعضاً من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الرقاب من العبيد والأحرار أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء.

﴿كَذَلِكَ﴾ يعني: مثل هذا التفصيل ﴿تُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: نبيتها، لأن التمثيل مما يوضح المعاني الخفية، ويكون كالتشكيل والتصوير لها.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا، لقوله: ﴿إِنَّ الشُّرَكَاءَ لَظُلُمٌ

(١) في ب: في.

(٢) تفسير الطبري ج ٢١: ٢٥.

(٣) ساقطة من ج.

عَظِيمٌ ﴿١﴾.

﴿أَهْوَاءَهُمْ يَبْغِي عَلَيْهِمْ﴾ أي: جاهلين، لأن العالم إذا ركب هواه ربها ردعه علمه، والجاهل يهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء.

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أي: خذله ولم يلفظ به لعلمه أنه ممن لا لطف له، أي: فمن يقدر على هداية مثله، ويدل على أن المراد بالإضلال الخذلان قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

فَأَفْهَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا
بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ مُبِينًا إِلَيْهِ وَآتَقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٣﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِعْبًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا
رَبَّهُمْ مُبِينًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَايَنْتَهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾
أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا
أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا
هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

أي: قوم ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا، وهو تمثيل
لثباته على الدين واستقامته عليه واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بشيء قوم له
وجهه، وسدد إليه نظره، وأقبل عليه بكله.

﴿حَنِيفًا﴾ حال من المأمور، أو من (الدين).

﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ﴾ أي: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة الله.

وقوله: ﴿مُيَبِّينَ إِلَيْهِ﴾ حال من الضمير في (الزموا)، ولذلك أضمر على خطاب الجماعة، وقوله: ﴿وَأَتَقَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا﴾ معطوف على هذا المضمّر.

والفطرة: الخلقة، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾. والمعنى: إنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه ولا منكبين له، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه ديناً آخر، ومن غوى منهم فياغواء شياطين الجن والإنس. ومنه الحديث: ((خلقت عبادي حنفاء، فاحتالتهم الشياطين عن دينهم، وأمروهم أن يشركوا بي غيري))^(١)، وقوله ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه))^(٢)،^(٣).

﴿لَا يَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ أي: لا ينبغي أن تبدل تلك الفطرة وتغير.

وخطب الرسول ﷺ أولاً فوحد، ثم جمع ثانياً لأن خطابه ﷺ خطاب لأُمَّته.

﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾، فارقوا دينهم، أي: دين الإسلام.

وقرى: ﴿فَرَّقُوا﴾ أي: جعلوه أدياناً مختلفة لاختلاف أهوائهم.

﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ أي: فرقاً، كل واحدة تشايح إمامها الذي أضلها،

﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم فرح بمذهبه مسرور، يحسب باطله حقاً.

(١) صحيح مسلم ج ٨: ١٥٩ باختلاف يسير.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) مسند أحمد ج ٢: ٢٣٣، أمالي السيّد المرتضى ج ٣: ٢.

ويجوز أن يكون ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ منقطعاً عما قبله، والمعنى: من المفارقين دينهم، كل حزب فرحين بما لديهم، لكنه رفع ﴿فَرِحُونَ﴾ على الوصف لـ (كل).
 ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ أي: مرض أو قحط أو شدة انقطعوا إلى الله وأنابوا إليه ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ... رَحْمَةً﴾ بأن يخلصهم مما أصابهم قابلوا النعمة بالكفران. واللام في ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ مجاز، مثلها في ﴿لِيَكُونُوا لَكُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١).
 ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ نظير ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٢).
 ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال تمتعكم.

والسلطان: الحجة. ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ مجاز، كما يقال: كتابه ينطق بكذا، ومعناه الدلالة، كأنه قال: فهو يشهد بصحة شرعهم، و(ما) مصدرية، أي: بكونهم بالله يشركون، ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها، ومعناه: فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون.

وإذا أذقناهم ﴿رَحْمَةً﴾ أي: نعمة من مطر أو غنى أو صحة ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾.
 ﴿وَلِنْ تُصَبِّهُمُ سِنَةً﴾ أي: بلاء من جذب أو فقر أو مرض بسبب معاصيهم قنطوا من الرحمة، ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه الباسط القابض، فما لهم ﴿يَقْنَطُونَ﴾ من رحمته، ولا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد إليهم رحمته؟!.

فَاتَّذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
 يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا عَاتَيْنَهُم مِّنْ

(١) القصص: ٨.

(٢) فصلت: ٤٠.

رَبًّا لِّرَبِّتُوكُمْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوُا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّنْ ذَّكَوْرٍ
تُرِيدُوْنَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٨﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
ثُمَّ رَفَعَكُمْ ثُمَّ يُعَبِّدُكُمْ ثُمَّ يُخْسِئُكُمْ هَٰذَا مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ
يَفْعَلُ مِثْلَ ذَٰلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾

عن أبي سعيد الخدري أنه قال: (لما نزلت الآية أعطى رسول الله ﷺ فاطمة
فدكاً وسلّمه إليها) (١)، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام (٢).

ولما ذكر أنّ السيئة أصابتهما بما قدّمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب فعله وذكر
ما يجب تركه.

وحقّ ذي القربى: صلة الرحم، وحقّ المسكين وابن السبيل: نصيبهما الذي
سمّي لهما.

﴿يُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهِ﴾ أي: يقصدون جهة التقرب إليه خالصاً لا جهة أخرى.
﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّنْ رَبًّا﴾ قيل: إنّه الحلال، وهو أن يعطي العطية أو يهدي
الهدية ليثاب أكثر منها فليس فيه أجر ولا وزر (٣)، وهو المروي عن الباقر عليه السلام (٤)،
وقيل: هو مثل ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءُ وَيُزِي الصَّدَقَاتِ﴾ (٥) أي: ليزيد ويزكو في أموال
الناس ولا يزكو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ولا يبارك فيه.

﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّنْ ذَّكَوْرٍ﴾ تبتغون به ﴿وَجَهَ اللَّهِ﴾ خالصاً لا تطلبون مكافأة

(١) الدر المنثور ج ٤: ١٧٧.

(٢) التبيان ج ٨: ٢٢٨.

(٣) عن سعيد بن جبير وغيره. الكشف والبيان ج ٧: ٣٠٤.

(٤) تهذيب الأحكام ج ٧: ١٧ عن الصادق عليه السلام.

(٥) البقرة: ٢٧٦.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمْ﴾ ذوو الأضعاف من الحسنات، ونظير المضعف المقوي والموسر لذوي القوة واليسار. وقرئ: ما آتيتم من ربا، وهو يؤول في المعنى إلى قراءة من مد، وهو كما يقول: آتيت الخطأ وآتيت الصواب، ولم يختلوا في ﴿مَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ أنه بالمد. وقرئ: لتربوا، أي: لتزيدوا في أموالهم، أو لتصيروا ذوي زيادة فيما آتيتم من أموال الناس أي: تجلبونها وتستدعونها.

وقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ النفات حسن، كأنه قال: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون. والضمير الراجع إلى ما محذوف، أي: هم المضعفون به.

﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾، أي: الله هو فاعل هذه الأفعال التي لا يقدر عليها غيره، ثم قال: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ الذين اتخذوهم آلهة من يفعل شيئا من تلك الأفعال حتى يصح ما ذهبتم إليه؟! ثم نزه نفسه عن أن يشرك معه غيره في العبادة.

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿١٢﴾ فَأَقْرَر
وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَنِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
يَصْدَعُونَ ﴿١٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ
يَمْهَدُونَ ﴿١٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾

المراد بالفساد ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ هو القحط وقلة الربيع في الزراعات والبياعات، ومحق البركات من كل شيء.

﴿يَمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ يعني: كفار مكة، يريد: بسبب كفرهم وشؤم معاصيهم. وعن الحسن: (إنَّ المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه)^(١). وعن عكرمة: (إنَّ العرب تسمي الأمصار البحار)^(٢). ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك، والأول أوجه.

﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه.

ثم أكد سبحانه تسيب المعاصي لغضب الله ونكاله، حيث أمر بأن يسيروا في الأرض وينظروا كيف أهلك الله الأمم بمعاصيهم وشركهم.

القيم: المستقيم، البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج.

وتعلق ﴿مَنْ أَلَّهَ﴾ بـ ﴿يَأْتِي﴾ بمعنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده [أحد، كقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾^(٣)، أو بمرد على معنى: لا يرده]^(٤) هو بعد أن يجيء به، ولا رد له من جهته.

﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يتصدعون أي: يفرقون فيه: فريق في الجنة وفريق في السعير. ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ﴾ عقوبة كفره.

﴿وَلَا أَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يوطنون لأنفسهم منازلهم كما لنفسه يوطئ من مهد فراشه وسواه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغص عليه مرقد، ويجوز أن يريد:

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٣٠٥.

(٢) تفسير الطبري ج ٢١: ٣٢.

(٣) الأنبياء: ٤٠.

(٤) ساقطة من ج.

فعلى أنفسهم يشفقون، من قولهم في الشفيق: (أُمُ فرشت فأنامت)^(١). وتقديم الظرفين للدلالة على أنَّ ضرر الكفر ومنفعة الإيمان والصلاح لا يتعديان الكافر والمؤمن.

وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ﴿يَتَهَدُونَ﴾ لتعليله ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب، أو أراد من عطائه وفواضله وهو الثواب. وترك الضمير إلى الصريح لتقرير أنَّ الفلاح للمؤمن الصالح عنده، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْزِيَ
الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ
أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ فُثِيثٍ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ
لَمُبْلِسِينَ ﴿١٩﴾ فَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾
وَلِإِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾
فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدَرِينَ ﴿٢٢﴾
وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا
فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٢٣﴾

عدّد سبحانه الغرض في إرسال رياح الرحمة، وهو أن يبشّر بالغيث، وللإذاقة من الرحمة وهي المطر، وحصول الخصب الذي يتبعه الروح الذي مع هبوب الريح، وغير ذلك.

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ﴾ في البحر عند هبوبها، وإِنَّمَا زاد ﴿بِأَمْرِهِ﴾ لأنّ الريح قد تهب ولا تكون مؤاتية.

﴿وَلِتَنْبُغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يريد: تجارة البحر [لأنّ الريح نعمة الله فيها] ^(١)، ولتشكروا نعمة الله فيها. ويجوز أن يتعلّق ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ بمحذوف تقديره: وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلها، وأن يكون معطوفاً على ﴿مُبَشِّرَتِي﴾ كأنه قال: ليبشركم وليذيقكم.

وفي قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم حيث جعلهم مستحقّين لأن ينصرهم ويظهرهم.

﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ متصلاً تارة ﴿وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا﴾ أي: قطعاً متفرقة تارة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ في التارتين جميعاً.

والمراد بـ﴿السَّمَاءِ﴾: [سمت السماء كقوله: ﴿وَفَزَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾] ^(٢) ^(٣)، وبإصابة العباد: إصابة أراضيههم وبلادهم.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ من باب التكرير للتوكيد كقوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ^(٤).

(١) ساقطة من ج.

(٢) إبراهيم: ٢٤.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) الحشر: ١٧.

وقرئ: إلى أثر و﴿إِلَىٰ أَثَرٍ﴾.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ للقادر الذي يحيي الناس من بعد موتهم.

﴿فَرَاوَهُ﴾ أي: فرأوا أثر رحمة الله التي هي الغيث وأثره النبات. ومن قرأ بالجمع فالضمير يرجع إلى معناه، لأن معنى آثار الرحمة: النبات، واسم النبات يقع على القليل والكثير، لأنه مصدر سمي به ما ينبت.

واللام في (لئن) هي الموطنة للقسم، و﴿لَظَلُّوا﴾ جواب القسم سدّ مسدّ الجوابين.

﴿مُصَفَّرًا﴾ بعد الخضرة والنضرة.

ذمهم الله سبحانه بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا وأبلسوا، فإذا رزقوا المطر استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل سبحانه ريحاً فضربت زروعهم بالصفار كفروا بنعمة الله، وقيل: معناه: فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلك لم يمطر^(١).

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ
جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ
الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ
سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ
الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ
فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَسَّهُمْ شَايَةً لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ

(١) عن علي بن عيسى. تفسير الماوردي ج٤: ٣٢١.

كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى
قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا
يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ قرئ بفتح الضاد وضمها، يعني: إن بنيتكم مجبولة على الضعف ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(١). أي: ابتدأناكم في أول الأمر ضعافاً وذلك حال الطفولة حتى بلغت وقت الشبيبة والفتا وتلك حال القوة إلى وقت الاحتفال، ثم رددناكم^(٢) إلى الضعف وهو حال الشيخوخة والهرم، وفي ذلك أوضح دلالة على الصانع العليم القدير.

﴿مَا لَيْسُوا بِغَيْرِ سَاعَةٍ﴾ أرادوا لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو في ما بين فناء الدنيا إلى البعث، وإنما قدروا وقت لبثهم ساعة على وجه الاستقصار له، أو ينسون أو يجهلون.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإفك - وهو الصرف - كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا، وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق. القائلون هم الملائكة أو الأنبياء أو المؤمنون.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ، أو في علم الله وقضائه الذي أوجبه بحكمته، ردوا ما قالوه وحلفوا عليه، ثم قرعوههم على إنكار البعث بقولهم: ﴿فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنه حق، فلا ينفعكم العلم به الآن.

(١) النساء: ٢٨.

(٢) في ج، د: ردكم.

﴿فَيَوْمِذٍ﴾ لا يَمَكُونُ مِنَ الْإِعْتِذَارِ، وَلَوْ اعْتَذَرُوا لَمْ تَقْبَلْ مَعَاذِيرَهُمْ، وَلَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ الْإِعْتَابَ، يُقَالُ: اسْتَعْتَبَنِي فَلَان فَأَعْتَبْتَهُ، أَي: اسْتَرْضَانِي فَأَرْضَيْتُهُ، وَحَقِيقَةُ أَعْتَبْتَهُ: أَزَلْتُ عَتْبَهُ. وَالْمَعْنَى: لَا يُقَالُ لَهُمْ اَرْضُوا رَبَّكُمْ بِتُوبَةٍ وَطَاعَةٍ.

﴿وَلَقَدْ﴾ وَصَفْنَا لَهُمْ كُلَّ صِفَةٍ كَأَنَّهَا مِثْلٌ فِي غَرَابَتِهَا، وَقَصَصْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ قِصَّةٍ عَجِيبَةٍ كَقِصَّةِ الْمُبْعُوثِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا يَقُولُونَهُ وَمَا يُقَالُ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لِقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ وَعِنَادِهِمْ إِذَا جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ قَالُوا: جِئْنَا بِزُورٍ وَبَاطِلٍ.

﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ الطَّبَعِ ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبٍ﴾ الْجَهْلَةَ فَيَمْنَعُهُمُ الْطَافَةُ الشَّارِحَةُ لِلصَّدُورِ حَتَّى سَمَوْا الْمُحَقِّقِينَ مُبْطِلِينَ.

﴿فَأَصْبِرْ﴾ عَلَى عِدَاوَتِهِمْ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِنَصْرِكَ وَإِظْهَارِ دِينِكَ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ ﴿حَقٌّ﴾ وَلَا يَحْمِلُنكَ عَلَى الْخُفَةِ وَالْجُزَعِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ ظَانُونَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِأَنَّهُمْ يَبْعَثُونَ.

سورة لقمان

مكية سوى أربع آيات، وهي أربع وثلاثون آية، ﴿ألم﴾ كوفي، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ بصري.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة لقمان) كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة، وأُعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر))^(١)، وعن الباقر عليه السلام: ((من قرأ (سورة لقمان) في [كل] ليلة وكل الله به في ليلته ثلاثين ملكاً يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يصبح، فإن قرأها بالنهار حفظوه من إبليس وجنوده حتى يمسي))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
٥ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦ وَإِذَا نُنَادَى

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٣٠٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠.

عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَآلَقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَن
تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ نَوْعٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ
الَّذِينَ مِن دُونِهِ ؕ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنصب على الحال من الآيات، والعامل فيها ما في تلك
من معنى الإشارة. وقرئ بالرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.
﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ للذين يعملون الحسنات، وهم الذين وصفهم بإقامة الصلاة
وإيتاء الزكاة والإيقان بالآخرة، كما يحكى عن الأصمعي ^(١) أنه سئل عن الأملعي،
فأنشد قول أوس بن حجر:

الْأَمْلَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا ^(٢)

ولم يزد، أو للذين يعملون ما يحسن من الأعمال، ثم خص منهم القائمين
بهذه الثلاث لفضلها.

واللهو: كل باطل ألهى عن الخير.

و﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾: هو الطعن في الحق والاستهزاء به، والتحدث

(١) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي الأديب المشهور، ولد سنة ١٢٢ هـ وقيل
سنة ١٢٣ هـ، توفي سنة ٢١٦ هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: وفيات الأعيان ج ٢: ٣٤٤.

(٢) ديوان أوس بن حجر: ٥٣.

بالخرافات والمضاحيك، والغناء والمعازف. والإضافة بمعنى (من) ومعناها التبيين، والمعنى: من يشتري اللهو من الحديث، وهو إضافة الشيء إلى ما هو منه كباب ساج وثوب خز.

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان يتجر إلى فارس فيشتري كتب الأعاجم ويحدث بها قريشاً ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود، فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن^(١). فعلى هذا يكون ﴿يَشْتَرِي﴾ من الشراء، وعلى الأول يكون من قوله: ﴿اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢) أي: استبدلوه منه واختاروه عليه، وعن قتادة: (اشترأوه: استحبابه، أي: يختار حديث الباطل على حديث الحق)^(٣).

وقرئ: ﴿يُضِلُّ﴾ بضم الياء وفتحها، وقرئ: يتخذها بالرفع والنصب، فالرفع للعطف على ﴿يَشْتَرِي﴾، والنصب للعطف على ﴿يُضِلُّ﴾ والضمير للسبيل لأنها مؤنثة.

وقوله: ﴿يَغْيِرَ عِلْمٍ﴾ معناه: بغير علم بالتجارة، وبغير بصيرة بها حيث يشتري الباطل بالحق، والضلال بالهدى، ونحوه قوله: ﴿فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٤) أي: ما كانوا بصراء بالتجارة.

﴿وَلَوْ مُسْتَغْنًى﴾ رافعاً نفسه فوق مقدارها لا يعبأ بآياتنا، فشبه حاله حال من لم يسمعها وهو سامع ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ﴾ ثقلاً. وقوله: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾

(١) أسباب النزول: ٢٤٤.

(٢) آل عمران: ١٧٧.

(٣) تفسير الطبري ج ٢١: ٣٩.

(٤) البقرة: ١٦.

في محل نصب حال من ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ و﴿كَانَ﴾ مخففة، والأصل: كَانَهُ، والضمير للشأن و﴿كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ حال من ﴿كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾، ويجوز أن يكونا جميعاً استئنافين.

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران مؤكداً، الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره، لأن قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ في معنى: وعدهم الله جنات النعيم، فأكد معنى الوعد بالوعد. وأما ﴿حَقًّا﴾ فدال على معنى الثبات، أكد به معنى الوعد، ومؤكدهما جميعاً قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي يقدر على كل شيء فيعطي النعيم من يشاء والبؤس من يشاء.

﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة. هذا إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. والخلق بمعنى المخلوق.

﴿الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: آلهتهم، بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله ﴿فَارُوفٌ﴾ ما خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة. ثم أضرب عن تبكيتهم إلى الشهادة عليهم بالتورط في ضلال ظاهر وعدول عن الحق.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ. وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَلِذَٰلِكَ لَقُمْنُ لِأَنبِيَاءِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ، يَنْبَغِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا

فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُكَلِّمَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ
يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَنْبَغِي أَقْبَرُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ
بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ
صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

الأظهر أنَّ لقمان لم يكن نبياً وكان حكيماً، وقيل: كان نبياً^(١)، وقيل: خير بين
النبوة والحكمة فاختار الحكمة، وكان ابن أخت أيوب أو ابن خالته^(٢)، وقيل: إنه
عاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم، وقيل: إنه دخل عليه وهو يسرد
الدرع وقد لى الله له الحديد، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها
لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال لقمان: الصمت حكمة وقليل فاعله،
فقال داود: بحق ما سميت حكيماً^(٣).

﴿أَيُّ﴾ هي المفسرة، لأنَّ إتياء الحكمة في معنى القول، وقد نبه سبحانه على
أنَّ الحكمة الحقيقية والعلم الأصلي هو العمل بما هو عبادة الله والشكر له، حيث
فسر إتياء الحكمة بالبعث على الشكر.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي﴾ لا يحتاج إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ﴾ حقيق بأن يحمد وإن لم

(١) عن عكرمة. تفسير الطبري ج ٢١: ٤٤.

(٢) عن قتادة. الدر المشورج ٥: ١٦١.

(٣) العرائس: ١٦٥.

يحمده أحد.

وقرى: ﴿يَبْنِي﴾ بفتح الياء وكسرهما في كل القرآن، ويأبني، ومن كسر فهو على قولك: يا غلام أقبل، ومن فتح فهو على قولك: يا غلاماً أدبر، أبدلت الألف من ياء الإضافة ثم حذفت الألف للتخفيف، ومن أسكن الياء في الوصل [فإنه أجرى الوصل]^(١) مجرى الوقف.

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأن التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه وبين من لا نعمة منه البتة ولا يتصور أن يكون منه نعمة، ظلم لا يحاط بكنهه.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ تهن ﴿وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ﴾ وهو مثل قولك: رجع عوداً على بدء. وهو في موضع الحال، أي: يتزايد ضعفها ويتضاعف، لأن الحمل كلما عظم ازدادت المرأة ثقلاً وضعفاً.

﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ تفسير لـ ﴿وَصَيَّنَا﴾.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أراد بنفي العلم به نفيه، أي: لا تشرك بي ما ليس بشيء، كقوله: ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢).

﴿مَعْرُوفًا﴾ أي: صحاباً معروفاً حسناً بخلق جميل واحتمال وبرّ وصلة وما تقتضيه المروءة.

﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ من المؤمنين في دينك، ولا تتبعهما في دينهما وإن أمرت بحسن مصاحبتهما ﴿فِي الدُّنْيَا﴾.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ﴾ مرجعك ومرجعهما فأجازيهما على كفرهما وأجازيك على

(١) ساقطة من ج.

(٢) العنكبوت: ٤٢.

إيمانك. وهذا كلام وقع في أثناء وصية لقمان على سبيل الاستطراد، تأكيداً لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك.

ولما وصّى بالوالدين ذكر ما تقاسيه الأم من المشاق في مدة الحمل والفصال، إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً بعظيم حقّها مفرداً.

وقرئ: ﴿مُنْقَالَ حَبَقٍ﴾ بالرفع والنصب، فمن نصب كان الضمير للهنة من الإساءة والإحسان، أي: إن كانت مثلاً في الصغر كحبة الخردل وكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة ﴿أَوْ﴾ حيث كانت ﴿فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا﴾ يوم القيامة فيحاسب بها عاملها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه إلى كل خفي ﴿خَيْرٌ﴾ عالم بكنهه. ومن رفع ﴿فَتُكُّ﴾ تامة، وآت ﴿مُنْقَالَ﴾ لإضافته إلى ﴿حَبَقٍ﴾، كما قيل:

كَمَا شَرَقْتُ صَدْرُ الْقَنَاءِ مِنَ الدَّمِ^(١)

وهو من باب ما اكتسب فيه المضاف من المضاف إليه التأنيث. الصادق عليه السلام: ((إياكم والمحقرات من الذنوب فإنّ لها من الله طالباً، لا يقولنّ أحكم: أذنّب وأستغفر الله، إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنْ تَكُ مُنْقَالَ حَبَقٍ... الآية﴾))^(٢).

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ من الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ مما عزمه الله من الأمور، أي: قطعه قطع إيجاب وإلزام. ومنه الحديث: ((إنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يحبّ أن يؤخذ بعزائمه))^(٣). وقيل:

(١) ديوان الأعشى: ٩٤، وصدرة: وتشرق بالقول الذي قد أذعته.

(٢) الكافي ج ٢: ٢٧٠ عن الباقر عليه السلام.

(٣) معجم الطبراني الكبير ج ١١: ٢٥٦ بالمعنى، الآيات الناسخة والمنسوخة: ١٠٠.

من الأمور التي يجب الثبات عليها^(١). وأصله من معزومات الأمور ومقطوعاتها، أو من عازمات الأمور، من قوله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾^(٢)، كقولك: جد الأمر وصدق القتال، فهو مصدر وصف به الفاعل أو المفعول. وفيه دلالة على أنّ هذه الطاعات كانت مأموراً بها في سائر الأمم.

وقرئ: تصاعر و﴿تَصْعَرُ﴾ من صاعر خده وصعرها. ومعناه: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعل المتكبر.

﴿مَرَحًا﴾ نصب على الحال بمعنى: ولا تمش تمرح مرحاً، أو أراد: ولا تمش لأجل المرح والأشر، لا يكن غرضك في المشي البطر والبطالة لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي. والمختال: مقابل للماشي مرحاً، والفخور للمصعّر خده كبراً.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ إعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين، لا تدب ديب المتهاوتين، ولا تثب وثوب الذعار.

﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أنقص منه.

﴿إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ﴾ أي: أو حشها من قولهم: شيء نكر: إذا أنكرته النفوس ونفرت واستوحشت منه.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

(١) الكشف ج ٣: ٤٩٧.

(٢) محمد: ٢١.

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾
 وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ
 عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي
 الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يُمْدَدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
 مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا
 يَعْبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ الشمس والقمر والنجوم.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الحيوان والنبات والبحار والأنهار وغير ذلك.

وقرئ: نعمة و﴿نِعْمَةٌ﴾، والنعمة: كل نفع قصد به وجه الإحسان، والله سبحانه خلق العالم كله نعمة، فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان ينتفع به، وأما الحيوان فإيجاده حياً نعمة عليه، لأنه لولا إيجاده حياً لما صحَّ منه الانتفاع، وكل ما أدى إلى الانتفاع وصحَّحه فهو نعمة. والنعمة الظاهرة: كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة: ما لا يعلم إلا بدليل أو غاب عن العباد علمه فلا يهتدون إليها.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ﴾ معناه: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى

العذاب؟! أي: في حال دعاء الشيطان إيتاهم.

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يفوض أمره إليه ويتوكل عليه ﴿فَقَدْ

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ هو من باب التمثيل، مثلت حال المتوكل بحال من تدل

[من موضع عال فاستمسك بعروة جبل وثيق يأمن انقطاعه.

وقرى:]^(١) ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ﴾ وَيُحْزِنُكَ من (حزن) و(أحزن)، والذي عليه الاستعمال: أحزنه، ويحزنه، والمعنى: لا يهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام، فإن الله سبحانه ينتقم منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يعلم ما في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منه.

﴿نُئِمْهُمْ﴾ زماناً قليلاً بدينهم.

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شبه إلزامهم التعذيب باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه، والمراد بالغلظ: الشدة والثقل على الملعذب.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر، وأن لا يعبد معه غيره ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك يلزمهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامدين، المستحق للحمد وإن لم يحمده.

وقرى: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ بالنصب عطفًا على اسم (إن)، وبالرفع عطفًا على محل (إن) ومعمولها، أي: ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً، وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر، أو على الابتداء والواو للحال على معنى: ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً، وهي من الأحوال التي حكمها حكم الظروف، ولا يعود منها ضمير إلى ذي الحال، كبيت امرئ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ^(١)

جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة، وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً، فهي تصب فيه مدادها أبداً صَباً لا ينقطع، فمعناه: ولو أَنَّ أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، لنفدت الأقلام والمداد وما نفدت كلماته. وقرأ الصادق عليه السلام: والبحر مداده ويقوي الوجه الثاني.

والأولى أن يكون ﴿كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ عبارة عن مقدوراته ومعلوماته، لأنها إذا كانت لا تنتهى فالكلمات التي تقع عبارة عنها أيضاً لا تنتهى.

﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا﴾ كخلق نفس واحدة وبعثها، والمعنى: إنه يستوي في قدرته القليل والكثير، والواحد والجمع، إذ لا يشغله فعل عن فعل وشأن عن شأن.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله بعض عن بعض، فكذلك الخلق والبعث.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِرَبِّكُمْ مِنْ ءَايَتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

فَلَمَّا بَجَعْتُهُمْ إِلَى الْأَنْبَرِ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَحْمَدُ بِعَابِنِنَا إِلَّا
 كُلَّ خَسَارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا
 يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَاوِزٌ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
 الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ
 مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
 بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

أي: كل واحد من ﴿الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ يجري في فلكه على وتيرة واحدة،
 ويقطعه إلى وقت معلوم: الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهر، وعن
 الحسن: (الأجل المسمى: يوم القيامة، لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ)^(١).

﴿ذَلِكَ﴾ الذي وصف من آثار صنعه وحكمته بسبب أن ﴿اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾
 الثابت إلهيته، وأن الذي يدعونه من دونه باطل، وأنه ﴿الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ عن أن يشرك
 به.

﴿يَنْعَمَتِ اللَّهُ﴾ أي: بإحسانه ورحمته ليرىكم بعض دلالته على كمال قدرته.
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ﴾ مؤمن ﴿صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه.
 الظلل: جمع الظلة، وهي كل ما أظلك من جبل أو سحب.

﴿فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ﴾ في الإخلاص الذي كان عليه، وقيل: مؤمن قد ثبت على
 ما عاهد عليه الله في البحر^(٢).

(١) تفسير الماوردي ج ٤: ٣٤٦.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٧: ٣٢٢.

والختار: الغدار، والختر: أسوأ الغدر وأقبحه.

﴿لَا يَجْزِي﴾ أي: لا يقضي ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ شيئاً، والمعنى: لا يجزي فيه

فحذف.

و﴿الْفَرُّوْهُ﴾: الشيطان.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ استأثر به ولم يطلع عليه أحداً.

﴿وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ في آياته، ويعلم نزوله في مكانه وزمانه.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي﴾ أرحام الحوامل، أتام أم ناقص، أذكر أم أنثى، أو أحد أم أكثر.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ﴾ أين

﴿تَمُوتُ﴾.

وجعل العلم لله، والدراية [للعبد لما في الدراية]^(١) من معنى الختل والحيلة،

أي: لا تعرف نفس وإن عملت حيلتها ما يختص بها من كسبها وعاقبتها، فمن أين

له معرفة ما عداهما؟! وعن النبي ﷺ: ((مفاتيح الغيب خمس، وقرأ هذه الآية))^(٢).

(١) ساقطة من ج.

(٢) مسند أحمد ج ٢: ٢٤، وينظر: الخصال: ٢٦٤.

سورة السجدة

مكية غير ثلاث آيات، من قوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ إلى تمام الآيات، تسع وعشرون آية بصري، ثلاثون آية غيرهم.
في حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة ألم تنزيل) فكأنها أحيا ليلة القدر))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة السجدة) في كل ليلة جمعة أعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بها كان منه، وكان من رفقاء محمد وأهل بيته عليه السلام))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ لَا رَبَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ أَمَّا يَقُولُونَ أَفَرَبُّهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤﴾

(١) الكشف والبيان ج ٧: ٣٢٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠.

﴿تَنْزِيلٌ﴾ مبتدأ وخبره ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض.

أثبت أولاً أنّ تنزيل الكتاب من ربّ العالمين، وأنّ ذلك مما لا ريب فيه، ثمّ أضرب عن ذلك إلى قوله: ﴿أَمْرٌ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ﴾، لأنّ ﴿أَمْرٌ﴾ هذه منقطعة إنكاراً لقولهم، وتعجبياً منه لظهور الأمر في عجزهم عن الإتيان بسورة منه، ثمّ أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنّه ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، وقوله: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: قريشاً، إذ لم يأتهم نبيّ قبل نبيّنا ﷺ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ استعار لفظ الترجي للإرادة.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ هو على معنيين:

أحدهما: إنكم إذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لأنفسكم ولياً، أي: ناصرأ ينصركم ولا شافعاً يشفع لكم.

والآخر: أنّه سبحانه وليكم الذي يتولى مصالحكم، وشفيعكم أي: ناصركم على سبيل المجاز، لأنّ الشفيع ينصر المشفوع له.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: أمر الوحي، فينزله مع جبرائيل من السماء إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ ما كان من قبول الوحي أو ردّه مع جبرائيل في وقت هو في الحقيقة ﴿أَلْفَ مَسْفَرٍ﴾، لأنّ المسافة في الهبوط والصعود مسيرة ألف سنة، لأنّ ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة، وهو يوم من أيامكم، فيقطع جبرئيل مسيرة ألف سنة مما يعدّه البشر في يوم واحد. وقيل: معناه: يدبّر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لألف سنة، وهو يوم من أيام الله ثمّ يرجع إليه أي: يصير إليه، ويثبت عنده، ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر إلى أن

تبلغ المدة آخرها، ثم يدبر أيضاً ليوم آخر، وهلم جرا إلى أن تقوم الساعة^(١). وقيل: يدبر المأمور به من الطاعات وينزله مدبراً من السماء إلى الأرض، فلا^(٢) يصعد إليه ذلك لقلة عمال الله المخلصين وقلة الأعمال الصاعدة، لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص.

ذَٰلِكَ عَلَّمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفُورُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

وقرئ: ﴿خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام وسكونها، فالأول على الوصف لكل شيء، بمعنى: إن كل شيء خلقه فقد أحسنه، والثاني على البدل، أي: أحسن خلق كل شيء، وأحسن بمعنى حسن، يعني: إن جميع مخلوقاته حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن منه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣). وقيل: معناه: علم كيف يخلقه وأحسن معرفته، أي: عرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان^(٤).

(١) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢١: ٥٩.

(٢) في ب: ولم، وفي ج: ولا.

(٣) التين: ٤.

(٤) عن مقاتل. معالم التنزيل ج ٣: ١٥٧.

ومنه: ((قيمة كل امرئ ما يحسنه))^(١).

وسميت الذرية نسلًا لأنها تنسل منه أي: تنفصل منه.

﴿ثُمَّ رَسَوْنَهُ﴾ أي: قومه، وأضاف الروح إلى ذاته إيدانًا بأنه خلق عجيب

لا يعلم كنهه إلا هو.

﴿إِنَّا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: صرنا تراباً وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا

نتميز منه كما يضل الماء في اللبن، أو غبنا في الأرض بالدفن فيها، كقول النابغة:

وَأَبْ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(٢)

وقرى: ﴿إِنَّا﴾ و﴿أَنَّا﴾، بالاستفهام وتركه، وروي عن علي عليه السلام وابن

عباس: صَلَّلْنَا بالصاد وكسر اللام، من صل اللحم وأصل: إذا أُنْتِن. وقيل: صرنا

من جنس الصلة وهي الأرض^(٣). وانتصب الظرف بما دل عليه قوله: ﴿إِنَّا لَنَلِي

خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو نبعث أو يجدد خلقنا.

﴿لِقَاءَ رَبِّهِمْ﴾ هو الوصول إلى العاقبة من تلقى ملك الموت وما وراءه. ولما

ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر، وهو أنهم كافرون بجميع

ما يكون في العاقبة لا بالإنشاء وحده، ألا ترى كيف خوطبوا بالتوفي وبالرجوع^(٤)

إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للجزاء؟! وهذا معنى لقاء الله.

والتوقي: استيفاء النفس وهي الروح، وهي أن تقبض كلها لا يترك منها

شيء، من قولهم: توفيت حقي واستوفيته. وعن ابن عباس: (جعلت الدنيا للملك

(١) نهج البلاغة: ٥٧٨ ح ٨١.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٩٠.

(٣) تفسير الماوردي ج ٤: ٣٥٦.

(٤) في ب: الرجوع.

الموت مثل الجام، يأخذ منها ما يشاء إذا حان القضاء^(١). وعن قتادة: (إِنَّ لَهُ أَعْوَانًا مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةِ الْعَذَابِ، أَي: يتوفاهم ومعه أعوانه)^(٢). وقيل: يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ، وجواب (لو) محذوف، أي: لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً سيئاً. ويجوز أن يكون خطاباً لكل أحد، كما يقال: فلان لئيم إن أكرمه أهانك، ولا يريد مخاطباً بعينه.

﴿وَإِذِ﴾ ظرف للرؤية.

﴿نَاكِبُوا رُءُوسِهِمْ﴾ مطرقوها ومطأطئوها حياةً وذلاً، يستغيثون بقولهم: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ فلا يغاثون. والمعنى: أبصرنا صدق وعدك ووعدك، وسمعنا منك تصديق رسلك، أو كنا عمياً وصماً فأبصرنا وسمعنا. ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا نعمل صالحاً ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ اليوم.

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

(١) مجمع البيان ج٧-٨: ٣٢٨.

(٢) تفسير الطبري ج٢١: ٦٢.

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا
 أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
 الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّ هُم مِّنَ الْعَذَابِ
 الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢١﴾

يريد: إِنَّا بَنِينَا أَمْرَ التَّكْلِيفِ عَلَى الْإِخْتِيَارِ دُونَ الْإِضْطِرَّارِ ﴿وَلَوْ شِئْنَا
 لَّأَيَسَّا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ عَلَى طَرِيقِ الْقَسْرِ وَالْإِجْبَارِ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ،
 أَي: عَلَى أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْعَمَى لَا اسْتِحْبَابَهُمُ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَذُوقُوا﴾ بِنِسْيَانِكُمُ الْعَاقِبَةَ وَقِلَّةِ مَبَالِنَتِكُمْ بِهَا وَتَرْكِ اسْتِعْدَادِكُمْ
 لَهَا، وَالْمَرَادُ بِالنِّسْيَانِ خِلَافَ التَّذَكُّرِ.

﴿إِنَّا نَسِينَكُمْ﴾ أَي: جَازِينَاكُمْ جَزَاءَ نِسْيَانِكُمْ، [وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى
 التَّرْكِ، أَي: تَرَكْتُمُ الْفِكْرَ فِي الْعَاقِبَةِ فَتَرَكْنَاكُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ^(١)]. وَفِي اسْتِنَافِ قَوْلِهِ:
 ﴿إِنَّا نَسِينَكُمْ﴾^(٢) وَبِنَاءِ الْفِعْلِ عَلَى (إِنْ) وَاسْمِهَا تَشْدِيدٌ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ،
 أَي: فَذُوقُوا هَذَا، أَي: مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ نَكْسِ الرُّؤُوسِ وَالْغَمِّ وَالْخِزْيِ بِسَبَبِ نِسْيَانِ
 اللَّقَاءِ. وَذُوقُوا عَذَابَ الْمَخْلَدِ فِي جَهَنَّمَ بِسَبَبِ مَا عَمَلْتُمْ.

و﴿ذُكِّرُوا بِهَا﴾ أَي: وَعَظُوا فَتَذَكَّرُوا وَاتَّعَظُوا بِأَنْ سَجَدُوا شُكْرًا لِلَّهِ
 سُبْحَانَهُ عَلَى أَنْ هَدَاهُمْ لِمَعْرِفَتِهِ وَتَوَاضَعُوا وَخَشَعُوا.

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ. الدَّرُ الْمَشْهُورُ ج ٥: ١٧٤.

(٢) سَاقِطَةٌ مِنْ د.

﴿وَسَبَّحُوا﴾ ونَزَّهوا الله من نسبة القبائح إليه، وأثنوا عليه حامدين له.

﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ أي: ترتفع وتتنحى عن المضاجع، وهي الفرش ومواضع النوم والاضطجاع، وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون لصلاة الليل. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ لأجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته، وعن بلال عن النبي ﷺ: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد))^(١). وعنه ﷺ: ((شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه كف الأذى عن الناس))^(٢).

وقرئ: ما أخفى لهم على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل، و(ما) بمعنى الذي أو بمعنى أي، وروي عن النبي ﷺ: قرأت أعين. أي: لا تعلم النفوس كلهن، ولا نفس واحدة منهن، ولا ملك مقرب، ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب خبيء وادخر لأولئك، أو أي ذلك أخبئ وادخر لهم مما تقر به عيونهم، ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح لهمة وراءها. ومثله الحديث: ((يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتكم عليه، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ... الْآيَةَ﴾))^(٣).

﴿كَانَ مُؤْمِنًا﴾ و﴿كَانَ فَاسِقًا﴾ محمولان على لفظ (من)، و﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ محمول على معناه، بدليل قوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ و﴿أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾.

﴿جَنَّتُ الْمَأْوَى﴾ نوع من الجنان. وعن ابن عباس: (تأوي إليها أرواح

(١) سنن الترمذي ج٥: ٢١٢.

(٢) المستدرک على الصحيحين ج٤: ٣٢٥، ينظر: الخصال: ٧.

(٣) صحيح مسلم ج٨: ١٤٣.

الشهداء^(١)، وقيل: هي عن يمين العرش.

﴿تَزَلُّوا﴾ عطاء بأعمالهم، والنزل: عطاء النازل، ثم صار عاماً.

﴿فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ﴾ أي: النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْمَكْرُوهُ﴾ فيه دلالة على أن المراد بالفاسق هنا الكافر.

و﴿الْعَذَابُ الَّذِي﴾ عذاب الدنيا من القتل والأسر، وما منحوا به من السنة

سبع سنين حتى أكلوا الجيف، وقيل: هو القتل يوم بدر بالسيف^(٢)، وقيل: الدابة والدجال^(٣)، وقيل: عذاب القبر^(٤).

و﴿الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ﴾ عذاب الآخرة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يتوبون عن الكفر، أو لعلهم يريدون الرجوع

ويطلبونه كقوله: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾^(٥). وسميت إرادة الرجوع رجوعاً كما سميت إرادة القيام قياماً في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(٦).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾

(١) تفسير الطبري ج ٢٧: ٣٣.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج ٢١: ٦٩.

(٣) تفسير أبي حنيفة ج ٢: ٢٦٣.

(٤) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢١: ٦٩.

(٥) السجدة: ١٢.

(٦) المائدة: ٦.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَقْضِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

معنى ﴿ثُمَّ﴾: الاستبعاد لإعراضهم عن آيات الله مع وضوحها بعد التذكير

بها.

و﴿الْكِتَابِ﴾ للجنس، والضمير في ﴿لِقَائِهِ﴾ له، والمعنى: إِنَّا آتَيْنَا موسى مثل ما آتيناك [من الكتاب]^(١)، فلا تك في شك من أنك لقيت مثله، إذ لقيناك مثل ما لقيناه من الوحي ونحوه: ﴿وَإِنَّكَ لَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(٢). وقيل: إِنَّ الضمير في ﴿لِقَائِهِ﴾ لموسى^(٣)، والتقدير: من لقائك موسى أو من لقاء موسى إيتاك ليلة الإسراء بك إلى السماء، فقد روي أنه ﷺ قال: ((رأيت ليلة أسري بي إلى السماء موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة))^(٤). وعلى هذا فيكون قد وعد ﷺ أن يلقى موسى قبل أن يموت.

(١) ساقطة من ج.

(٢) النمل: ٦.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٢٠٩.

(٤) صحيح البخاري ج ٢: ٢١٦.

وجعلنا الكتاب المنزل على موسى ﴿هَدًى﴾ لقومه .

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً﴾ يقتدى بأقوالهم وأفعالهم .

﴿يَهْدُونَ﴾ الناس إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه .

(لما صبروا) أي: لصبرهم، وكذلك: لنجعلن الكتاب المنزل إليك نوراً

وهدى ولنجعلن بعدك في أمتك أئمة يهدون الناس مثل تلك الهداية، لما صبروا

عليه من نصرة الدين، وثبتوا عليه من الحق اليقين. وقرئ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ ومعناه:

لما صبروا جعلناهم أئمة، وعن الحسن: (صبروا عن الدنيا)^(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي فيميز المحق من المبتل. و﴿هُوَ﴾

فصل، ويجوز ذلك في المضارع لأنه يشبه الاسم، ولو قلت: إن زيداً هو فعل لم يجز.

الواو في ﴿أَوَّلَمْ يَهْدِهِمْ﴾ للعطف على معطوف عليه منوي من جنس

المعطوف، وقرئ بالنون والياء، والفاعل ما دلّ عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ لأنّ كم

لا تقع فاعلة، وتقديره: أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون! أو هذا الكلام كما هو

بمضمونه، ومعناه كما تقول: تعصم لا إله إلا الله الدم والمال. ويجوز أن يكون فيه

ضمير الله بدلالة القراءة بالنون، والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ لأهل مكة.

و﴿الْقُرُونِ﴾ عاد وثمود وقوم لوط يمشي أهل مكة ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾

وديارهم وبلادهم.

﴿الْجُرْزِ﴾ الأرض التي جرز نباتها أي: قطع، إما لعدم الماء وإما لأنه رعي،

ولا يقال للأرض التي لا تنبت: جرز، ويدلّ عليه قوله: ﴿فَتُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾،

والضمير في به للماء.

﴿تَأْكُلُ﴾ من الزرع ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ من عصفه و﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ من حبه.

الفتح: النصر أو الفصل بالحكومة من قوله: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾^(١)، وكانوا يسمعون المسلمين فيستفتحون الله عليهم ويقولون: يفتح الله بيننا وبينكم، فقالوا لهم: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي: في أي وقت يكون ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه كائن؟ و﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يوم القيامة، وقيل: يوم بدر^(٢)، وقيل: هو يوم فتح مكة^(٣).
وغرضهم في السؤال عن وقت الفتح هو التكذيب والاستهزاء، فوقع جوابهم على حسب ما عرف من مرادهم في سؤالهم، فكأنه قال: لا تستعجلوا به، فإن ذلك اليوم ستؤمنون ولا ينفعكم الإيمان كما لم ينفع فرعون إيمانه عند حلول البأس، وستنظرون ولا تنتظرون.

﴿وَأَنْتَظِرُ﴾ حكم الله فيهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم ف﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ هلاككم والغلبة عليكم.

(١) الأعراف: ٨٩.

(٢) عن ابن عباس. الدر المنثور ج ٥: ١٧٩.

(٣) عن الكلبي. معالم التنزيل ج ٣: ١٦٠.

سورة الأحزاب

مدنية، ثلاث وسبعون آية.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الأحزاب) وعلمها أهله وما ملكت يمينه أُعطي الأمان من عذاب القبر))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من كان كثير القراءة لـ (سورة الأحزاب) كان يوم القيامة في جوار محمد ﷺ وأزواجه))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ①
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ② وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ③
 مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ
 وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ④
 ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾

ناداه سبحانه بالنبي وبالرسول، وترك نداءه باسمه كما قال: ﴿يَا آدَمُ﴾^(١)،
﴿يَا دَاوُدُ﴾^(٢)، ﴿يَا مُوسَى﴾^(٣)، إجلالاً لمحلّه وتشريفاً له.

﴿أَتَى اللَّهَ﴾ أي: دم على ما أنت عليه من التقوى، وثبت عليه وازدد منه.
﴿وَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ولا تساعدهم على شيء، ولا تقبل منهم
رأياً ومشورة.

وقرئ: بما يعملون بالياء، أي: بما يعمل المنافقون من الكيد والمكر.
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ وفوض أمرك إليه وكله إليه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾
موكولاً إليه كل أمر.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ قلبين في جوف رجل، ولا زوجية وأمومة في امرأة، ولا بنوة
ودعوة في رجل. والمعنى: إنّ الله عزّ اسمه كما ليس في حكمته أن يجعل للإنسان
قلبين، لأنّه لو كان ذلك لكان لا ينفصل إنسان واحد من إنسانين، إذ كان يؤدي
أن تكون الجملة الواحدة متصفة بكونها مريدة كارهة لشيء واحد في حالة واحدة
إذا أريد بأحد القلبين وكره بالآخر، فكذلك لا تكون المرأة الواحدة أماً لرجل
وزوجة له، ولا يكون الرجل الواحد دعياً لرجل وابناً له، لأنّ الابن هو العريق في
النسب، والدعوى لاصق في التسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء أن يكون أصيلاً

(١) الأعراف: ١٩.

(٢) ص: ٢٦.

(٣) الأعراف: ١٤٤.

وغير أصيل.

وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة، وهو رجل من كلب، سبي في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعتمته خديجة، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، وقيل: بل اشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ وأسلم، فقدم أبوه حارثة بن شراحيل الكلبي مكة واستشفع بأبي طالب إلى رسول الله ﷺ في أن يبيعه منه، فقال ﷺ: هو حرّ فليذهب حيث شاء، فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ، فقال أبوه: يا معشر قريش، اشهدوا أنّه ليس بابني، فقال رسول الله ﷺ: ((اشهدوا أنّ زيداً ابني))، فكان يدعى زيد بن محمد، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش - وكانت تحت زيد بن حارثة - قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله عزّ وجل هذه الآية، قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾^(١).

وقرئ: اللائي بهمزة ممدودة مشبعة بعدها ياء. وقرئ: اللاء بهمزة ممدودة مختلسة لا ياء بعدها، وقرئ: اللاي بغير همزة ولا مد حيث كانت من القرآن، وقرئ: ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ من: ظاهر، وتظاهرون من: أظهر بمعنى تظاهر، وتظهرون من: أظهر بمعنى: تظهر.

وأصل الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، يقال: ظاهر من امرأته، وكان ذلك طلاقاً في الجاهلية، يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنب المطلقة، فكان معنى قولهم: تظاهر منها: تباعد منها بجهة الظهار، وتظهر منها: تحرّز منها، وظاهر منها: حاذر منها، ونظيره: آلى من امرأته. لما ضمن معنى التباعد منها، عدّي به (من). ومعنى قولهم: أنت عليّ كظهر أمي، أنهم أرادوا أن يقولوا

كبطن أُمي في التحريم، فكثروا عن البطن بالظهر، لأن ذكر البطن يقارب ذكر الفرج.

﴿ذَلِكَكُمْ﴾ النسب هو ﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: هذا ابني، ولا حقيقة له عند الله ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أي: لا يقول إلا الذي يوافق الحقيقة.

﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ولا يهدي إلا سبيل الحق، فقال ما هو الحق، وهدى إلى ما هو سبيل الحق، وهو قوله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾. ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: أعدل حكماً وقولاً.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا﴾ لهم آباء فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ﴾ وأولياؤكم، أي: بنو أعمامكم أو ناصروكم، وقيل: ﴿وَمَوْلَاكُمْ﴾: معتقوكم إذا أعتقتموهم فلکم ولاؤهم^(١).

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ إذا نسبتموهم إلى المتبني لظنكم أنه أبوه.

و﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ في محل الجر عطفاً على ﴿مَا أَخْطَأْتُمْ﴾، ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح، ويجوز أن يكون المراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم، كقوله ﷺ: ((وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه))^(٢)، ويتناول خطأ التبني وعمده لعمومه.

الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْ بَعْضِهِمْ أَوْلَىٰ مِنْ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ

(١) تفسير السمرقندي ج ٣: ٤١.

(٢) الكافي ج ٢: ٤٦٣، معجم الطبراني الأوسط ج ٨: ١٦١.

ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَتَسْتَلِ الْأَصْدِيقِينَ عَنِ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ في كل شيء من أمور الدين والدنيا، ولذلك أطلق ولم يقيد، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه أوجب عندهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أكثر من شفقتهم عليها، وأن يذلوها دونه إذا حلَّ خطب، ويجعلوها فداه إذا لقحت حرب. وروي عن أبي وابن مسعود وابن عباس أنهم قرأوا: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم، وروي ذلك عن الباقر والصادق عليهما السلام. وعن مجاهد: (كل نبي أب لأمته)^(١)، ولذلك صار المؤمنون إخوة لأن النبي أبوهم في الدين، وأزواجه أمهاتهم في تحريم النكاح، كما قال: ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا﴾^(٢)، ولسن بأمهات لهم على الحقيقة، إذ لو كن كذلك لكانت بناتهن أخوات، فكان لا يحل للمؤمن التزوج بهن.

(١) الكشف ج ٣: ٥٢٣.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ أي: ذوو الأنساب ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الميراث بحق القرابة. وكان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالمؤاخاة في الدين وبالهجرة، فصارت هذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والمؤاخاة.

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ، أو في القرآن.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يجوز أن يكون بياناً لأولي الأرحام، أي: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية، أي: أولى الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث [من المؤمنين]^(١) بحق المؤاخاة، ومن المهاجرين بحق الهجرة.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا﴾ عنى بذلك وصية الرجل لإخوانه في الدين، وعدّي ﴿تَفْعَلُوا﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾ لأنه في معنى تسدوا وتزلوا.

﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ المشار إليه من نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى أولى الأرحام مكتوباً في اللوح أو القرآن [أو التوراة]^(٢).

واذكر حين أخذنا ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ جميعاً ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ بتبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد، ﴿وَمِنْكَ﴾ خصوصاً ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾. وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله تعالى يوم القيامة عند تواقف الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم، فيشهد الأنبياء لهم بأنهم صدقوا عهدهم وكانوا مؤمنين، أو ليسأل الأنبياء ما الذي أجابتهم به أمهم كقوله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْبَيْنِ﴾^(٣)، أو ليسأل الذين صدقوا ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله أم غيره؟ وفيه

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) المائدة: ١١٦.

تهديد للكاذب. قال الصادق عليه السلام: ((إذا سئل الصادق عن صدقه على أي وجه قاله فيجأزي بحسبه، فكيف يكون حال الكاذب؟!))^(١).

والميثاق الغليظ: اليمين بالله على الوفاء بها حملوا. والغلظ استعارة، والمراد: عظم الميثاق وجلالة قدره في بابه.

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يوم الأحزاب، وهو يوم الخندق.

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ وهي الصبا أرسلت عليهم حتى أكفأت قذورهم، ونزعت فسايططهم، وسفت التراب في وجوههم. وفي الحديث: ((نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور))^(٢).

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة.

وحين سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة، أشار عليه بذلك سلمان الفارسي، ثم خرج ومعه ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم، واشتد الخوف في المسلمين، ورفعت الذراري والنساء في الآطام، ونجم النفاق من المنافقين، وكانت قريش قد أقبلت حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد وقائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل، ومالأتهم اليهود من بني قريظة والنضير، وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم وبين المسلمين قتال إلا الرمي بالنبل والحجارة، غير أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد

(١) مجمع البيان ج ٧-٨: ٣٣٩، وهي نص عبارة الشيخ في التبيان ج ٨: ٢٨٩ فلاحظ.

(٢) صحيح البخاري ج ١: ١٨٣، المعفريات ج ٢: ١٣٦.

ود، وضرار بن الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله خرجوا على خيولهم حتى مروا ببني كنانة فقالوا: تهيأوا للحرب فستعلمون اليوم من الفرسان، ثم أقبلوا تعنت بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا، ونادى عمرو وكان يعدّ بألف فارس: من يبارز؟ فقام عليّ عليه السلام وهو مقتنع في الحديد فقال: أنا له يا رسول الله، فقال النبي: ((إنه عمرو، اجلس))، ونادى عمرو الثانية والثالثة يقول: ألا رجل؟ أين جئتكم التي تزعمون أنّ من قتل منكم دخلها؟! فقام عليّ عليه السلام، فأذن له رسول الله ﷺ، وألبسه درعه ذات الفضول، وأعطاه ذا الفقار، وعمّمه عمامته السحاب، وقال: ((اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه))، وتجاوزوا فضربه عمرو في الدركة ففقدها وأصاب رأسه فشجّه، وضربه عليّ عليه السلام وثارت بينهما عجاجة، فسمع عليّ عليه السلام يكبر، فقال النبي ﷺ: ((قتله والذي نفسي بيده))، فحرّز عليّ رأسه وأقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، فقال النبي ﷺ: ((أبشر يا عليّ، فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم))^(١).

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان.

﴿وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ﴾ من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن سننها حيرة وشخوصاً، وقيل: عدلت

عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الخوف^(٢).

و﴿الْحَنَاجِرَ﴾ جمع الحنجرة وهي منتهى الحلقوم، قالوا: إذا انتفخت الرئة

(١) ينظر: مغازي الواقدي ج ٢: ٤٧١، وتفسير القمي ج ٢: ١٨٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٣٣٦.

من فرع أو غم أو غضب ربّ وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، ولذلك قيل للجبّان: انتفخ سحره. ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة.

﴿وَتَطْنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة، زيدت الألف في الفاصلة كما زادوها في

القافية، نحو قوله:

أَقْلَ اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا^(١)

وكذلك ﴿الرُّسُولَا﴾^(٢) و﴿السَّيْلَا﴾^(٣).

﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي: أزعجوا أشدّ إزعاج.

وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَلَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْتِ الْبَأْسَ بَرًّا لَمْ نَقَمَ لَكُمْ
فَارْجِعُوا وَاسْتَغْنُوا فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيُّ يَقُولُونَ إِنْ يُؤْتِنَا عَوْرَةً وَمَا هِيَ
بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ
سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا
عَلَيْهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلَوْنَ الْإِدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا
﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَلِذَا لَا
تُغْنَوْنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْمٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا

(١) ديوان جرير: ٥٨ وبقيته: وقولي إن أصبت لقد أصابا.

(٢) الأحزاب: ٦٦.

(٣) الأحزاب: ٦٧.

يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا
ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ
لَمْ يُؤْمِنُوا فَلَحَبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾
يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُلُوبُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

قيل: إنَّ القائل معتب بن قشير وأضرابه من المنافقين قالوا: (كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر، ونحن لا نقدر أن نذهب إلى الغائط، هذا والله الغرور).^(١)

﴿يُتْرَبْ﴾ اسم المدينة، وقيل: أرض وقعت المدينة في ناحية منها.^(٢)

قري: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها، أي: لا قرار لكم ها هنا ولا مكان تقيمون فيه أو تقومون ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى المدينة، أمروهم بالهرب من معسكر رسول الله، وقيل: قالوا لهم: ارجعوا كفاراً وأسلموا محمداً وإلا فليست يثرب لكم بمكان.^(٣)

﴿إِنْ يُّؤْتَا عَوْرَةً﴾ أي ذوات عورة، والعورة: الخلل، اعتذروا بأن بيوتهم مكشوفة ليست بحصينة، أو خالية من الرجال يخشى عليها السراق، فكذبهم سبحانه بقوله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [بل هي حصينة، وإنها يريدون الفرار.

(١) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج ٥: ١٨٦.

(٢) مجاز القرآن ج ٢: ١٣٤.

(٣) عن الحسن. تفسير الماوردي ج ٤: ٣٨٢.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمُ﴾ المدينة أو بيوتهم، من قولهم: دخلت على فلان^(١) بيته.

﴿مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: جوانبها، يريد: ولو دخلت هذه العساكر مدينتهم

وبيوتهم من نواحيها كلها يذهبونهم.

﴿ثُمَّ سِيلُوا﴾ عند ذلك الفرع و﴿الْفِتْنَةَ﴾ أي: الردة والرجعة إلى الكفر

ومقاتلة المسلمين لأتوها أي: لجأوها وفعلوها، وقرئ: ﴿لَا تَوَّهَا﴾ أي: لأعطوها.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ أي: وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ

يهلكهم، وقيل: وما تلبثوا بها أي: ما لبثوا عطاءها وإجابتهم إليها إلا يسيراً، ريثما

يكون السؤال والجواب من غير توقف^(٢).

﴿كَانُوا عَاهِدُوا﴾ رسول الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ليلة العقبة أن يمنعه مما يمنعون

منه أنفسهم.

﴿مَسْئُولًا﴾ أي: مطلوباً يسألون عنه في الآخرة.

﴿قُلْ لَنْ نَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ﴾ مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل،

وإن نفعكم الفرار - مثلاً - فمتعمم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زماناً قليلاً.

﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾ المتبطون عن رسول الله، وهم المنافقون يقولون ﴿لَا خَوْفَ لَنَا﴾

من ضعفة المسلمين: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحماً لالتهمهم

هؤلاء، فخلّوهم و﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي: تعالوا وقربوا أنفسكم إلينا. وهي لغة الحجاز

يسوون فيه بين الواحد والجماعة، وأما تميم فيقولون: هلم، هلم، هلموا، وهي

صوت سمي به فعل متعد مثل: احضر وقرب.

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٣٣٧.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إتياناً قليلاً، يخرجون مع المؤمنين ولا يبارزون ولا يقاتلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطروا إليه، كقوله: ﴿مَا قَاتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ في وقت الحرب^(٢) أضناء بكم، يترفرون حولكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المحامي دونه عند الخوف، وقيل: معناه: أشحة بالقتال معكم ولا ينصرونكم^(٣).

﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوفاً ولو أذأ بك.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم نقلوا ذلك الشح عنكم إلى الخير وهو المال والغنيمة وقالوا: وفروا قسمتنا، فإنا قد شاهدناكم وبمكاننا غلبتم أعداءكم. ونصب ﴿أَشْحَةً﴾ على الحال أو على الذم. والسلق: أصله الضرب، سلقه بالكلام أسمعته المكروه، أي: أذوكم وخاصموكم باللسنة سليطة ذرية.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ لم ينهزموا وقد انهزموا.

﴿وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرة ثانية تمتوا خوفاً ما تمتوا به هذه الكرة، أنهم خارجون إلى البدو ﴿يَسْتَلُوبُونَ عَنْ﴾ أخباركم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ معكم و﴿فِيكُمْ﴾ ووقع قتال، لم يقاتلوا معكم إلا قدراً يسيراً رياء وسمعة، ليوهموا أنهم من جملتكم لا لنصرتكم.

(١) الأحزاب: ٢٠.

(٢) في ب: الخوف.

(٣) عن ابن كامل. تفسير الماوردي ج ٤: ٣٨٥.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ
قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ
إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا
﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن
شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ لَمَّا بَيَّنَّوْا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ
اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بدل من ﴿لَكُمْ﴾ وهو مثل قولك: رجوت زيدا
وفضله، أي: فضل زيد.

والأسوة من الاتباع كالقدوة من الاقتداء، أي: كان لكم به اقتداء لو
اقتديتم به في النصرة والصبر عند مواطن الكفاح كما فعل هو يوم أحد إذ كسرت
رباعيته وشج وجهه وقتل عمه، فواساكم مع ذلك بنفسه، فهلا فعلتم مثل ما فعله
هو.

﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ أي: قرن الرجاء بالطاعات الكثيرة، والمؤتسى به من كان
كذلك.

وعدهم عز اسمه أن يزلزلوا حتى يستغيثوه في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾^(١)، فلما جاء الأحزاب واضطربوا

﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وأيقنوا بالنصر، وهذا إشارة إلى البلاء.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾ بالله ﴿وَسَلِيمًا﴾ لقضائه.

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ بأنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ

ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي: قتل فوفى بنذره من الثبات مع رسول الله ﷺ،

وعن ابن عباس: (هو حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه، وأنس بن النضر وأصحابه)^(١).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ النصرة والشهادة على ما مضى عليه أصحابه.

﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ وما غيروا العهد، لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة.

وعن علي عليه السلام: ((فينا نزلت، وأنا والله المنتظر وما بدلت تبديلاً))^(٢).

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ في عهودهم ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾

بنقض العهد.

﴿إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: إن شاء قبل توبتهم وأسقط عقابهم، وإن

شاء لم يقبل توبتهم وعذبهم، والظاهر يقتضي بما يقتضيه العقل من الحكم.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ مغيظين، كقوله:

﴿تَبَّتْ بِالذُّهْنِ﴾^(٣).

﴿لَا يَنَالُوا خَيْرًا﴾ غير ظافرين. وهما حالان بتداخل أو تعاقب، ويجوز أن

(١) تنوير المقياس: ٣٥٢.

(٢) شواهد التنزيل ج ٢: ١، الخصال: ٣٤٦.

(٣) المؤمنون: ٢٠.

يكون الثانية بياناً للأولى أو استثناءً.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والجنود. وعن ابن مسعود أنه كان يقرأ: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي.

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَهُمُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْمُرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾
وَأَوْثَقَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَذَرُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

[﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾] ^(١) من حصونهم، والصيصية: ما تحصن به، يقال لقرن الطي والبقر: صيصية، ولشوكة الديك التي في ساقه، ولشوكة الحائك أيضاً، قال:

كَوَفَّعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَمْدَدِ ^(٢)

وقرئ: ﴿الرُّعْبَ﴾ بضم العين وسكونها. وروي أن جبرائيل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي انصرف عن الخندق إلى المدينة فقال: يا رسول الله، إن الملائكة لم تضع السلاح، إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة [وأنا عامد إليهم، فعزم رسول الله ﷺ على الناس أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة] ^(٣)، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، فزلوا على حكم سعد ابن معاذ ^(٤)، فحكم فيهم بأن يقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم، وتغنم

(١) ساقطة من ج.

(٢) البيت للريد بن الصمة. الشعر والشعراء ج ٢: ٧٥٠، وصدرة: فجئت إليه والرماح تنوشه.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي، أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية، شهد بدرًا وأحدًا والخندق، رمي يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتفض جرحه فمات. ينظر: الاستيعاب ج ٢: ٢٧.

أموالهم، وتكون عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فالأنصار ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار، فكبر رسول الله ﷺ وقال لسعد: ((لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة))^(١). والرقيع: اسم سماء الدنيا، فقتل مقاتلتهم وكانوا ستائة مقاتل، وقيل: أربعائة وخسين، وسبي سبعائة وخسون^(٢).

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْغُوهَا﴾ بأقدامكم بعد، وسيفتحها الله عليكم، وهي خيبر، وقيل: مكة^(٣)، وقيل: فارس والروم^(٤)، وقيل: هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة^(٥)، وقيل: هي كل ما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

يَتَأَيَّمَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَفَعَلَيْتُكُمْ أَمْتَعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُنَّ
تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ
مُّبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا
نُّؤِذْهَا أَجْرًا مَّرْتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقرن في بَيُوتِكُنَّ

(١) مغازي الواقدي ج٢: ٥١٢.

(٢) عن قتادة. الدر المشورج ٥: ١٩٣.

(٣) عن قتادة. الدر المشورج ٥: ١٩٣.

(٤) عن الحسن. تفسير الطبري ج٢١: ٩٨.

(٥) عن عكرمة. الدر المشورج ٥: ١٩٣.

وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَنَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ
الرَّكْعَةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْ مَا
يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

قالوا: إن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في
النفقة وتغاييرن، فأذى ذلك رسول الله ﷺ وآلٍ منهن، وصعد إلى غرفة فمكث فيها
شهرًا، فنزلت آية التخيير^(١).

﴿فَنَعَا لَیْسَ﴾ أي: أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين، ولم يرد
نهوضهن إليه بأنفسهن كما تقول: أقبل بخاصمني، وذهب يكلّمني.
﴿أُمْتَعَكُنَّ﴾ أعطكن متعة الطلاق ﴿وَأُسْرَحَكُنَّ﴾ أطلقكن ﴿سَرَلَا جَمِيلًا﴾
طلاقاً بالسنة من غير ضرار.

﴿لِلْمُحْسِنَاتِ﴾ المريدات الإحسان المطيعات لله منكن.
واختلف في حكم التخيير، والمروي عن أئمة الهدى ﷺ أن ذلك كان خاصاً
للنبي ﷺ، ولو اخترن أنفسهن لبنّ منه [من غير طلاق]^(٢)، وليس لغيره ذلك^(٣).
والفاحشة: السيئة البليغة في القبح، وهي الكبيرة، والمبيتة: الظاهر فحشها.
والمراد: كل ما اقترفن من الكبائر.

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٣١.

(٢) ساقطة من ج، د.

(٣) ينظر: الوسائل ج ١٥ باب ٤١ من أبواب مقدمات الطلاق.

قرئ: يَضْعَفُ، و﴿يُضْعَفُ﴾ بـالياء على بناء الفعل للمفعول، و(نضعف) بالنون والبناء للفاعل، وإنَّها ضوعف عذابهن لزيادة نعمة الله عليهن بنزول الوحي في بيوتهن وبمكان النبي ﷺ منهن، وزيادة قبح المعصية تتبع زيادة النعمة على المعاصي من المعصي، ومتى ازداد الفعل قبحاً ازداد عقابه شدة، ولذلك تكون المعصية من العالم أقبح، وذم العقلاء له أكثر.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ إيذان بأن كونهن نساء النبي لا يغني عنهن شيئاً.

وقرئ: ﴿مَنْ يَأْتِ﴾، ﴿وَمَنْ يَفْتَنُ﴾، ﴿وَتَعْمَلُ﴾ بـالياء والتاء، و﴿تُؤْذِنَهَا﴾ بـالياء والنون، أي: نعطيها ثوابها مثلي ثواب غيرها، كما يكون عذابها ضعف عذاب غيرها.

والقنوت: الطاعة.

و(أحد) في الأصل: واحد، بمعنى الواحد، ثم وضع في النفي العام يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع. ومعنى قوله: ﴿لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والسابقة.

﴿إِنْ أَتَقَيْنَ﴾ أي: إن كنتن متقيات وأردتن التقوى ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ أي: لا ترققن الكلام للرجال مثل كلام المريبات والمومسات.

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: نفاق وفجور.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ بعيداً من التهمة مستقيماً بجد وخشونة من غير تخنث، أو قولاً حسناً مع كونه خشناً.

﴿وَقَرْنَ﴾ قرئ بكسر القاف وفتحها، فالكسر من: وقر يقر وقاراً، أو من:

قَرَّ يَقَرُّ قراراً، حذفت الراء الأولى من أقرن ونقلت كسرتها إلى القاف كما يقال: ظلن في ظللن، [والفتح أصله: أقرن حذفت الراء ونقلت الحركة إلى القاف مثل: ظلن] ^(١).

﴿وَلَا تَبَرَّحْ تَبَرَّحَ الْجَهْلِيَّةُ الْأُولَى﴾ وهي القديمة التي يقال لها: الجاهلية الجاهلاء، وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، وقيل: ما بين آدم ونوح ^(٢)، وقيل: هي جاهلية الكفر قبل الإسلام ^(٣).

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح.

و﴿الرَّجَسِ﴾ مستعار للذنوب، والطهر للتقوى، لأنَّ عرض المقرف للقيح يتدنس به كما يتلوث جسده بالأرجاس.

واتفقت الأمة على أنَّ المراد أهل بيت نبيِّنا ﷺ ^(٤). وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ((نزلت في خمسة: فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة)) ^(٥). وعن أم سلمة قالت: ((جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تحمل حريرة لها، قال: ادعي زوجك وابنيك، فجاءت بهم فطعموا، ثم ألقى عليهم كساء خبيراً وقال: هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقلت: يا رسول الله،

(١) ساقطة من ج.

(٢) عن الحكم. تفسير الطبري ج ٢٢: ٤.

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٢٢: ٤.

(٤) الكافي ج ١: ٢٨٧، صحيح مسلم ج ٧: ١٣٠، وينظر: كتاب آية التطهير في الخمسة أهل الكساء.

(٥) أسباب النزول: ٢٥١.

وأنا معهم؟ قال: أنت على خير^(١).

﴿وَأَذْكُرَكَ﴾ ولا تنسين ﴿مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرآن الذي هو آيات الله البينات والحكمة التي هي العلوم والشرائع، واعملن بموجبها.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم.

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ
وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفَظِينَ وَالْحَفَظَاتِ فَرُوحَهُمْ
وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ
اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ
إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٢٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ
وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ
أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٧﴾

قيل: إن أم سلمة قالت: يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن بخير،

أفما فينا خير فنذكر به؟ فنزلت الآية^(١). وقيل: إنّ القائلة أسماء بنت عميس^(٢) لما رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب^(٣).

المسلم: الداخل في السلم، المنقاد غير المعاند، وقيل: المستسلم لأوامر الله، المفوض أمره إلى الله^(٤).

والمؤمن: المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به، والقانت: القائم بالطاعة الدائم عليها، والصادق: الذي يصدق في قوله وعمله ونيته، والصابر: الذي يصبر على الطاعة وعن المعصية، والخاشع: المتواضع لله بقلبه وجوارحه، والمتصدق: الذي يزكي ماله، والذاكر الله كثيراً: من لا يخلو من ذكر الله بقلبه أو بلسانه أو بهما. وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ((إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضأ وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات))^(٥). وعن الصادق عليه السلام: ((من بات على تسبيح فاطمة عليها السلام كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات))^(٦).

والمعنى: والحافظاتها والذاكراته، فحذف لأنّ الظاهر يدلّ عليه، وعطف

(١) تفسير الطبري ج ٢٢: ٨-٩.

(٢) أسماء بنت عميس بن معد النخعية، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له هناك محمداً وعبد الله وعوناً، فلما قتل جعفر في مؤتة تزوجها أبو بكر فولدت له محمداً، ثم مات عنها فتزوجها علي عليه السلام فولدت له يحيى. ينظر: الاستيعاب ج ٤: ٢٣٤.

(٣) أسباب النزول: ٢٥٢.

(٤) التبيان ج ٨: ٣٠٩.

(٥) سنن أبي داود ج ٢: ٣٣ ح ١٣٠٩.

(٦) مجمع البيان ج ٧-٨: ٣٥٨.

الإناث في الآية على الذكور من نحو قوله: ﴿ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾^(١) في أنها جنسان مختلفان إذا اشتركا في حكم فلا بد من أن يتوسط حرف العطف بينها. وأما عطف الزوجين على الزوجين فإنه من عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع، فكان معناه: إنّ الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعدّ الله لهم مغفرة.

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش الأسدية على زيد بن حارثة مولاه وكانت بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، فأبّت وأبى أخوها عبد الله بن جحش، فنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ ... الآية﴾^(٢). أي: ما صحّ لرجل ولا امرأة من أهل الإيمان إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الاختيار من أمرهم على اختيار الله لهم، بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه، والخيرة ما يتخير، فلما نزلت قالوا: رضيينا يا رسول الله، فأنكحها زيداً وساق عنه إليها مهرها عشرة دنانير وستين درهماً وخمراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مدّاً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر.

وقرئ: ﴿يَكُونُ﴾ بالتاء والياء.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بتوفيقك لعتقه ومحبه ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بها وفقك الله فيه من اختصاصه وتبنيّه وهو زيد بن حارثة.

﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني زينب بنت جحش، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أتى منزل زيد ذات يوم، فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر لها، فدفع رسول الله ﷺ الباب فوقع بصره عليها فقال: سبحان الله خالق النور، تبارك الله أحسن الخالقين، ورجع، فجاء زيد فأخبرته زينب بما كان، فقال لها: لعلك

(١) التحريم: ٥.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ٤٦.

وقعت في قلبه، فهل لك أن أطلقك؟ فقالت: أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني رسول الله ﷺ، فجاء زيد وقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك؟ أراك منها شيء؟ قال: لا، والله ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني، فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، ثم طلقها بعد، فلما اعتدت قال رسول الله: ما أجد أحداً أوثق في نفسي منك، أخطب علي زينب، قال زيد: فانطلقت فإذا هي تحمر عجينها، فلما رأيتها عظمت في نفسي حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أنّ رسول الله ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري وقلت: يا زينب أبشري، إنّ رسول الله ﷺ يخطبك، ففرحت بذلك، وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربّي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن ﴿زَوِّجْنَاهَا﴾ فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها، وما أوم على امرأة من نسائه ما أوم عليها، ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار^(١).

وقوله: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ يريد: لا تطلقها، وهو نهي تنزيه لا نهي تحريم؛ لأنّ الأولى أن لا يطلق، وقيل: أراد اتق الله فلا تدمها بالنسبة إلى الأذى والكبر.

وقوله: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ قيل: أخفى في نفسه أنّه إن طلقها زيد تزوّجها، وخشي لائمة الناس أن يقولوا: أمره بطلاقها ثم تزوّجها^(٢)، وقيل: إنّ الذي أخفاه هو أنّ الله سبحانه أعلمه أنّها ستكون من أزواجه وأنّ زيدا سيطلقها^(٣) فأبدى سبحانه ما أخفاه في نفسه بقوله: ﴿زَوِّجْنَاهَا﴾.

ولم يرد سبحانه بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ خشية التقوى، لأنّه صلوات

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٤٧.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ٤٨.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٢: ١١.

الله عليه كان يتقي الله حقّ تقاته ويخشاه فيما يجب أن يخشاه فيه، ولكن المراد خشية الاستحياء، لأنّ الحياء من الشيمة الكريمة، وقد يستحي الإنسان ويتحفظ من شيء هو في نفسه مباح حلال عند الله، لئلا يطلق الجهال الذين لا يعرفون حقائق الأمور ألسنتهم فيه، ألا ترى أنّهم إذا طعموا في بيوتهم كانوا يستأنسون بالحديث ولا يريمون^(١)، فكان يؤذيه قعودهم، ويصدّه الحياء أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت: ﴿إِنْ دَلَّكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾^(٢).

فأخبر الله سبحانه الناس بما كان يضمّره الرسول صلوات الله عليه وآله وعاتبه عليه، وكأنّه سبحانه أراد منه أن يقول لزيد: أنت أعلم بشأنك، أو يصمت عند قوله: أريد مفارقتها، ليكون ظاهره مطابقاً لباطنه، كما جاء في حديث إرادة رسول الله ﷺ قتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح وقد كان أهدر دمه قبل ذلك، واعترض عثمان له بالشفاعة: أنّ عباد بن بشر^(٣) قال له: يا رسول الله، كان عيني إلى عينك انتظار أن تومئ إليّ فأقتله، فقال ﷺ: ((إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تَكُونُ لَهُمْ خَائِنَةٌ الْأَعْيُنُ))^(٤) فلم يستجز الإشارة بقتل كافر وإن كان مباحاً.

والواو في ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ﴾، ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾: واو الحال، أي: تقول لزيد: أمسك عليك زوجك خفياً في نفسك إرادة أن لا يمسكها، وتخفي خاشياً مقالة الناس، وتخشى الناس حقيقة في ذلك بأن تخشى الله. أو واو

(١) يريمون: يبرحون. (الصحيح: مادة ريم)

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) عباد بن بشر بن وقش الانصاري الاشعري، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان ممن قتل كعب بن الأشرف، قتل يوم البيامة وهو ابن خمس وأربعين سنة. ينظر: الاستيعاب ج٢: ٤٥٢.

(٤) ينظر: سنن أبي داود ج٣: ٥٩ ح ٢٦٨٣.

العطف كأنه قيل: وإذ تجمع بين قولك: أمسك وإخفاء خلافه وخشية الناس.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ أي: فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وطاب عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْتُكُمَا﴾، وقراءة أهل البيت ﴿زَوَّجْتُهَا﴾ وعن الصادق عليه السلام: ((ما قرأتها على أبي إلا كذلك، إلى أن قال: وما قرأ عليّ على النبي ﷺ إلا كذلك)).

ثم بين سبحانه الغرض والمصلحة العامة في تزويجه إياها بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ أي: ضيق وإثم ﴿فِي﴾ أن يتزوجوا ﴿أَزْوَاجَ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ وهم الذين تبنّوهم ﴿إِذَا قَضَوْا﴾ من نسائهم ﴿وَطَرًا﴾ أي: بلغوا منهم حاجتهم وفارقوهم، فلا يجرونهم في تحريم النساء مجرى الابن من النسب أو الرضاع.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ جملة اعتراضية، أي: كان أمر الله الذي يريد أن يكونه مكوناً لا محالة. وروي أنّ زينب كانت تقول للنبي ﷺ: (إني لأدّل عليك بثلاث ليس من نسائك امرأة تدلّ بهن: جدّي وجدك واحد، وزوجنيك الله، والسفير جبرائيل عليه السلام)^(١).

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُلَاقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

﴿فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ أي: قسم الله وأوجب من التزوج بامرأة المتبنّى، ليطلحكم الجاهلية في الأدعياء، ومنه فرض لفلان في الديوان كذا.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ اسم وضع موضع المصدر المؤكد لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ كأنه قيل: سنَّ الله ذلك سنَّة في الذين خلوا من الأنبياء الماضين، وهو أن لا يخرج عليهم فيما أباح لهم الإقدام عليه من النكاح وغيره، وقد كان لداود مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ﴾ يحتمل الوجوه الثلاثة من الإعراب: الجر على الوصف للأنبياء، والرفع والنصب على المدح، أي: هم الذين يبَلِّغون، أو أعني الذين يبَلِّغون. وقرئ: رسالة الله.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ المنزل على أنبيائه ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ حكماً مبتوتاً وقضاء مقضياً.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فيما يتعلق بالتبليغ والأداء.

﴿وَكُنْ بِاللهِ حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف، وقيل: حافظاً لأعمال خلقه محاسباً مجازياً عليها^(١).

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي: لم يكن أباً لرجل منكم على الحقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح.

﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة، فكان حكمه حكمهم.

﴿وَحَاتَمَ الْيَتِيمَ﴾ آخرهم، ختمت النبوة به، فشريعته باقية إلى آخر الدهر. وكان صلوات الله عليه أباً للحسن والحسين لقوله: ((ابناني هذان إمامان قاما أو

قعدا))^(١) وهما من رجاله لا من رجالهم. وقري: خاتم النبيين بفتح التاء بمعنى الطابع.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿١١﴾ وَسَيَحُوهُ بُكْرُهُ
وَاصِيلًا ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٣﴾ تَجِيئُهُمْ
يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَّاعَدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ
وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللهِ فَضْلًا كَثِيرًا
﴿١٧﴾ وَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرَيْنَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى
اللهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٨﴾

﴿اَذْكُرُوا اللهَ﴾ أثنوا عليه بضروب الثناء من التحميد والتهليل والتمجيد والتسبيح والتكبير، وأكثروا ذلك. وعن الصادق عليه السلام: ((من سبَّح تسبيح فاطمة عليها السلام فقد ذكر الله ذكرًا كثيرًا))^(٢). وعنهم عليه السلام: ((من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثلاثين مرة فقد ذكر الله كثيرًا))^(٣).

﴿وَسَيَحُوهُ﴾ التسبيح من جملة الذكر، واختصه من بين أنواعه اختصاص جبرئيل وميكائيل من بين الملائكة، لبيّن فضله على سائر الأذكار، لأنّ معناه: تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال، ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات، فإنّ كل طاعة من جملة الذكر.

(١) الإرشاد: ٢٢٠.

(٢) معاني الأخبار: ١٨٦.

(٣) تهذيب الأحكام ج ٢: ١٠٧.

ثم خصّ من ذلك التسبيح ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وهو الصلاة في جميع أوقاتها؛ لفضل الصلاة على غيرها، أو صلاة الفجر والعشاءين لأنّ أداءها أشق، ومراعاتها أشدّ.

ولما كان من شأن المصلي أن ينعطف وينحني في ركوعه وسجوده استعير لمن انعطف على غيره حنواً عليه، واستعمل في الرحمة والترؤف، ومنه قولهم: صلى الله عليه وآله وسلم، أي: ترخّم عليه وترأف. وأما صلاة الملائكة فهي قولهم: اللهم صلّ على المؤمنين، جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة. ونظيره قولهم: حيّاك الله، أي: أحيّاك وأبقاك، وحييته، أي: دعوت له بأن يحييه الله ويبقيه، لأنّه لا تكاله على إجابة دعوته كأنّه يبقيه على الحقيقة، وعليه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) أي: ادعوا الله بأن يصلي عليه.

والمعنى: هو الذي يترخّم عليكم ويترأف حيث يأمركم بإكثار الخير والتوفّر على الطاعة، ليخرجكم من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة. وفي قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ دلالة على أنّ المراد بالصلاة الرحمة.

﴿يَحْيِيهِمْ﴾ هو من باب إضافة المصدر إلى المفعول، أي: يحيون يوم لقائه بسلام، وعن البراء بن عازب^(٢): (لا يقبض ملك الموت روح مؤمن إلا سلم

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري، شهد مع النبي ﷺ أربع عشرة غزوة وقيل خمس عشرة، شهد مع عليّ ﷺ الجمل وصفين وقتال الخوارج، نزل الكوفة ومات في إمارة مصعب بن الزبير. ينظر: الإصابة ج ١: ١٤٢، معجم رجال الحديث ج ٣: ٢٦٩.

عليه^(١). وقيل: هو سلام الملائكة عند الخروج من القبور^(٢)، وقيل: عند دخول الجنة^(٣)، كما قال: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٤). والأجر الكريم: الجنة.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك فيما يفعلونه، مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل، وهو حال مقدرة كمسألة الكتاب: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً^(٥)، أي: مقدراً به الصيد غداً.

﴿بِإِذْنِهِ﴾ مستعار للتسهيل والتيسير، وفيه إيدان بأن دعاء أهل الشرك إلى التوحيد والشرائع أمر صعب لا يتسهل إلا بتيسير الله.

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ يهتدى بك في الدين كما يهتدى بالسراج في ظلام الليل، أو يمدّ بنور نبوتك نور البصائر كما يمدّ بنور السراج نور الأبصار.

والفضل الكبير: الزيادة على ما يستحقونه من الثواب، ويجوز أن يكون المراد أنّ لهم فضلاً كبيراً على سائر الأمم.

﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ﴾ معناه: الدوام على ما كان عليه أو التهييج.

﴿وَدَعَا أَذْنَهُمْ﴾ أي: ودع أن تؤذيههم بضرب أو قتل وخذ بظاهرهم، وحسابهم على الله، ويكون المصدر مضافاً إلى المفعول. قيل: وذلك قبل أن يؤمر

(١) الدر المنثور ج ٥: ٢٠٦.

(٢) عن أبي حمزة الثمالي. الكشف والبيان ج ٨: ٥٢.

(٣) عن الكلبي. تفسير السمرقندي ج ٣: ٦١.

(٤) الرعد: ٢٣، ٢٤.

(٥) الكتاب ج ٢: ٤٩.

بالمقاتل^(١)، وقيل: معناه: ودع ما يؤذونك به، فيكون مضافاً إلى الفاعل^(٢).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنه يكفيكم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ كافياً مفوضاً إليه.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥١﴾ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَنَبَاتٍ عِمَكَ وَنَبَاتٍ عَمَلَيْكَ وَنَبَاتٍ خَالِكَ وَنَبَاتٍ خَلَلَيْكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِنَّ فِي أَزْوَاجِهِنَّ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٢﴾

﴿تَعُدُّوهنَّ﴾ تستوفون عددها من قولك: عددت الدراهم فاعتدها، وكلت الشيء فاكثاله. وفيه دليل على أن العدة حق واجب للرجال على النساء.

﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ إذا لم تفرضوا لهن صداقاً.

﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار ولا منع واجب.

﴿أَجُورُهُنَّ﴾ أي: مهورهن، لأن المهر أجر على البضع، وإيتاؤها: إعطاؤها عاجلاً وفرضها وتسميتها في العقد. وقد اختار الله عز وجل لرسوله الأفضل والأولى وهو تسمية المهر في العقد وسوق المهر إليها عاجلاً، فإنه أفضل من أن يسميه ويؤجله، ولذلك كان التعجيل ديدنهم وستتهم. وكذلك الجارية إذا

(١) عن الكلبي. تفسير الماوردي ج ٤: ٤١١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٢٣١.

كانت سبية مالکها ومما غنمه الله من دار الحرب كانت أحلّ وأطيب مما يشتري، وذلك قوله: ﴿وَمِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾.

وكذلك النساء ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ﴾ مع رسول الله ﷺ من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه.

وأحللنا لك ﴿أَمْرًا﴾ مصدقة بتوحيد الله ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا﴾ لك بغير صداق إن أثر النبي نكاحها ورغب فيها ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ أي: خاصة لك.
﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا يحل لغيرك وهو لك حلال.

شرط سبحانه في الإحلال هبتها نفسها، وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله ﷺ، وهو أن يطلب نكاحها ويرغب فيه، فكأنه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها، لأن إرادته هي قبول الهبة، وعدل عن الخطاب إلى الغيبة للإيدان بآته مما خص به، ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن هذا الاختصاص تكرامة له لأجل النبوة، وتكريره تقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته.

﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد، مثل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾^(١)، و﴿صَبَغَهُ اللَّهُ﴾^(٢)، أي: خلص لك إحلال ما أحللنا لك خالصة، بمعنى خلوصاً.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا﴾ على المؤمنين ﴿فِي أَرْوَاجِهِمْ﴾ وإمائهم وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم، وأثرناك بالاختصاص بها خصصناك به ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ أي: ضيق في دينك ودنياك.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوب عباده ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة عليهم.

(١) يونس: ٤.

(٢) البقرة: ١٣٨.

تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى إِلَيْكَ مِنْ نَشَاءٍ وَمِنْ أَبْغَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ
وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ
تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَأْتِيهَا الذِّبَرُ ؕ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا
بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِذٍ إِنَّهُ
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْشَرُوا وَلَا مُسْتَفْسِدِينَ
لِلْحَدِيثِ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ
لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ
حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خِفَوْهُ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

﴿تُرْجَى﴾ بهمز وغير همز، تؤخر ﴿وَتُقْوَى﴾ تضم، يعني: ترك مضاجعة من
نشاء منهن وتضاجع من نشاء، أو تطلق من نشاء وتمسك من نشاء، أو لا تقسم
لأيتهن شئت، وتقسم لمن شئت. وكان ﷺ يقسم بين أزواجه فأبيح له ترك ذلك -
أو ترك تزوج من شئت من نساء أمتك، وتزوج من شئت، وكان ﷺ إذا خطب
امراة لم يكن لغيره أن يخطبها حتى يدعها، وروي أن عائشة قالت: (إني أرى ربك
يسارع في هواك!) ^(١)

﴿وَمِنْ ابْتِغَايَ﴾ أن تضمّها إليك ﴿مَمَّنْ﴾ عزلتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في ابتغائها، ﴿ذَلِكَ﴾ التفويض إلى اختيارك ومشيتك ﴿أَدَقَّ﴾ إلى قرّة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعاً، لأنّه إذا سوى بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء، ولم يكن لإحداهن مما تريد ومما لا تريد إلا مثل ما للأخرى، وعلمن أنّ هذا التفويض من عند الله سكنت نفوسهن، وذهب التنافس، وحصل التراضي.

﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد لنون ﴿وَبَرَضِينَ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فيه وعيد لمن لم يرض منهن بما فوض الله إلى مشيئة رسوله، وبعث على طلب رضاه ﷺ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ بمصالح عباده ﴿حَلِيماً﴾ لا يعاجلهم بالعقوبة. وقرئ: ﴿لَا يَحِلُّ﴾ بالتاء والياء. أي: لا تحلّ ﴿لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ النساء اللواتي أحللناهن لك من الأجناس، من اللواتي أعطيت مهورهن، ومن المهاجرات القرائب، ومن الإماء المسبية، ومن وهبت نفسها له بجميع ما شاء من العدد.

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ أي: بالمسلّمات الكتابيات، لأنّه لا ينبغي أن يكن أمهات المسلمين ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الكتابيات، وقيل: إنّ التبدّل المحرّم هو ما كان يفعل في الجاهلية، يقول الرجل للرجل: بادلني بامرأتك أبادلك بامرأتي، فينزّل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه^(١). ويحكى أنّ عيينة بن حصين^(٢) دخل على النبي ﷺ وعنده عائشة من غير استئذان، فقال رسول الله ﷺ: ((يا عيينة، أين الاستئذان؟ قال: يا رسول الله، ما استأذنت على رجل قط منذ أدركت، ثم قال: من هذه الجميلة إلى

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٥٦.

(٢) عيينة بن حصين بن حذيفة الفزاري، كان من المؤلفة قلوبهم، أسلم قبل الفتح وشهده وشهد حينئذ والطائف، عاش إلى زمن عثمان. ينظر: الإصابة ج ٣: ٥٤.

جنبك؟ فقال ﷺ: ((هذه عائشة بنت أبي بكر))، قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن نساء الخلق؟ قال ﷺ: ((قد حرّم ذلك))، فلما خرج قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ فقال: ((أحق مطاع، وإنه على ما ترين لسيد قومه))^(١).

وقيل: معناه: لا يحلّ لك النساء من بعد نساءك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله وهن التسع، ولا أن تستبدل بهن أزواجاً آخر^(٢).

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ واستثنى ممن حرم عليه الإماء.

﴿أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في معنى الظرف، تقديره: إلا وقت أن يؤذن لكم.

﴿غَيْرِ نَظِيرِينَ﴾ حال من ﴿لَا تَدْخُلُوا﴾ وقع الاستثناء على الوقت والحال معاً، كأنه قال: لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين. وهؤلاء قوم كانوا يتحيتون [أي: يتعرضون]^(٣) طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه. والمعنى: لا تدخلوا يا هؤلاء المتحيتون إلا أن يؤذن لكم إلى طعام، وإلا فلو لم يكن هؤلاء خصوصاً لما جاز لأحد أن يدخل بيوت النبي ﷺ إلا أن يؤذن له إذناً خاصاً إلى طعام فحسب.

﴿وَإِنَّهُ﴾ إدراكه ونضجه، يقال: أنى الطعام إنى، وقيل: إناه: وقته^(٤)، أي: غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله.

وروي: أن رسول الله ﷺ أولم على زينب بتمر وسويق وذبح شاة وأمر أنساً أن يدعو أصحابه، فترادفوا أفواجاً، يأكل فوج فيخرج، ثم يدخل فوج، إلى أن

(١) معاني الأخبار: ٢٦٠، سنن الدارقطني ج٣: ٢١٨.

(٢) عن قتادة. تفسير الطبري ج٢٢: ٢١.

(٣) ساقطة من ج، د.

(٤) الكشف والبيان ج٨: ٥٨.

قال: يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقال: ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا، فقام رسول الله ﷺ ليخرجوا، فطاف بالحجرات ورجع فإذا الثلاثة جلوس مكانهم، وكان صلوات الله عليه شديد الحياء فتولى، فلما رآوه متولياً خرجوا، فرجع ونزلت الآية^(١).

﴿مُسْتَفْسِينَ﴾ مجرور عطف على: ﴿نَظَرِينَ﴾، أو منصوب على ولا تدخلوها ﴿مُسْتَفْسِينَ﴾ أي: يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به، أو مستأنسين حديث أهل البيت، واستثناسه: تسمعه وتوجهه.

ولا بد في قوله: ﴿فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ﴾ من تقدير مضاف، أي: من إخراجكم، بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ومعناه: إن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحي منه، ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الأفعال قيل: والله لا يستحي من الحق، بمعنى: لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحي منكم، وهذا أدب أدب الله به الثقلاء. وعن عائشة قالت: (حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: (فإذا طعمتم فانتشروا))^(٢).

والضمير في ﴿سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ لنساء النبي ﷺ، ولم يذكروا لأن الحال ينطق بذكرهن ﴿فَتَلَوُهُنَّ﴾ المتاع. وقيل: إن رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصاب يد رجل منهم يد عائشة، فكره النبي ﷺ ذلك، فنزلت آية الحجاب^(٣). وروي أن بعضهم قال: أنهي أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء

(١) أسباب النزول: ٢٥٤.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ٥٩.

(٣) عن مجاهد. تفسير الطبري ج ٢٢: ٢٨.

الحجاب؟! لئن مات محمد لأتزوجن عائشة^(١). وعن مقاتل: هو طلحة بن عبيد الله فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾^(٢). أي: وما صحّ لكم إيذاء رسول الله ولا نكاح ﴿أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

وسمى نكاحهن بعده ﴿عَظِيمًا﴾ تعظيماً لرسول الله ﷺ، وإيجاباً لحرمته حياً وميتاً عليه أفضل الصلاة والسلام.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾ من نكاحهن على ألسنتكم ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ في صدوركم فإن الله يعلم ذلك.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ
وَأَقْفَيْنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا
بُهْتَنَا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ﴿٥٨﴾

لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ﷺ: أو نحن أيضاً نكلّمهن من وراء حجاب؟ فنزلت^(٣).

أي: لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن عن هؤلاء، ولم يذكر العم والخال لأنهما

(١) أسباب النزول: ٢٥٥.

(٢) معالم التنزيل ج٣: ١٨٣.

(٣) الكشف والبيان ج٨: ٦٠.

يجريان مجرى الوالدين، وقد سمى الله العم أبا في قوله: ﴿وَاللهَ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾^(١) وإسماعيل عم يعقوب. وقيل: كره ترك الاحتجاب عنهما لأنهما يصفانهن لأبنائهما، وأبناؤهما غير محارم^(٢).

﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ في نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب دلالة على فضل تشديد فيها أمرن به من الاحتجاب والاستتار، أي: واسلكن طريق التقوى فيها أمرتن به واحتطن فيه.

وكان الله ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من السرّ والعلن، وظاهر الحجاب وباطنه ﴿شَهِيدًا﴾ لا تتفاوت الأحوال في علمه.

صلاة الله على النبي ﷺ هي ما يفعله به من إعلاء درجاته ورفع منازلته وتعظيم شأنه وغير ذلك من أنواع كراماته، وصلاة الملائكة عليه مسألتهم الله عز اسمه أن يفعل به مثل ذلك.

﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ أي: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم.

﴿وَسَلِّمُوا﴾ له في الأمور ﴿تَسْلِيمًا﴾ أي: انقادوا لأمره وأطيعوه، أو سلموا عليه بأن تقولوا: السلام عليك يا رسول الله.

﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أذى الله تعالى عبارة عن أذى رسوله وأوليائه، وإنما أضافه إلى نفسه مبالغة في تعظيم المعصية. وعن عليّ عليه السلام: ((حدثني رسول الله ﷺ وهو [أخذ بشعره فقال: من أذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله،

(١) البقرة: ١٣٣.

(٢) عن عكرمة. الدر المنثور ج ٥: ٢١٥.

ومن آذى^(١) الله فعليه لعنة الله^(٢)). وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات بعد أن أطلق إيذاء الله ورسوله، لأنّ إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا بغير حقّ أبداً.

ومعنى ﴿بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ بغير جناية أو استحقاق للأذى.

﴿بِهَتْنًا﴾ أي: كذباً، أي: فعلوا ما هو في الإثم مثل البهتان، يعني بذلك

أذية اللسان.

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ
مِنْ جُلُوسِهِنَّ ذَلِكَ أَذَى أَنْ تُعْرَفَنَ فَلَا يُوْذَنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّيْنٌ لِّرَبِّهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ
وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحْكَوْنَ رُونَكَ
فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا
نَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

الجلباب: ثوب واسع، أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها. وعن ابن عباس: (الرداء الذي يستر من فوق إلى أسفل)^(٣)، وقيل: الجلباب: الملحفة وكل ما يتستر به من كساء أو غيره^(٤). قال الشاعر:

(١) ساقطة من ج.

(٢) شواهد التنزيل ج٢: ٩٨. أمالي الصدوق: ٢٧١.

(٣) الكشف ج٣: ٥٥٩.

(٤) لسان العرب: مادة جلب.

مُجَلَّبٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جَلْبَابًا^(١)

ومعنى ﴿يُدْنِيكَ عَنْكَ مِنْ جَلْبَابٍ﴾: يرخيها عليهن ويغطين بها وجوههن وأعطافهن، يقال إذا زل الثوب عن وجه المرأة: أدنى ثوبك على وجهك. وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على عاداتهن في الجاهلية مبتذلات يبرزن في درع وخمار، لا فرق بين الحرّة والأمة، وكان أهل الشطارة والريبة يتعرضون للإماء، فربما تعرضوا للحرّة بعلّة الأمة. فأمرن أن يخالفن بزينة عن زي الإماء لئلا يطمع فيهن طامع، وذلك قوله: ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرِفَ فَلَا يُؤْذَنَ﴾ أي: أقرب إلى أن لا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن. و(من) في: ﴿مِنْ جَلْبَابٍ﴾ للتبعية، بمعنى: تجلبين ببعض جلابيهن أو يرخين بعض جلابيهن على الوجه.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لما سلف منهن في ذلك.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: ضعف في الإيمان، وقيل: هم الزناة وأهل الفجور^(٢)، من قوله: ﴿قَبِطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(٣).

﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ بالأخبار المضعفة لقلوب المسلمين عن سرايا النبي ﷺ، يقولون: هزموا وقتلوا، وأصله من الرجفة، وهي الزلزلة لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت. والمعنى: لئن لم ينته المنافقون من عداوتهم وكيدهم، والفسقة عن إيذاء النساء، والمرجفون عما يؤلفونه^(٤) من أخبار السوء، لتأمرنك بأن تفعل

(١) ديوان الخنساء: ٧، وفيه: يعدو به سابح نهد مراكله مجلبب بسواد

(٢) في ب: يترددن.

(٣) عن عكرمة وغيره. تفسير الطبري ج ٢٢: ٣٤.

(٤) الأحزاب: ٣٢.

(٥) في ب: يقولوه، وفي د: يقولونه.

بهم ما يسوؤهم وينوؤهم ويضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة، ثم لا يساكنونك في المدينة إلا زماناً قليلاً، فسُمي ذلك إغراء وهو التحريش على سبيل المجاز.

﴿مَلْعُونَيْكَ﴾ نصب على الشتم أو الحال، أي: ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ إلا ملعونين. دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً، كما مر ذكره في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾^(١).

وقيل: إِنَّ ﴿قَلِيلًا﴾ منصوب على الحال أيضاً، أي: أقلاء أذلاء^(٢)، و﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عطف على ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ﴾، فهو جواب آخر للقسم.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد، أي: سنّ الله في الدين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا أيها ثقفوا.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ
السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا
﴿١٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ﴿١٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١٦﴾
وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا
ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ
اللَّهِ وَجْهًا ﴿١٩﴾

كان المشركون يسألون ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ ووقت قيامها استعجالاً على سبيل الإنكار، واليهود يسألون عن ذلك امتحاناً، فأمر رسول الله ﷺ بأن يجيبهم بأنه

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٢٣٦.

علم قد استأثر الله به، ثم قال: لعلها ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ مجيئها، أو شيئاً قريباً، أو في زمان قريب.

والسعر: النار المسعورة.

وتقليب الوجوه معناه: تصریفها في الجهات، كما أَنَّ البضعة من اللحم تدور في القدر من جهة إلى جهة إذا استجمعت غلياً، أو تغييرها عن أحوالها، أو طرحها في النار منكوسين مقلوبين. وخصّ الوجوه بالذكر لأنّ الوجه أكرم الأعضاء، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة.

وانتصب ﴿يَوْمَ﴾ بـ ﴿يَقُولُونَ﴾ أو بـ (اذكر)، و﴿يَقُولُونَ﴾ حال.

وقرئ: ﴿سَادَتَنَا﴾ وساداتنا وهم رؤساء الكفرة الذين أضلّوهم، وزيادة الألف لإطلاق الصوت، جعل فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والدلالة على أنّ الكلام قد انقطع، وأنّ ما بعده مستأنف.

وقرئ ﴿كَبِيرًا﴾ بالباء والياء، والكثرة أشبه بالموضع لأنّهم يلعنون مرة بعد مرة، والكبير بمعنى: الشديد العظيم.

أي: ﴿ءَاتَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ ضعفاً لضلالهم وضعفاً لإضلالهم.

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ قيل: نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه مما قاله بعض الناس. وقيل: في أذى موسى عليه السلام. هو حديث المومسة التي حملها قارون على قذفه بنفسها^(١). وقيل: اتّهامهم إيّاه بقتل هارون، وقد كانا صعدا الجبل فمات هارون، فحملته الملائكة ومروا به على بني إسرائيل ميتاً، حتى عرفوا أنّه قد

(١) عن أبي العالية. معالم التنزيل ج ٣: ١٨٥.

مات ولم يقتل^(١). وقيل: قذفوه بعيب في جسده، من برص أو أدره^(٢)، فأطلعهم الله على أنه بريء منه^(٣).

﴿وَجِئَها﴾ ذا جاء ومنزلة عنده، فلذلك كان يميظ عنه التهم، ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم، كما يفعل الملوك بمن له عندهم وجاهة.

والمعنى: ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ﴾ من قولهم أو من مقولهم، فيكون ما مصدرية أو موصولة. والمراد بالقول أو المقول مضمونه ومؤداه، وهو الأمر المعيب، كما سَمَّوا السبة بالقالة، والقالة بمعنى القول.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: قاصداً إلى الحق، والسداد: القصد إلى الحق والقول بالعدل، يقال: سدد السهم نحو الرمية، كما قالوا: سهم قاصد. وقيل: إن المراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير عدل في القول^(٤)، وهو بعث

(١) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج ٥: ٢٢٤.

(٢) الأدره: نفخة في الخصى. (الصحاح: مادة أدر)

(٣) عن أبي هريرة مرفوعاً. تفسير الطبري ج ٢٢: ٣٧.

(٤) عن ابن حيان. الكشف والبيان ج ٨: ٦٧.

على أن يسدّ قولهم في كل باب، لأنّ حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله. والمعنى: احفظوا ألسنتكم وسددوا قولكم، فإنكم إذا فعلتم ذلك أعطاكم الله غاية مطلوبكم من تزكية أعمالكم، وتقبل حسناتكم، ومغفرة سيئاتكم.

ولما علّق سبحانه طاعته وطاعة رسوله بالفوز العظيم أتبعه قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ وهو يريد بالأمانة: الطاعة، فعظّم أمرها. والمعنى: إنّ هذه الأجرام العظام قد انقادت لأمر الله فلم تمتنع على مشيئته إيجاداً وتكويناً وتسوية على أشكال متنوعة وصفات مختلفة، وأما الإنسان فلم يكن حاله فيما يصحّ منه من الطاعة ويليق به من الانقياد [لأوامر الله ونواهيه]^(١)، وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصحّ منها من الانقياد وعدم الامتناع.

والمراد بالأمانة: الطاعة لأنّها لازمة الأداء، وعرضها على الجمادات وإبائها وإشفاقها مجازاً، وأما حمل الأمانة فمن قولك: فلان حامل الأمانة ومحتمل لها، تريد لا يؤديها إلى صاحبها حتى يخرج من عهدها، لأنّ الأمانة كأنّها راكبة للمؤمن عليها، فإذا أداها لم تبق راكبة له ولم يكن هو حاملاً لها.

فالمعنى: ﴿فَأَيُّبَ﴾ أن لا يؤديها وأبى الإنسان إلا أن يكون محتملاً لها لا يؤديها، ثم وصفه بالظلم لكونه تاركاً لأداء الأمانة، وبالجهل لإغفاله ما يسعده مع تمكّنه من ذلك بأن يؤدي الأمانة.

واللام في ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ لام التعليل على طريق المجاز، لأنّ التعذيب نتيجة حمل الأمانة، كما أنّ التأديب في قولك: ضربته للتأديب نتيجة الضرب، أي: ليُعَذِّبَ الله حامل الأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ﴾ على غيره ممن لم يحملها، لأنّه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعاً من عذاب الغادر.

سورة سبأ

مكية وهي أربع وخمسون آية.

وفي حديث أبي: ((ومن قرأ (سورة سبأ) لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رقيقاً ومصافحاً))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ الحمدتين جميعاً (سبأ وفاطر) في ليلة لم يزل في ليلته في حفظ الله وكلاءته، فإن قرأهما في نهاره لم يصبه فيه مكروه، وأُعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغه مناه))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي
الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ① يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ
② وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ
عَلِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ③
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٦٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠.

وَرَزَقَ كَرِيمٌ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلة نعمة من الله، فكأنه سبحانه وصف نفسه بالإنعام بجميع النعم الدنيوية، فمعناه: إنه المحمود على نعم [الدنيا]. ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ إيدان بأنه المحمود على نعم^(١) الآخرة، وهي الثواب الدائم والنعيم المقيم.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم أمور الدارين ﴿الْحَكِيمُ﴾ بكل كائن وبكل ما سيكون.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من مطر أو كنز أو ميت ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات أو جوهر أو حيوان ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من ملك أو مطر أو رزق، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: ما يصعد من الملائكة وأعمال العباد.

﴿وَهُوَ﴾ مع كثرة نعمه وسبوغ فضله ﴿الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ لعباده المقصرين في أداء الواجب من شكره.

قال منكرو البعث: ﴿لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ﴾ وهو نفى أو استبطاء على طريق الهزاء.

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾ أوجب ما بعد النفي بـ ﴿بَلَىٰ﴾ على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أكده بالقسم بالله عز وجل، ثم أكد التوكيد القسمي بما أتبعه من وصف المقسم به بأنه ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ﴾ لا يفوته ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ فيندرج تحته علمه بوقت قيام الساعة.

ثم أتبع القسم الحجة القاطعة وهو ﴿لَيَجْزِيَنَّكَ﴾ لأنه ركب في العقول أن المحسن لا بد له من ثواب، والمسيء مستوجب العقاب، فاتصل ﴿لَيَجْزِيَنَّكَ﴾ بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تعليلاً له.

وقرى: ﴿عَلَيْهِ الْغَيْبُ﴾ وعلام الغيب بالجر صفة لـ ﴿رَبِّ﴾ وقرئ: ﴿عَلَيْهِ﴾ بالرفع على المدح، [و﴿لَا يَعْزُبُ﴾ بالضم والكسر من العزوب، وهو البعد]^(١).

﴿وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ ذلك إشارة إلى ﴿مِثْقَالُ﴾، وارتفع ﴿أَصْغُرُ﴾ على أصل الابتداء، وهو كلام منقطع عما قبله، ولا يجوز أن يكون ﴿أَصْغُرُ﴾ عطفاً على ﴿مِثْقَالُ﴾ لأن حرف الاستثناء يأباه.

﴿سَعَوْفِيَّ عَيْنَيْنَا﴾ أي: عملوا بجهدهم في إبطال حججنا وبيّناتنا مقدّرين إعجاز ربهم، أو طائنين أنهم يفوتونه. وقرئ: معجزين، وقد مرّ ذكره في سورة الحج^(٢). [وقرى: ﴿أَلَيْسَ﴾ بالرفع والجر. والرجز: أسوأ العذاب، والجر في (أليم) أبين صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾]^(٣).

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْتَسِكُمْ إِذَا مِزْقَتُهُ كُلُّ مِمَزَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

(١) ساقطة من ب، ج.

(٢) الآية: ٥١

(٣) ساقطة من د.

إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ
السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿١﴾

﴿رَبِّ﴾ في موضع الرفع، أي: ويعلم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم أصحاب رسول الله، أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ... الْحَقُّ﴾ وهما مفعولان لـ ﴿رَبِّ﴾ وهو فصل. وقيل: ﴿وَبَرِّ﴾ في موضع النصب عطفاً على ﴿لِيَجْزِيَ﴾^(١)، أي: وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحقّ علماً لا يتخالجه ريب، و﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ هو القرآن.

﴿وَيَهْدِي﴾ القرآن ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ على جميع أفعاله وهو الله سبحانه.

والعامل في ﴿إِذَا﴾ ما دلّ عليه قوله: ﴿إِنَّا لَنَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وقد مرّ نظيره^(٢)، والممّرّق مصدر أو مكان.

وأسقطت الهمزة في قوله: ﴿أَفَتَرَى﴾ دون قوله: (السحر) وكلتاها همزة وصل، لأنّ القياس طرحها، ولكن لم تطرح هناك لخوف التباس الاستفهام بالخبر، لكون همزة الوصل مفتوحة، وهي مكسورة هنا فلا التباس، أي: أهو مفتر ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فيما نسب إليه ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون يوهمه ذلك.

ثمّ قال: ليس محمّد من الافتراء والجنون في شيء، ﴿بَلِ﴾ هؤلاء الكافرون بالبعث واقعون ﴿فِي﴾ عذاب النار ﴿وَالضَّلَالِ﴾ عن الحقّ وذلك أجن الجنون، ولما كان العذاب من لوازم الضلال جعلاً كأنّهما مفتريان^(٣).

(١) إعراب القرآن ج ٣: ٣٣٢.

(٢) السجدة: ١٠.

(٣) في د: مقترنان.

ووصف الضلال بـ ﴿الْبَعِيدِ﴾ من الإسناد المجازي، لأن البعيد صفة الضال إذا بعد عن الجادة.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أعموا فلم ينظروا إلى ﴿السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وأنها - حينما كانوا - محيطان بهم لا يقدر أن ينفذوا من أقطارهما؟ وقيل: أفلم يتفكروا فيها ولم يستدلوا بذلك على قدرتنا^(١).

ثم ذكر سبحانه قدرته على إهلاكهم بأن يخسف ﴿بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ كما خسف بقارون، أو يسقط ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قطعة ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ النظر إلى السماء والأرض والفكر فيها لدلالة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ﴾ مطيع لله راجع إليه. وقرئ: ﴿إِنْ نَشَأْ﴾ و﴿نَخِيفُ﴾ و﴿سُقِطَ﴾ بالياء والنون في الجميع، وأدغم الكسائي الفاء في الباء في ﴿نَخِيفُ بِهِمْ﴾ وليس بقوي.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أَوِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلُنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدِرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ غُدُوَهَا شَهْرًا وَرَوْاحُهَا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ

كَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١١﴾

﴿يَنْجِبَالٌ﴾ إما أن يكون بدلاً من ﴿فَضْلًا﴾، وإما من ﴿ءَانَيْنَا﴾ بتقدير قولنا: يا جبال، أو قلنا: ﴿يَنْجِبَالٌ أَوِيٌّ﴾ من التأويب، أي: رجعي معه التسييح، ويجوز أن يكون الله سبحانه خلق فيها تسييحاً كما خلق الكلام في الشجرة، فيسمع من الجبال التسييح كما يسمع من المسيح معجزة لداود.

وقرى: ﴿وَالطَّيْرَ﴾ رفعا ونصباً عطفاً على لفظ الجبال ومحلاً. وجوزوا أن ينتصب بالعطف على ﴿فَضْلًا﴾ بمعنى: وسخرنا له الطير، أو على أنه مفعول معه. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ وجعلناه له ليناً كالطين والشمع يصرفه بيده كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرفة.

﴿أَنِ اعْمَلْ سَنِيعَتٍ﴾ أي: دروعاً واسعة صافية، وهو أول من اتخذها^(١)، وكانت قبل صفائح.

﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّدِ﴾ أي: في نسج الدروع، فلا تجعل مساميرها دقاقاً فتغلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق.

﴿وَأَعْمَلُوا﴾ الضمير لداود وأهله.

وسخرنا ﴿لِلْمَلِيَّتَيْنِ الرِّيحَ﴾ وقرئ: الريح بالرفع، أي: وللسليمان الريح مستخرة، أو وله تسخير الريح.

﴿غَدُوْهَا شَهْرٌ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر، وجريها بالعشي كذلك.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي: أذنبنا له معدن النحاس وأظهرناه له، ينبع كما ينبع الماء من العين، فلذلك سماه: عين القطر تسمية بما آل إليه، كما قال: ﴿إِنِّي

(١) في ج: أحدثها.

أَرَانِي أَغْصِرُ خَمْرًا^(١)، وسخرنا له ﴿مِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ﴾ بحضرته ما يأمرهم به من الأعمال.

﴿وَمَن يَزِغْ﴾ أي: ومن يعدل ﴿مِنْهُمْ﴾ عما أمرناهم به من طاعة سليمان ﴿نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة، وقيل: في الدنيا، وقد وكل الله به ملكاً بيده سوط يضربه ضربة تحرقه^(٢).

والمحاريب: البيوت الشريفة، وقيل: هي المساجد والقصور يتعبد فيها^(٣).
﴿وَمَعْنِيْلٌ﴾ قيل: كانت غير صور الحيوان، كصور الأشجار وغيرها، لأن التمثال: كل ما صور على صورة غيره من حيوان وغير حيوان، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام^(٤). وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسیه ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما من الشمس^(٥).

والجوابي: الحياض الكبار لأن الماء يجيى فيها أي: يجمع. جعل الفعل لها مجازاً وهي من الصفات الغالبة كالدابة، والقياس أن تثبت الباء فيه، ومن حذف الباء في الوقف أو في الوصل والوقف فلائنه مشبه بالفاصلة.

﴿اعْمَلُوا﴾ حكاية ما قيل لآل داود، وانتصب ﴿شُكْرًا﴾ على أنه مفعول له، والمعنى: اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمه، وفيه دلالة على أنّ العبادة

(١) يوسف: ٣٦.

(٢) عن يحيى بن سلام. تفسير الماوردي ج ٤: ٤٣٨.

(٣) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٢٢: ٤٩.

(٤) الكافي ج ٦: ٥٢٧.

(٥) العرائس: ١٨٠.

يجب أن تؤدى على وجه الشكر، أو على الحال، أي: شاكرين أو على تقدير: اشكروا شكراً، لأنّ اعملوا فيه معنى الشكر من حيث أنّ العمل للمنعم شكر له.

و﴿الشَّكُورُ﴾: المتوفر على أداء الشكر، الباذل وسعه فيه، وقد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقاداً واعترافاً وكدحاً.

﴿فَلَمَّا﴾ حكمنا على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ ما دلّ الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ وهي الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتُهُ﴾ وهي العصا الكبيرة يسوق بها الراعي غنمه، من: نسأته أي زجرته، وقرئ: منسأته بتخفيف الهمزة.

﴿تَبَيَّنَ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر وتجلي، و﴿أَنَّ﴾ مع صلتها بدل من ﴿الْجِنِّ﴾ وهو بدل الاشتغال، تقول: تبين زيد جهله. أي: ظهر أنّ الجن ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، أو علم الجن كلهم علماً بيناً بعد التباس الأمر على عامتهم وتوهمهم أنّ كبارهم يعلمون الغيب، وعندهم: تبينت الإنس، وهو قراءة أبيّ، ويكون الضمير في ﴿كَانُوا﴾ للجن في قوله: ﴿وَمَنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: علمت الإنس أن لو كان الجن [يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب ما لبثوا، وفي قراءة ابن مسعود: تبينت الإنس أن الجن] ^(١) لو كانوا يعلمون. وكان عمر سليمان ثلاثاً وخسين سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فمدة ملكه أربعون سنة ^(٢).

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾
فَاعْرُضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ

(١) ساقطة من د.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ٨١.

ذَوَاتِ أَكُلٍ خَمَطٍ وَأَثَرٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ
جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ
سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ
إِيلَاسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

سبأ: أبو عرب اليمن كلها ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ أي: بلدهم. وقرئ: مساكنهم.
﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من ﴿ءَايَةٍ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف، أي: الآية جنتان،
ومعنى كونها آية: إِنَّ أَهْلَهَا أَعْرَضُوا عَنْ شُكْرِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَخَرَّبَهَا اللَّهُ وَأَبْدَلَهُمْ
عَنْهَا الْخُمَطَ وَالْأَثْلَ آيَةً وَعِبْرَةً لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ، وقيل: إِنَّ الْآيَةَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي بَلَدِهِمْ
بِعُوضَةٍ وَلَا ذَبَابٍ وَلَا عُقْرَبٍ وَلَا حَيَّةٍ، وكان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه
قمل ماتت^(١).

ولم يرد بستانين فحسب، وإنما أراد جماعتين من البساتين، جماعة عن يمين
بلدتهن وأخرى عن شمالها، وكل واحدة من الجماعتين في تقاربهما وتضامتهما كأنهما
جنة واحدة، أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله، كما قال:
﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾^(٢).

﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ إما حكاية لما قال لهم أنبياء الله المبعوثون إليهم، أو لما
قال لهم لسان الحال.

(١) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٢٢: ٥٣.

(٢) الكهف: ٣٢.

﴿بَلَدٌ طَيِّبٌ﴾ أي: هذه البلدة بلدة طيبة مخصبة، نزهة أرضها عذبة ليست بسبخة.

﴿وَرَبُّ عَفْوٌ﴾ أي: ربكم الذي رزقكم وطلب شكركم غفور لمن شكره.
﴿فَاعْرِضُوا﴾ عن الحق ولم يشكروا الله عز اسمه.

﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ والعرم: اسم الجرد الذي نقب عليهم السكر^(١)، ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار، فحقنت به ماء العيون والأمطار، وتركت فيه خروفاً على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم، فلما طغوا سلط الله على سدّهم الخلد^(٢) فنقبه من أسفله فغرقهم، وقيل: العرم: جمع عرمة وهي الحجارة المركومة^(٣)، ويقال للكُدس من الطعام: عرمة، والمراد: المسناة التي عقدوها سكرأ. وقيل: العرم اسم واد كان يجتمع فيه السيول^(٤)، وقيل: العرم: المطر الشديد.

وقرى: ﴿أَكْلٍ﴾ بالضم والسكون، وبالتنوين والإضافة، ومن نون فالأصل ذواتي أكل أكل خمط، فحذف المضاف، أو وصف الأكل بالخمط، فكأنه قال: ذواتي أكل بشع، ومن أضاف فكأنه قال: ذواتي بربر^(٥)، لأنّ أكل الخمط في معنى البربر، والأثل والسدر معطوفان على ﴿أَكْلٍ﴾ لا على ﴿خَمَطٍ﴾، لأنّ الأثل لا أكل له، وتسمية البدل ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ لأجل المشاكلة، وفيه ضرب من

(١) سكرت النهر: سدّته. (الصحاح: مادة سكر)

(٢) الخلد: ضرب من الجرذان أعمى. (الصحاح: مادة خلد)

(٣) عن أبي ميسرة. تفسير الطبري ج ٢٢: ٥٤.

(٤) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢٢: ٥٥.

(٥) البّبر: ثمر الاراك، واحدها بريرة. (الصحاح: مادة بر)

التَهَكُّم، وعن الحسن: (قَلَّ السدر لآثِه أَكرم ما بدلوا)^(١).

وقرى: ﴿وَهَلْ تُجْرِي﴾ بالنون، والمعنى: ومثل هذا الجزاء لا يستحقه إلا الكافر، وهو العقاب العاجل.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ﴾ قرى الشام ﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة، يرى بعضها من بعض لتقاربها، فهي ظاهرة لأعين الناظرين، أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسائلة.

﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ من القرية إلى القرية مقداراً واحداً، كان الغادي منهم يقبل في قرية، والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام، لا يخاف جوعاً ولا عطشاً ولا عدواً، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء.

﴿سِيرُوا﴾ أي: وقلنا لهم: سيروا ولا قول ثم، لكن لما سهلت لهم أسباب السير فكأثم أمروا به. والمعنى: سيروا إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار، فإن الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات، أو سيروا فيها ﴿ءَامِنِينَ﴾ لا تخافون وإن تطاولت مدة سفرهم فيها وامتدت أياماً وليالي.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ﴾ وبعّد على الدعاء، بطروا النعمة وملّوا العافية فطلبوا الكد والتعب، وقرئ: ربّنا باعد بين أسفارنا وهو قراءة الباقري عليه السلام. (ربّنا) مبتدأ والمعنى خلاف الأوّل، وهو أثم استبعدوا مسائرهم على قصرها لفرط تنعمهم. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدّث الناس بهم، وفرّقناهم تفريقاً اتخذه الناس مثلاً مضروباً، يقولون: (ذهبوا أيدي سباً)، و(تفرّقوا أيادي سباً)^(٢)، قال كثير:

(١) الكشف ج ٣: ٥٧٦.

(٢) مجمع الأمثال ج ٢: ٤.

أَيَادِي سَبَأٍ يَاعِزُّ مَا كُنْتُ بَعْدَكُمْ فَلَمْ يَحُلْ بِالْعَيْنَيْنِ بَعْدَكَ مُنْظَرٌ^(١)
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ وعبراً ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم
 بالطاعات.

وقرى: ﴿صَدَقَ﴾ بالتشديد والتخفيف، فمن شدد فعلى: حَقَّقَ [عَلَيْهِمْ
 إِبْلِيسَ ظَنَّهُ]، أو وجده صادقاً، ومن خفف فعلى: صدق [في ظنه. وقرئ:
 صدق بالتشديد إبليس بالنصب بظنه بالرفع، والمعنى: وجد ظنه صادقاً حين قال:
 ﴿لَا خَتَنَ كُنْ ذَرِيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾^(٢)، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٣)، ﴿وَلَا أَعْوَيْنَهُمْ
 أَجْمَعِينَ﴾^(٤).

والضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعود إلى أهل سبأ، وقيل: يعود إلى الناس كلهم إلا
 من أطاع الله^(٥) وذلك قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ
 مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿١١﴾ قُلْ
 ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِن قِطَاعٍ ذَرَقٍ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ
 مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿١٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ

(١) ديوان كثير: ٣٢٨.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) الإسراء: ٦٢.

(٤) الأعراف: ١٧.

(٥) الحجر: ٣٩.

(٦) عن مجاهد. الدر المنثور ج ٥: ٢٣٥.

حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ
 اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ يَتَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا
 تَسْأَلُونَنِي عَنْ أَجْرِيَّ وَلَا أَتَسْأَلُ عَنْكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

[أي: لم يكن لإبليس عليهم من سلطنة واستيلاء^(١) يتمكن بها من
 إجبارهم على البغي والضلال، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ
 دَعَوْتُكُمْ﴾^(٢) وتمكينه من الاستغواء بالوسوسة لغرض^(٣) صحيح وحكمة بالغة،
 وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها، وعلل ذلك بالعلم والمراد ما تعلق
 به الحكم^(٤).

والحفيظ: المحافظ، وفعل ومفاعل متأخيان.

وأحد مفعولي ﴿زَعَمْتُمْ﴾ الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول،
 والمفعول الثاني: إما أن يكون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أو ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو محذوفاً، فلا
 يصح الأول لأن قولك: هم من دون الله لا يلتزم كلاماً، ولا الثاني لأنهم ما كانوا
 يزعمون ذلك، فبقي أن يكون محذوفاً تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله،
 فحذف الموصوف لكونه مفهوماً، وأقام صفته مقامه، فمفعولا ﴿زَعَمْتُمْ﴾ محذوفان
 كما ترى بسببين مختلفين.

ثم أخبر عن آلهتهم بأنهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ زنة ذرة من خير وشر ونفع وضرر

(١) ساقطة من ج.

(٢) إبراهيم: ٢٢.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) في د: العلم.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وليس لهم في شيء منهما نصيب ولا ﴿شَرِكٌ﴾ وليس لله ﴿مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ على خلق شيء منهما.

يقال: الشفاعة لزيد على معنى: إنه الشافع، وعلى معنى إنه المشفوع له، فيحتمل قوله: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفْعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا﴾ كائنة ﴿لَمَن أَدْرَكَ لَهُ﴾ من الشافعين ومطلقة له، مثل الملائكة والأنبياء والأولياء، أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له أي: لشفيعه، وهذا تكذيب لقولهم: ﴿هُوَ لَا شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١).

واتصل قوله: ﴿حَقٌّ إِذَا فُرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظاراً للإذن وفرعاً من الراجين للشفاعة، والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن، وآته لا يطلق الإذن إلا بعد تربص وتوقف، فكأنه قال: يتربصون ملياً فرعين ﴿حَقٌّ إِذَا فُرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كشف الفرع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بأن يأذن رب العزة في الشفاعة تباشروا بذلك، وسأل بعضهم بعضاً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ القول ﴿الْحَقُّ﴾ وهو الإذن بأن يشفعوا لمن ارتضى.

وقرى: ﴿أَدْرَكَ لَهُ﴾ أي: أذن الله له، وأذن له على البناء للمفعول، وقرئ: (فرع) على البناء للفاعل، وهو الله وحده.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء، لا يملك أحد أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه.

ثم أمره عز اسمه أن يقررهم بقوله: ﴿مَنْ يَرْزُقْكُمْ﴾ ثم أمره أن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يرزقكم ﴿اللَّهُ﴾ وذلك للإعلام بأنهم مقررون به بقلوبهم إلا أنه ربما لم يتكلموا به عناداً، وأمره أن يقول لهم بعد الإلزام: ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هَذَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ معناه: إن أحد الفريقين من الموحدتين ومن

المشركين لعل أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه قال لمن خاطب به: قد أنصفك صاحبك، وفي درجه بعد تقديم ما قَدَّم من التقرير البليغ، دلالة على من هو على الهدى ومن هو في الضلال المبين من الفريقين، ونحوه قول القائل لغيره: إنَّ أحدنا لكاذب، وإن كان الكاذب معلوماً، ومنه قول حسان:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفءٍ فَشَرُّكُمْا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ^(١)

﴿عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ من المعاصي ﴿وَلَا تُنْتَلُ﴾ تعملونه، بل كل إنسان يُسأل عما يعملُه ويمجّزى على فعله دون فعل غيره.

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ
 ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ
 مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ
 لَا تَسْتَعْرِضُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم بيننا ويفصل ﴿بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم
 ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالحكم.

ومعنى قوله: ﴿أَرُونِي﴾ وقد كان يراهم ويعرفهم، أنّه أراد بذلك أن يريهم
 الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله، وينبئهم عن ضلالتهم في ذلك.
 و﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن مذهبهم، وتنبه على غلطهم الفاحش بقوله: ﴿بَلْ هُوَ

اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣١﴾ كَأَنَّهُ قَالَ: أَيْنَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِذَا هِيَ لِلَّهِ عِزُّ اسْمِهِ وَحَدُّهُ.

﴿لَا كَافَّةَ لِلنَّاسِ﴾ أي: إلا رسالة عامة لهم محيطتها بهم، لأنها إذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم، قال الزجاج: (معناه: أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ)^(١)، فجعله حالاً من الكاف، والتاء للمبالغة كتاء الراوية والعلامة.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما لهم في اتباعك من الثواب، وما عليهم في مخالفتك من العقاب، أو لا يعلمون رسالتك لإعراضهم عن النظر في معجزتك. ﴿مِيعَادَ يَوْمٍ﴾ أي: ميقات يوم ينزل بكم فيه ما وعدتموه، وهو إضافة تبيين كـ(سحق ثوب) و(باب ساج).

سألوا على طريق التعنت فأجيبوا على طريق التهديد أنهم مرصدون بيوم يفاجئهم، فلا يستطيعون تأخراً عنه ولا تقدماً عليه.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي
بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ أَتَّخِضُوا لِلَّذِينَ
أَسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ الَّذِينَ
أَسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ أَتَّخِضُوا أَخْنُ صَدَدْنَكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ
كُنْتُمْ تُخْرِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَتَّخِضُوا لِلَّذِينَ أَتَّكَبَرُوا بَلْ
مَكْرُ الْإِنْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً

وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ
الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣١﴾
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾

﴿الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كتب الله المتقدمة، وقيل: هو يوم القيامة^(١)، ومعناه: إنهم
جحدوا أن يكون القرآن من قبل^(٢) الله، وأن يكون للبعث والجزاء حقيقة. ثم أخبر
سبحانه عن عاقبة أمرهم بأن قال: ﴿وَلَوْ رَزَيْتُ﴾ يا محمد أو أيها السامع موقفهم في
الآخرة وهم يتراجعون المجادلة بينهم، لرأيت أمراً عجيباً، فحذف جواب (لو).
و﴿الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ هم الأتباع، و﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ هم الرؤساء
والقادة.

وقوله: ﴿أَنَحْنُ صَدَدَنَّاكُمْ عَنِ الْهُدَى﴾ إنكار أن يكونوا هم الصادين لهم عن
الإيمان، وإثبات أنهم هم الذين صدّوا بأنفسهم عنه باختيارهم، كأنهم قالوا: أنحن
أجبرناكم وحلنا بينكم وبين اختياركم؟! بل أنتم آثرتم الضلال على الهدى، وأمر
الشهوة على أمر النهى فكنتم مجرمين كافرين.

وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ أضيف ﴿بَعْدَ﴾ إلى ﴿إِذْ﴾ اتساعاً مع كونها من
الظروف اللازمة، كما أضيفت هي إلى الجملة التي هي ﴿جَاءَكُمْ﴾ فقد اتسع في
الزمان ما لم يتسع في غيره، فأضيف إليه الزمان وأضيف إلى الجمل نحو: حيثئذ
ويومئذ، وجئتكَ أو ان الحجاج أمير وحين خرج زيد.

(١) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج ٤: ٤٥١.

(٢) في ب: كتب.

ثم كرّ المستضعفون على المستكبرين بقولهم: ﴿بَلْ مَكْرُ الْإِيلِ وَالنَّهَارِ﴾ فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم، كأنهم قالوا: ما كان الإجماع من جهتنا، بل من جهة مكرهم لنا دائماً ليلاً ونهاراً، وحلّكم إيانا على الكفر واتخاذ الأنداد. والمعنى: مكرهم في الليل والنهار، فاستع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به في إضافة المكر إليه، أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي.

والضمير في ﴿وَأَسْرُوا﴾ ضمير الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين، وهم الظالمون في قوله سبحانه: ﴿إِذَا الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ فندم الرؤساء على ضلالهم وإضلالهم، والأتباع على ضلالهم. والمعنى: أخفوا الندامة. وقيل: أظهروها^(١)، وهو من الأضداد، وقد فسر على الوجهين بيت امرئ القيس:

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعَشَرًا عَلَى حِرَاصٍ لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي^(٢)

﴿فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في أعناقهم فجاء بالمظهر للتنويه بدمهم.

قُلْ إِنْ رَفِيَّ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِنَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَفِيَّ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُوا لَا إِلَهَ إِلَّا كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا

(١) الكشف والبيان ج ٨: ٩١.

(٢) ديوان امرئ القيس: ١٣ وفيه: تجاوزت أحراساً وأهوال معشر علي حراس لو يشرون مقتلي

مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿١٢﴾

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ﴾ التي خولتموها ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ التي رزقتموها بالجماعة
التي ﴿تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا﴾ قربة، والزلفى والزلفة كالقربى والقربة، وحل ﴿زُلْفَى﴾
نصب على المصدر، فهو كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَتْبَعَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(١).

﴿إِلَّا مَنْ أَمَّنْ﴾ استثناء من (كم) في ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾ والمعنى: إن الأموال لا
تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحداً
إلا من رشحهم للصالح وعلمهم الدين.

﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ بأن يضاعف لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة
الواحدة عشرةً فصاعداً إلى سبعمائة وأكثر، وجزاء الضعف من إضافة المصدر إلى
المفعول. وأصله: فأولئك لهم أن يجازوا الضعف، ثم جزاء الضعف. وقرئ: جزاء
الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء، وقرئ: في الغرفة على التوحيد.

و﴿فِي الْأَعْرَفَاتِ﴾ على الجمع، وهي البيوت فوق الأبنية.

﴿عَامِتُونَ﴾ من الغير^(٢) والآفات والموت والحزن.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾ يجتهدون ﴿فِي﴾ إبطال ﴿ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ لأنبيائنا،
ومعجزين: مثبطين غيرهم عن طاعتهم.

﴿أُولَئِكَ﴾ محصلون في العذاب أحضروا فيه.

(١) نوح: ١٧.

(٢) غَيْرُ الدهر: أحواله المتغيرة. (لسان العرب: مادة غير)

وكرر قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَحْمَةَ رَبِّي بِسَطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لَأَنَّ الأوَّلَ خوطب به الكفار، والثاني وعظ للمؤمنين، فكأنه قال: ليس إغناء الكفار لكرامتهم، وإغناء المؤمنين يجوز أن يكون زيادة في سعادتهم بأن ينفقوها في سبيل الله، ويدل عليه قوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: يعوضه ويعطيكم خلفه، إما عاجلاً بزيادة النعمة، وإما أجلاً بالثواب الذي كل خلف دونهم.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الغرض من سؤال الملائكة أن يقول ويقولوا، ويسأل ويحيبوا، فيكون تقرير الكفار أبلغ وتعييرهم أشد، ويكون اقتصاص ذلك زجراً للسامع ولطفاً له، ونحوه قوله: ﴿يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١).

والموالة مفاعلة من الولي وهو القرب، كما أَنَّ المعادة مفاعلة من العدو وهي البعد، والولي يقع على الموالي والموالى جميعاً، والمعنى: أنت الذي نواله من دونهم إذ لا موالة بيننا وبينهم، فبينوا بإثبات موالة الله ومعادة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم.

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آَلِهَةً﴾ يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير

الله.

وَلِذَا نَتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَتَنَبَّهُوا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ ءَابَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ

نَذِيرٌ ﴿١١﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ
فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ
أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ
جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٣﴾ قُلْ مَا
سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ﴿١٥﴾

﴿هَذَا﴾ الأولى إشارة إلى رسول الله، والثانية إلى القرآن، والثالثة إلى الحق،

والحق أمر النبوة كله ودين الإسلام كما هو.

وفي قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ولم يقل قالوا، وفي قوله: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾
وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه، وما في ﴿لَمَّا﴾ من المبادهة
بالكفر؛ دليل على أن الكلام صدر عن إنكار عظيم وغضب شديد، كأنه قال: وقال
أولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق الواضح قبل
أن يختبروه ويتدبروه: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ فقصوا بأنه سحر ظاهر.

﴿وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك، ولا
﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ نذيراً يندرهم بالعقاب إن لم يشركوا كما قال: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾^(١) أو أراد: ليس لهم عهد بإنزال الكتاب
ولا بعث رسول، فهم أميون أهل جاهلية لا ملة لهم، كما قال: ﴿أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا
مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾^(٢).

ثم توعدهم على تكذيبهم فقال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما كذبوا،

(١) الروم: ٣٥.

(٢) الزخرف: ٢١.

وما بلغ هؤلاء ﴿مَعْشَارَ﴾ ما آتينا أولئك من طول الأعمار وكثرة الأموال وعظم الأجسام، فحين كذبوا ﴿رُسُلِي﴾ جاءهم نكيري، أي: عقوبتي وتغيري لأحوالهم بالتدمير والاستئصال، ولم يغن عنهم ما استظهروا به من القوة والثروة، فما بال هؤلاء لا يحذرون أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك من النعمة؟!.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ﴾ بخصلة واحدة، وفسرها بقوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ﴾ على أنه عطف بيان لها، وأراد بقيامهم: إما القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفترقهم عنه، وإما القيام الذي لا يراد به المثل على القدمين ولكن الانتصاب في الأمر والنهوض فيه بالهمة. والمعنى: إنَّما أعظكم بوحدة إن فعلتموها أصبتم الحق، وهي أن تقوموا لوجه الله خالصاً اثنين اثنين وواحدًا واحدًا.

﴿ثُمَّ نَنْفَعَكُمُوهَا﴾ في أمر محمد وما جاء به بعدل وإنصاف من غير عناد ومكابرة.

وأراد بقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ إنَّ هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعاً لا يتصدى لادعاء مثله إلا أحد رجلين: إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طولب بالبرهان فعجز، وإما عاقل كامل مرشح للنبوَّة مؤيد من عند الله بالآيات والحجج، وقد علمتم أن محمداً ما به من جنون، بل علمتموه أرجح الناس عقلاً، وأصدقهم قولاً، وأجمعهم للمحامد.

و﴿مَا﴾ للنفي، أو يكون استئناف كلام تنبيهاً من الله على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ، ويجوز أن يكون المعنى: ﴿ثُمَّ نَنْفَعَكُمُوهَا﴾ فاعلموا ما بصاحبكم من جنة. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ استفهامية بمعنى: أي شيء به من جنة؟ وهل رأيتم من منشئه إلى مبعثه وصمة فيه تنافي النبوَّة؟.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: خوف ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يوم القيامة.

﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ تقديره: أي شيء سألتكم ﴿مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ﴾ وفيه معنيان: أحدهما: نفى مسألة الأجر رأساً كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئاً فخذ، وهو يعلم أنه لم يعطه شيئاً، والمراد: لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا فتتهموني، والآخر: أن يريد بالأجر ما يريد في قوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(١) وفي قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢)؛ لأنَّ اتِّخَاذَ السَّبِيلِ إِلَى اللَّهِ يَصِيْبُهُمْ، ونفعه عائد إليهم، وكذلك المودة في القربى لأنَّ ذخرها لهم دونه.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ليس ثواب عملي إلا على الله فهو^(٣) يثيبني عليه. القذف: الرمي، وهو مستعار لمعنى الإلقاء، ومعنى ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يلقيه وينزله إلى أنبيائه، أو يلقيه على الباطل فيدمغه ويزهقه.

﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ رفع محمول على محلّ ﴿إِنَّ﴾ مع اسمها، أو هو خبر مبتدأ محذوف.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٥٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَفِئْتُ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ؕ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ؕ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ

(١) الفرقان: ٥٧.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) ساقطة من ج.

كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرْسٍ ﴿٥٤﴾

الحق: إما أن يبدئ فعلاً أو يعيده، فإذا هلك لم يكن منه إبداء ولا إعادة، فجعلوا قولهم: لا يبدئ ولا يعيد مثلاً للهلاك، ومنه قول عبيد:

أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ^(١)

والمعنى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهلك الباطل، وعن ابن مسعود قال: دخل رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ((جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد))^(٢).

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحق كما زعمتم.

﴿فَإِنَّمَا أَصِلُ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: فإنما يرجع وبال الضلال عليّ لأني المأخوذ به دون غيري.

﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ﴾ إلى الحق بفضيل ﴿رَبِّي﴾ حيث أوحى إليّ فله المنة بذلك عليّ.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جوابه محذوف والتقدير: لرأيت أمراً عظيماً.

و﴿لَوْ﴾ و﴿إِذَا﴾ والأفعال التي هي ﴿فَرَعُوا... وَأَخَذُوا... وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ كلها للمضي، والمراد بها الاستقبال؛ لأنَّ ما الله تعالى فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحقيقه، ووقت الفرع: وقت البعث.

﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ لا يفوت منهم أحد.

(١) ديوان عبيد بن الأبرص: ٥٢.

(٢) معجم الطبراني الكبير ج ١٠: ١٩١.

والمكان القريب يعني به القبر، وقيل: هو فزعهم عند الموت ومعاناة ملائكة العذاب لقبض أرواحهم^(١)، وقيل: يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً^(٢)، وقيل: هو جيش^(٣) يخسف بهم بالبيداء، يؤخذون من تحت أقدامهم^(٤).
﴿وَأُخِذُوا﴾ عطف على ﴿فَزِعُوا﴾ أي: فزعوا [وأخذوا فلا فوت لهم، أو على ﴿لَا قُوَّةَ﴾ أي: إذ فزعوا]^(٥) فلم يفوتوا وأخذوا.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: ويقولون في ذلك الوقت: ﴿أَمَنَّا بِهِ﴾ أي: بمحمد ﷺ؛ لأن ذكره مرّ في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾.

﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ﴾ وهو التناول السهل لشيء قريب، وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون، وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم في الدنيا، مثلت حالهم بحال من يريد تناول الشيء من مكان بعيد مثل ما يتناوله الآخر من موضع قريب تناولاً سهلاً، وقرئ: التناوش همزت الواو المضمومة كما همزت واو أدور، وقيل: هو من الناس وهو الطلب، قال رؤية:

إِلَيْكَ نَاشَ الْقَدَرُ النَّوْشُ^(٦)

والنّيش: الحركة في الإبطاء، قال:

(١) عن قتادة. الدر المنثور ج ٥: ٢٤٠.

(٢) عن السدي وغيره. الدر المنثور ج ٥: ٢٤٠.

(٣) في ب: حيث.

(٤) عن سعيد بن جبير وروى مرفوعاً. تفسير الطبري ج ٢٢: ٧٢.

(٥) ساقطة من ج.

(٦) ديوان رؤية بن العجاج: ٧٧.

تَمَنَّى نَيْشَاءُ أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وَقَدْ حَدَّثْتُ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورًا^(١)

أي: أخيراً، فنصبه على الظرف.

﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ عطف على ﴿كَفَرُوا﴾ على حكاية الحال الماضية، أي:

وكانوا يرمون محمداً ﷺ بالظنون الكاذبة، ويأتون به ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، [وهو قولهم: إنه ساحر وشاعر وكذاب ومجنون، وقد أتوا به ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: من جهة بعيدة]^(٢) من حاله، لأنَّ أبعد شيء مما جاء به: السحر، والشعر، والجنون، وأبعد شيء من عاداته الكذب، والزور.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرّق بينهم وبين مشترياتهم.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ بأشباههم من كفره الأمم وموافقيهم وأهل دينهم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ أي: مشكك، كما قالوا: عجب عجيب.

(١) نهشل بن حري حياته وشعره: ٦٨.

(٢) ساقطة من ج.

سورة فاطر

أو سورة الملائكة، مكية إلا آيتين، وهي خمس وأربعون آية، ﴿هُمَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، و﴿أَنْ تَزُولَا﴾، و﴿تَبْدِيلًا﴾ ثلاثين بصري جديد، و﴿الْبَصِيرُ﴾ و﴿النُّورُ﴾ غيرهم.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الملائكة) دعته يوم القيامة ثلاث أبواب من أبواب الجنة: أن أدخل من أي الأبواب شئت))^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ
مَّتَنَىٰ وَثَلَّثَ وَرَبَعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا
مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ
قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَقْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُودُ ﴿٥﴾

﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾ إن جعلت الإضافة لفظية. بأن تكون في تقدير الانفصال. فهو بدل، وإن جعلتها معنوية فهو صفة.

[مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ] صفة^(١) لـ ﴿أَجْنَحَةٍ﴾ عدلت عن اثنين اثنين، [وثلثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ومعنى العدل: أنك أردت بمثنى ما أردت باثنين اثنين]^(٢)، والأصل أن تريد بالكلمة معناها دون كلمة أخرى، والعدل: أن تلفظ بكلمة وأنت تريد كلمة أخرى. والمعنى: إنه جعل من الملائكة خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان، أي: لكل واحد جناحان، وخلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة. ﴿يَزِيدُ فِي﴾ خلق الأجنحة وفي غير ذلك ﴿مَا يَشَاءُ﴾ مما تقتضيه حكمته ومشيته. والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته، واعتدال صورته، وقوة في البطش، وحصافة في العقل... إلى غير ذلك، وقيل: هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن^(٣).

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ﴾ يعني: أي شيء يطلق الله.

﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ أي: من نعمة رزق أو مطر أو عافية أو صحة أو غير ذلك من أصناف نعمه ﴿فَلَا﴾ أحد يقدر على إمساكها، وأي شيء ﴿يُمْسِكُ﴾ الله فلا أحد يقدر على إطلاقه، والفتح مستعار للإطلاق والإرسال بدلالة قوله: ﴿فَلَا مَرْسِلَ لَهُ﴾ مكان لا فاتح له.

وإنما نكر الرحمة لإرادة الشيعاء، كأنه قال: من أية رحمة كانت سهاوية أو أرضية، وآث الضمير أولاً وذكره ثانياً وهو يرجع في الحالين معاً إلى ما حملا على

(١) ساقطة من ج.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) ينظر: تفسير الماوردي ج ٤: ٤٦٢.

اللفظ والمعنى، ولأنّ الأوّل فسر بالرحمة فتبع الضمير التفسير، والثاني لم يفسر فترك على أصل التذكير، ولأنّ تفسير الثاني يحتمل أن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته. وإتّما فسر الأوّل دون الثاني ليدلّ على أنّ رحمته سبقت غضبه.

﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ بالقلب واللسان، واحفظوها من الغمط والكفران، واشكروها بالاعتراف بها وطاعة موليتها.

﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ قرئ: ﴿غَيْرُ﴾ بالرفع والجر على الوصف لفظاً ومحلّاً، و﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ يجوز أن يكون في محلّ جر بأن يكون صفة لـ ﴿خَلْقِي﴾، وأن لا يكون له محلّ بأن يكون محلّ ﴿مِنْ خَلْقِي﴾ رفعاً بإضمار يرزقكم، ويفسره هذا الظاهر، أو يكون كلاماً مستأنفاً بعد قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾، وعلى الوجه الثالث يكون فيه دلالة على أنّ الخالق لا يطلق على غير الله عزّ وجل. وأما على الوجهين المتقدمين من الوصف والتفسير فلا دليل فيه على اختصاص الاسم بالله عزّ وجل؛ لأنّه تقتيد بالرزق من السماء والأرض وخرج من الإطلاق، والرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة منفصلة لا محلّ لها.

﴿فَأَنفِ تَوَفُّكُونَ﴾ فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك، وعن الحقّ إلى الباطل؟!، وقيل: كيف تصرفون عن هذه الأدلة التي أقيمت لكم على التوحيد مع وضوحها؟!

الأصل: ﴿وَلَا يَكْذِبُونَ﴾ فتأس بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ موضع فتأس به استغناء بالسبب عن المسبب، أعني: بالتكذيب عن التأسّي، ونكر ﴿رُسُلٌ﴾ لأنّ تقديره: رسل ذوو عدد كثير وأولو آيات ومعجزات، ونحو ذلك.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ الذي هو البعث والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب
 ﴿حَقٌّ فَلَا﴾ تخدعونكم ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فتغترّوا بما لا دأب لها، فإنها عن قليل تنفد وتبطل.
 و﴿الْفُرُودُ﴾: الشيطان، أو الدنيا وزينتها.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ
 أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ
 عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا
 تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ
 الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثَبَرُ سَحَابًا فَسُقْنَتُهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْنُشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغَزَا فَلَهِ الْغَزَا
 جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُسَوِّرُ ﴿١٠﴾

لما ذكر الكافرين والمؤمنين قال للنبي ﷺ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾
 من هذين الفريقين كمن لم يزين له؟ فكان النبي ﷺ قال: لا، فقال: ﴿فَإِنَّ
 اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾. ومعنى تزيين
 العمل والإضلال واحد، وهو أن يكون العاصي على صفة لا يجدي عليه اللطف
 فيستوجب أن يخليه الله وشأنه، فعند ذلك يهيم في الضلال فيرى القبيح حسناً
 والحسن قبيحاً، فإذا خذله الله فمن حق الرسول صلوات الله عليه أن لا يهتم بأمره
 ولا يتحسر. وعن الزجاج: (إِنَّ المعنى: أفمن زين له سوء عمله [ذهبت نفسك
 عليهم حسرة؟ فحذف لدلالة ﴿فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ﴾ عليه، أو أفمن زين له سوء

عمله^(١) كمن هداه الله؟ فحذف لدلالة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ عليه^(٢).

و﴿حَسَرْتَ﴾ مفعول له، أي: فلا تهلك نفسك للحسرات، [و﴿عَلَيْهِمْ﴾ صلة ﴿نَذَهَبَ﴾ كما تقول: هلك عليه حباً، ويجوز أن يكون حالاً، كأن كلها صارت حسرات^(٣)] لفرط التحسر.

﴿فُتِّيرُ سَعَابًا﴾ أي: تهيجه، وجاء على لفظ المضارع دون ما قبله وما بعده لتحكي الحال التي تقع فيها إثارة السحاب، [وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة الربانية، وكذلك سوق السحاب^(٤)] إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها، لما كان من الدلائل على القدرة قال: ﴿فُسُقْنَتْهُ... فَأَحْيَيْنَا﴾ معدولاً بها عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص.

والكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾ في محلّ الرفع، أي: مثل إحياء الموات نشور الأموات. التقدير: من كان يريد العزة فليطلبها عند الله، فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه، فإنّ الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه، ومعناه: العزة كلها مختصة بالله: عزة الدنيا وعزة الآخرة، فمن أراد العزة فليتعزّز بطاعة الله، ويدلّ عليه ما رواه أنس عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ كل يوم: أنا العزيز، فمن أراد عزّ الدارين فليطع العزيز))^(٥).

(١) ساقطة من د.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج٤: ٢٦٤.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) ساقطة من د.

(٥) تاريخ بغداد ج٨: ١٦٧.

ثم عرف سبحانه أنّ ما يطلب به العزة عنده هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. والكلم: جمع كلمة، وكل جمع ليس بينه وبين واحد إلا الهاء جاز فيه التذكير والتأنيث، يقول: هذا كلم وهذه كلم، ومعنى الصعود هنا هو القبول، وكل ما يتقبله الله تعالى من الطاعات يوصف بالرفع والصعود، لأنّ الملائكة يكتبون أعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث يشاء الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ﴾^(١).

و﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: [تمجيد الله وتقديسه وتحميده، وأطيب الكلم: لا إله إلا الله.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ أي: يرفع الكلم الطيب إلى الله^(٢)، فالهاء ضمير ﴿الْكَلِمُ﴾، وقيل: معناه: والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب^(٣)، أي: لا ينفع العمل الصالح إلا إذا صدر عن التوحيد، وقيل: معناه: والعمل الصالح يرفعه الله لصاحبه^(٤). فعلى الوجهين الأخيرين يكون الهاء ضمير (العمل).

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ أو أصناف المكر السيئات، فهي صفة للمصدر أو لما في حكمه، وقيل: (عنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الرأي في إحدى المكرات الثلاث: إما إثبات رسول الله، وإما قتله، وإما إخراج، كما حكى الله سبحانه عنهم في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ

(١) المطففين: ١٨.

(٢) ساقطة من ج.

(٣) عن الكلبي وغيره. معالم التنزيل ج ٣: ١٩٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه. ج ٤: ٢٦٥.

كَفَرُوا... الْآيَةُ ﴿١١﴾﴾^(١).

﴿وَمَكُرُوا لَكُمْ﴾ الذين مكروا تلك المكرات ﴿هُوَ﴾ خاصة ﴿يُبْزُ﴾ أي: يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قلب بدر، فجمع الله عليهم مكراتهم.

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبْلَهُ تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَتَابَعُ النَّاسُ أَنْتُمْ أَفْقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾

﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافاً وضروباً، أو ذكراً وإناثاً.

ولا ﴿تَحْمِلُ﴾ من الإناث حاملة ولدها في بطنها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) عن أبي العالية. معالم التنزيل ج ٣: ١٩٥.

[إلا وهو عالم بذلك] ^(١).

﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ﴾ معناه: وما يعمر من أحد، وإِنَّمَا سَمَاءٌ مُعَمَّرَةٌ بِهَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ﴾ بأن يذهب بعضه بمضي الليل والنهار ﴿إِلَّا﴾ وهو ﴿فِي كِتَابٍ﴾ محفوظ أثبتته الله قبل كونه، وقيل: معناه: لا يطول عمر ولا يقصر إلا في كتاب، وهو أن يكتب في اللوح المحفوظ: لو أطاع الله فلان بقي إلى وقت كذا، وإذا عصى نقص من عمره الذي وقَّت له ^(٢). وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله: ((إِنَّ الصَّدَقَةَ وَصَلَةُ الرَّحْمَنِ تَعْمَرَانِ الدِّيَارَ وَتَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ)) ^(٣).

ثم ضرب البحرين - العذب والملح - مثلين للمؤمن والكافر، ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علّق بهما من نعمة: ﴿وَمِنْ﴾ كل واحد منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وهو اللؤلؤ والمرجان.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ من فضل الله، ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها، وإن لم يجر ذكره لم يشكل للدلالة المعنى عليه، وحرف الرجاء مستعار بمعنى الإرادة كأنّه قيل: لتبتغوا ولتشكروا. ويحتمل على طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين، ويفضل البحر الأجاج على الكافر بأنّه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه، والكافر خال من النفع.

﴿ذَلِكَكُمْ﴾ مبتدأ، و﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ أخبار مترادفة. والقطمير:

قشر النواة.

(١) ساقطة من ج.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٣٦٨.

(٣) ينظر: الكافي ج ٢: ١٥٠، مسند أبي يعلى ج ٧: ١٣٩.

﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكَ﴾ لَأَتَهُمْ جَادٌ ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ على سبيل الفرض والتقدير لـ ﴿مَا أَسْتَجَابُوا لَكَ﴾ لَأَتَهُمْ لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم، يقولون^(١): ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ﴾^(٢).

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير عالم به، يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين. والمعنى: إن ما أخبرتكم به من حال معبوديهم هو الحق، لأنّي عالم خبير بما أخبرتكم به.

وعرّف ﴿الْفُقَرَاءَ﴾ ليربهم سبحانه أنهم جنس الفقراء لشدة افتقارهم إليه، ولو نكر لكان المعنى: أنتم بعض الفقراء، ولما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم ذكر ﴿الْحَمِيدُ﴾ ليدلّ به على أنه الغني النافع خلقه بغناه المنعم عليهم، المستحقّ بإنعامه عليهم أن يحمده، والعزيز الممتنع.

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَلَةٍ لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَكَانَ دَا فُرْقًا إِنَّمَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِن أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

(١) في ب: بقوله.

(٢) يونس: ٢٨.

جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَيَاكْتَسِبِ الْمُنِيرِ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ
أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرِ ﴿٥٦﴾

وزر الشيء: حمله.

﴿وَلَا تَزِرُ﴾ أي: لا تحمل نفس ﴿وَاِزْرَ﴾ يوم القيامة إلا وزرها الذي اقترفته، لا تؤخذ نفس بوزر غيرها. وفيه دليل على أنه سبحانه لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها. ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالآثام غيرها إلى أن تحمل شيئاً من إثمها لم تجب ولم تغث ولم يحمل شيء من حملها، ولو كان المدعو بعض قرابتها أو أقرب الناس إليها، فكل نفس بما كسبت رهينة.

وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول، أي: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ غائبين عن عذابه، أو يخشون عذابه غائباً عنهم.

﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي، وهو اعتراض مؤكداً لحشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكى. ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ وعد لمن تزكى بالثواب.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الفرق بين الواوات أن بعضها ضمت شفعاً إلى شفع، وبعضها ضمت وترأ إلى وتر، والواو ربها قرن بها لا في النفي؛ [للتأكيد معنى النفي]^(١).

﴿وَالْحُرُورُ﴾ والسموم الريح الحارة.

وقيل: إنَّ الأعْمى والبصير مثل للمؤمن والمشرک، والظلمات والنور للشرك والإيمان، والظل والحرور للجنة والنار والأحياء والأموات للمؤمنين

والكفار^(١)، أو العلماء والجهال.

﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: ما عليك إلا التبليغ والإنذار، فإن كان المنذر ممن يسمع نفعه إنذارك، وإن كان من المصرين فلا عليك.

﴿بِالْحَقِّ﴾ حال من أحد الضميرين، بمعنى: محققاً أو محققين، أو صفة للمصدر أي: إرسالاً مصحوباً بالحق، أو صلة ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي بشيراً بالوعد الحق، [ونذيراً بالوعيد الحق]^(٢).

واكتفى في آخر الآية بذكر النذير عن البشير، لأنّ النذارة لما كانت مقرونة بالبشارة دلّت إحداها على الأخرى، لا سيما وقد اشتملت الآية على ذكرهما.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يريد المعجزات الدالة على النبوة ﴿وَبِالْزُّبُرِ﴾ يريد الصحف ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ يريد التوراة والإنجيل.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا
وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ
سَوْدٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ
كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ
تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ
إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

(١) عن السدي. الدر المنثور ج ٥: ٢٤٩.

(٢) ساقطة من ج.

﴿أَلْوَانُهَا﴾ أجناسها من التين والرمان والعنب وغيرها، أو هيئاتها من الصفرة والخضرة والحمرة ونحوها.

والجدد: الخطط والطرائق، وجدة الحمار هي الخطئة السوداء على ظهره.
﴿وَعَرَابِيْبُ﴾ معطوف على ﴿بَيْضُ﴾ أو على ﴿جُدُدُ﴾، كأنه قال: ﴿وَمِنْ أَلْجِبَالِ﴾ مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد غرابيب. وعن عكرمة: (هي الجبال الطوال السود)^(١). والوجه في قوله: ﴿وَعَرَابِيْبُ سُودٌ﴾ مع أنَّ الغرابيب تأكيد الأسود، أن يضممر المؤكد قبله ويكون ﴿سُودٌ﴾ الظاهر تفسيراً للضممر، كقول النابغة:

وَالْمُؤْمِنُ الْعَائِدَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّنَدِ^(٢)

وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدلّ على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار جميعاً، ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله: ﴿وَمِنْ أَلْجِبَالِ جُدُدُ بَيْضُ﴾ أي: ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود غرابيب، حتى يؤول إلى قوله: ومن الجبال... مختلف ألوانها، كما قال: ﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾.

﴿وَمِنْ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ يعني: ومنهم بعض مختلف ألوانه كذلك، [أي: كاختلاف الثمرات والجبال، وتم الكلام.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ والمعنى: [إن الذين]^(٣) يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، إذ عرفوه حق معرفته، وعلموه حق

(١) الكشف ج ٣: ٦٠٩.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٣٥ وفيه: تمسحها.... والسعد.

(٣) ساقطة من ج.

علمه. وعن الصادق عليه السلام: ((يعني بالعلماء من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم))^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: يداومون على تلاوته، وهي شأنهم وديدهم، وعن مطرف^(٢): (هي آية القراء)^(٣). و﴿يَرْجُونَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾.

﴿لَنْ كُفُّوا﴾: لن تكسد ولن تفسد.

وتعلق به ﴿لِيُوفِيَهُمْ﴾ أي: تجارة تنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده ﴿أُجُورَهُمْ﴾ وهي ما استحقوه من الثواب ﴿وَيَزِيدَهُمْ﴾ على قدر استحقاقهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وإن شئت جعلت ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضع الحال، بمعنى: فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق راجين تجارة مربحة ليوفيهم، وخبر ﴿إِنَّ﴾ قوله: ﴿لَإِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غفور لهم شكور لأعمالهم.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ
اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا
مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ
بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾
جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا

(١) الكافي ج ١: ٣٦.

(٢) أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري البصري، كان سيّداً كبير القدر له فضل وأدب ووقع في النفوس، مات سنة ٩٥هـ... تذكرة الحفاظ ج ١: ٦٤.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٢: ٨٧.

الْحَزَنُ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾ الَّذِي أَلْهَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ
مِنْ قَصَبِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن، و(من) للتبيين، أو يريد الجنس و(من) للتبعيض.

﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة، لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق.

﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لما تقدمه من الكتب، إنه ﴿بِعِبَادِهِ﴾ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿يعني: إنه خبرك وأبصر شمائلك فراك أهلاً لما أوحاه إليك من الكتاب المعجز.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ المعنى: إنا أوحينا إليك القرآن مصدقاً لما قبله من الكتب موافقاً لما بشرت به تلك الكتب من حاله وحال من أتى به، ثم أورثناه الذين اصطفينا من عبادنا بعدك وهم علماء الأمة، لما ورد في الحديث: ((إن العلماء ورثة الأنبياء))^(١)، والمروي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنها قالوا: ((هي لنا خاصة، وإيانا عنى))^(٢). وهذا هو الصحيح، لأن الوصف بالاصطفاء أليق بهم، إذ هم ورثة الأنبياء، وقدوة العلماء، المستحفظون للكتاب، العارفون بحقائقه.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ عن ابن عباس والحسن: (إن الضمير للعباد)^(٣)، واختاره المرتضى^(٤) قدس الله روحه قال: علل تعليقه سبحانه وراثته الكتاب بالمصطفين من عباده بأن فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق

(١) الكافي ج ١: ٣٢، سنن ابن ماجه ج ١: ٨١ ح ٢٢٣ ضمن حديث طويل.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥.

(٣) تفسير السمرقندي ج ٣: ١٠٠.

(٤) أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي كان نقيب الطالبين وكان إماماً في علم الكلام والأدب والشعر وله تصانيف كثيرة، ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٣٦هـ ببغداد. ينظر: وفيات الأعيان ج ٣: ٣.

بالخيرات^(١). وقيل: إِنَّ الضمير للذين اصطفاهم الله^(٢). وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: ((الظالم لنفسه منا: من لا يعرف حق الإمام، والمقتصد منا: العارف بحق الإمام، والسابق بالخيرات: هو الإمام))^(٣). وكلّهم مغفور لهم، وذلك لاصطفاء وإيراث الكتاب، أو ذلك السبق بالخيرات ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

و﴿جَنَّتْ عَدْنٍ﴾ بدل من ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الذي هو السبق بالخيرات، لأنّه لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب، كأنّه هو الثواب، فأبدلت عنه ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ﴾ وقرئ: يدخلونها على البناء للمفعول.

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: من للتبويض، أي: ﴿يُحَلِّوْنَ﴾ بعض أساور، كأنّه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسوّرون به غيرهم.

وفي ذكر الشكور دلالة على كثرة حسناتهم.

و﴿الْمُقَامَةِ﴾ بمعنى الإقامة.

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ من عطائه وأفضاله.

والنصب: العناء والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاوّل له، واللغوب:

الإعياء والفتور الذي يلحقه بسبب النصب، واللغوب نتيجة النصب.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُهَا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣١﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ

(١) رسائل الشريف المرتضى ج٣: ٢٢.

(٢) عن ابن عباس وغيره وروي مرفوعاً. تفسير السمرقندي ج٣: ١٠٠.

(٣) معاني الأخبار: ١٠٣ عن الباقر عليه السلام.

فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي
جَعَلَكُمْ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا
﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا
مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ
مِنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

﴿فَيَمُوتُوا﴾ [جواب النفي ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء نجازي، وقرئ:

يجزي.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ﴾ أي: يتصارخون^(١) ﴿فِيهَا﴾ يفتعلون من الصراخ وهو

الصياح باستغاثة وجهه وشدة.

والفائدة في قولهم: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من غير اكتفاء بقولهم:

﴿صَلِحًا﴾ أنه للتحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به، ولأنهم
كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة فقالوا: ﴿أَخْرَجَنَا نَعْمَلُ صَلِحًا غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا﴾ نحسبه صالحًا فنعمله.

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ توبيخ من الله، أي: فيقول لهم وهو متناول لكل عمر تمكن

فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر، وإن كان التوبيخ في المتناول أعظم، وقد

قيل: إنه ستون سنة^(١)، وقيل: أربعون^(٢)، وقيل: ثمانى عشرة سنة^(٣).

﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [عطف على معنى ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ كأنه قيل: قد عمّرناكم وجاءكم النذير وهو النبي ﷺ أو القرآن، وقيل: النذير^(٤)]: الشيب^(٥)، وقيل: موت الأهل والأقارب.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾ كالتعليل، لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم، وذات الصدور: مضمراتها وهي تأنيث ذو، وذو موضوع بمعنى الصحبة، فالمضمرات تصحب الصدور. والخلاتف: جمع خليفة وهو المستخلف.

﴿لَعَلَّيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: ضرر كفره وعقاب كفره. والمقت: أشد البغض، وقيل لمن نكح امرأة أبيه: مقتي، لكونه ممقوتاً في كل قلب.

﴿أُرُونِي﴾ بدل من ﴿أَرَايَتُمْ﴾ لأن معنى أرايتم: أخبروني، فكأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به العباداة، أروني أي جزء ﴿مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ﴾ خلقوه بأنفسهم ﴿أَتَرَهُمْ﴾ مع الله شركة في خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ والأرض، أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه، ﴿فَهُمْ عَلَى حَجَّةٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ؟!﴾ أو يكون الضمير للمشركين كقوله: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ

(١) عن ابن عباس وروي مرفوعاً. تفسير الطبري ج ٢٢: ٩٣.

(٢) عن الحسن. الدر المنثور ج ٥: ٢٥٤.

(٣) عن قتادة. الدر المنثور ج ٥: ٢٥٤.

(٤) ساقطة من ج.

(٥) عن ابن عباس وغيره. الدر المنثور ج ٥: ٢٥٤.

قَبْلِهِ ﴿١١﴾، ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ ﴿١٢﴾.

﴿بَلْ إِنْ يَعْذُ﴾ أي: ما يعد ﴿الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ﴾ وهم الرؤساء ﴿بَعْضًا﴾

وهم الأتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو قولهم: ﴿هُوَ لَا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿١٣﴾.

إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِذَا
 انْشَقَّتْهُمَا مِنْ أَمْرٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٤﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
 جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيْكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ
 فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٥﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ
 وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
 سُنَّتَ الْأُولَىٰ وَلَنْ يُجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا
 ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ
 وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿١٧﴾ وَلَوْ يُوَاسِئُ اللَّهُ
 النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَنَةٍ
 وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَٰرَ
 اللَّهُ كَانَ يَعْجَازُهُ بِصِيرًا ﴿١٨﴾

﴿أَنْ تَزُولَا﴾ كراهة أن تزولا، أو يمنعهما من أن تزولا، لأن الإمساك منع.

﴿إِنَّهُ، كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكها، وكاننا

جديرتين بأن تهذا هذا لعظم كلمة الشرك كما قال: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ

(١) الزخرف: ٢١.

(٢) الروم: ٣٥.

(٣) يونس: ١٨.

وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ ﴿١١﴾. و﴿إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا﴾ جواب القسم سد مسد جواب الشرط في ﴿وَلَيْنَ زَالًا﴾، و﴿مِنْ﴾ الأولى مزيدة والثانية للابتداء: من بعد إمساكه.

أي: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ بأيمان غليظة ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ من جهة الله تعالى ﴿يَكُونُنْ أَهْدَى﴾ إلى قبول قوله ﴿مَنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ الماضية، يعنون اليهود والنصارى.

﴿مَا زَادَهُمْ﴾ إسناد مجازي لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم ﴿نُفُورًا﴾ من الحق.

﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾ بدل من ﴿نُفُورًا﴾، أو مفعول له بمعنى: إلا أن نفروا لاستكبارهم ومكرهم، أو حال يعني: مستكبرين وماكرين برسول الله ﷺ والمؤمنين.

ويموز أن يكون ﴿وَمَكَرَ السَّيِّ﴾ معطوفاً على ﴿نُفُورًا﴾، وأصله: وإن مكروا السيئ أي: المكر السيئ ثم ومكر السيئ، ويدل عليه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾. وعن كعب الأحبار أنه قال لابن عباس: (قرأت في التوراة أنه من حفر مغواة وقع فيها، قال: إني وجدت ذلك في كتاب الله، وقرأ الآية)^(١). وفي أمثال العرب: (من حفر جباً وقع فيه منكباً)^(٢). وقرأ حمزة: ومكر السيئ بسكون الهمزة، وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة، ولعله اختلس فظن سكوناً أو وقف وقفة خفيفة.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا﴾ عادة الله في ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ المكذبين للرسول، وهو إنزال

(١) مريم: ٩٠.

(٢) الكشف والبيان ج٨: ١١٦.

(٣) المستقصى في أمثال العرب ج٢: ٣٥٤.

العذاب بهم وإهلاكهم؟!، جعل استقباهم^(١) لذلك انتظاراً له منهم. والتبديل: تصوير الشيء مكان غيره، والتحويل: تصوير الشيء في غير المكان الذي كان فيه. والتغيير: تصوير الشيء على خلاف ما كان.

﴿لِيُعْجِزَهُ﴾ أي: ليسبقه ويفوته.

﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ من الشرك والتكذيب.

الضمير في ﴿ظَهَرَهَا﴾ للأرض وإن لم يجر لها ذكر لعدم الالتباس، أي: ما ترك على ظهر الأرض ﴿مِنْ دَابَّكُمْ﴾ أي: نسمة تدبّ عليها، يريد: بني آدم، وقيل: ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم كفرهم ومعاصيهم^(٢).

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى يوم القيامة.

﴿كَانَ يَعْكَادُهُ بَصِيرًا﴾ وعيد بالجزاء.

(١) في ب: استصاهم.

(٢) عن قتادة وغيره. تفسير السمرقندي ج ٣: ١٠٧.

سورة يس

مكية إلا آية، وهي ثلاث وثمانون آية كوفي، واثنان غيرهم، ﴿يس﴾ كوفي.
وفي حديث أبي: ((من قرأ (سورة يس) يريد بها وجه الله عز وجل غفر الله له، وأُعطي من الأجر كأنها قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، وأيّما مريض قرئت عنده (سورة يس) نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفًا، ويستغفرون له، ويشهدون قبضه، ويتبعون جنازته، ويصلّون عليه، ويشهدون دفنه... إلى آخر الخبر))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((إنَّ لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس، فمن قرأها في نهاره كان من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي، ومن قرأها في ليله قبل أن ينام وكل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم، ومن كل آفة، وإن مات في يومه أدخله الله الجنة... الخبر بطوله))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِشَنْدَرَقَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا

(١) الكشف والبيان ج ٨: ١١٩.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٠-١١١.

يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

قري (ياسين) بالإمالة والتفخيم في يا، ويأظهار النون وإخفائها، وكذلك ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾^(١). وعن ابن عباس: (معناه يا إنسان)^(٢)، وعن الحسن: (معناه يا رجل)^(٣)، وقيل: يا سيّد الأوّلين والآخرين^(٤). وعن عليّ عليه السلام: ((هو اسم النبي ﷺ))^(٥).
﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، أو لأنّه دليل ناطق بالحكمة كالحي، أو لأنّه كلام حكيم، فوصف بصفة المتكلّم به.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ جواب القسم، ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ خبر بعد خبر، أي: إنّك لمن الرسل الثابتين على طريق ثابت وشرعة واضحة.

وقري: ﴿تَنْزِيلٍ﴾ بالرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، وبالنصب على: أعني. ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا﴾ لم ينذر ﴿ءَابَاؤُهُمْ﴾ قبلهم، لأنهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى ونبينا ﷺ، ومثله: ﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٦)، ﴿وَمَا

(١) ن: ١.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٢: ٩٧.

(٣) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٣٧١.

(٤) تفسير الماوردي ج ٥: ٥.

(٥) الكافي ج ٦: ٢٠ عن أحدهما عليه السلام.

(٦) القصص: ٤٦.

أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ^(١)، فيكون ﴿مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ في موضع نصب على الصفة.

وقد فسر ﴿مَا أُنْذِرَ﴾ على إثبات الإنذار بأن جعل ما مصدرية بمعنى: لتنذر قوماً إنذار آبائهم، أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني بمعنى: لتنذر قوماً ما أنذر آبأؤهم من العذاب كقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾^(٢).

وقوله: ﴿فَهُمْ غَفِلُونَ﴾ على التفسير الأول يتعلق بالنفي، أي: لم ينذروا فهم غافلون، على أن عدم إنذارهم سبب غفلتهم، وعلى الثاني يتعلق بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ لتنذر، كما تقول: أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ وهو قوله سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٣) أي: ثبت عليهم هذا القول ووجب لأنهم ممن علم من حالهم أنهم يموتون على الكفر.

ثم مثل تصميمهم على الكفر بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين، في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه، وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما بين أيديهم وما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا استبصار.

﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ معناه: فالأغلال واصله إلى الأذقان، فلا تخلية يطأطى رأسه فلا يزال مقمحا، وهو الذي يرفع رأسه ويغض بصره، ويقال: قمح البعير: إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء، وأقمحتها أنا، وبعير قامح، وإبل قماح، قال الشاعر يصف سفينة:

(١) سبأ: ٤٤.

(٢) النبأ: ٤٠.

(٣) السجدة: ١٣.

وَنَحْنُ عَلَىٰ جَوَانِبِهَا قُوعُودٌ نَغْضُ الطَّرْفَ كَالْإِبِلِ الْقِمَاحِ^(١)

وعن ابن عباس: (أَنَّ المعني بذلك ناس من قريش هموا بقتل النبي ﷺ فلم يستطيعوا أن يسيطوا إليه يداً، وخرج إليهم وطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يبصرونه)^(٢). وعلى هذا فيكون معنى السدين أنه جعلهم لا يبصرونه. ومعنى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾: جعلنا على أبصارهم غشاوة وحلنا بينهم وبينه.

إِنَّمَا نُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ
فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ
وَنَكْسِبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ
مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا
الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا
بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا
بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ
﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطْهَرُكُمْ لِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ
مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ
أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ آتِيعُوا الْمُرْسَلِينَ
﴿٢٠﴾ آتِيعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٤٨.

(٢) الدر المنثور ج ٥: ٢٥٩.

أي: ﴿إِنَّمَا﴾ [يتنفع بإنذارك]^(١) ﴿مَنْ أَتَّبَعَ﴾ القرآن ﴿وَحَشَى﴾ الله ملتبساً ﴿بِالْغَيْبِ﴾ يعني في حال غيبته عن الناس فبشر من هذه صفته ﴿بِمَغْفِرَةٍ﴾ من الله لذنوبه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ ثواب عظيم خالص من الشوب.

﴿نَحْيِ الْمَوْتِ﴾ نبعثهم يوم القيامة للجزاء، وعن الحسن: (إحياؤهم أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان)^(٢).

﴿وَنَكْتُبُ﴾ ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها.

﴿وَأَثَرُهُمْ﴾ أي: وأعمالهم التي صارت سنة من بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت أم قبيحة، ومن الآثار الحسنة: علم علم، أو كتاب في الدين صنف، أو صدقة أجريت، أو وقف وقف، أو مسجد لله بني... ونحو ذلك. ومن الآثار السيئة: وظيفة ضارة على المسلمين وظفت، أو شيء صاد عن ذكر الله من الملاهي والألحان أحدثت... ونحو ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾^(٣) أي: قدم من أعماله وأخر من آثاره،، وقيل: هي آثار المشائين إلى المساجد^(٤)، وقال عليه السلام: ((إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم))^(٥).

والإمام الميّن: هو اللوح المحفوظ، وقيل: هو صحائف الأعمال سمّاه ميّناً لأنّه لا يندرس أثره.

(١) في ب: ينفع إنذارك.

(٢) الكشف ج٤: ٧.

(٣) القيامة: ١٣.

(٤) عن الضحاك وغيره. الكشف والبيان ج٨: ١٢٢.

(٥) صحيح مسلم ج٢: ١٣٠.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾ مثل لهم من قولهم: عندي من هذا الضرب كذا، أي من هذا المثال، والمعنى: واضرب لهم مثلاً مثل ﴿أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ﴾ والمثل الثاني بيان للأول، و﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ﴾، والقرية: أنطاكية.

والمرسلون: رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها، بعثهم دعاة إلى الحق، وكانوا عبدة الأوثان، وإِنَّمَا أَضَافَ سُبْحَانَهُ إِرْسَالَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ أَرْسَلَهُمْ بِأَمْرِهِ.

﴿فَعَزَّزْنَا﴾ ففوّيناها وشددنا ظهورها برسول ثالث، يقال: المطر يعزز الأرض أي: يلبدها ويشدها. وقرئ: فعززنا بالتخفيف من: عزّه يعزّه إذا غلبه، أي: فغلبنا وقهرنا بثالث. وترك ذكر المفعول به لأن الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون الصفا رأس الحواريين.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ أولاً و﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ثانياً، لأن الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار.

وقوله: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم في التوكيد، ومثله قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾^(١)، و﴿عَلِمَ اللَّهُ﴾^(٢)، وإِنَّمَا حَسَنَ مِنْهُمْ هَذَا الْجَوَابُ الْوَاردَ عَلَى سَبِيلِ التَّوَكِيدِ لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وهو الظاهر المكشوف بالآيات والمعجزات الشاهدة بصحته، وإلا فلو قال المدعي: والله إِنِّي لَصَادِقٌ فِيمَا أَدْعِي، ولم يحضر البيّنة لكان قبيحاً.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ أي: تشاء منا ﴿بِكُمْ﴾ وذلك أَنَّهُمْ كَرِهُوا دِينَهُمْ وَنَفَرَتْ مِنْهُ نَفُوسُهُمْ.

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ عما تدعونه من الرسالة ﴿لَتَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة أو

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) البقرة: ١٨٧.

لنشتمنكم^(١).

قال الرسل: ﴿طَلَبَكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: سبب شؤمكم معكم، وهو إقامتكم على الكفر والشرك، فأما الدعاء إلى الإيثار والتوحيد فيه غاية اليمن والبركة.

﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ أي: أتظيرون إن ذكركم، وقرئ: أن ذكركم بالفتح، بمعنى: أتظيرون لئن ذكركم.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ في العصيان، فمن ثم أناكم الشؤم لا من قبل الرسل وتذكيرهم إياكم، بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم، متمادون في غوايتكم حيث تشائمون بمن يتبرك به.

﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾ هو حبيب بن إسرائيل النجار، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، فلما بلغه أن قومه هموا بقتل الرسل جاء يعدو ويشند. وعن النبي ﷺ: ((سَبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَصَاحِبُ يَاسِينَ، وَمَوْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، فَهَمُ الصَّادِقُونَ، وَعَلِيٌّ أَفْضَلُهُمْ^(٢))).

وقوله: ﴿مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ كلمة جامعة في الترغيب فيهم، أي: لا تحسرون معهم شيئاً من دنياكم وتربحون صحة دينكم فتفوزون بخيري الدنيا والآخرة.

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ أَمْسَتْ رَبِّيَكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلْ

(١) في ب: ليمسكنكم.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٨٥، الكشف والبيان ج ٨: ١٢٦.

الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي
 مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَزَلَّنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ ۖ مِنْ بَعْدِهِ ۖ مِنْ جُنْدٍ
 مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
 فَإِذَا هُمْ خَحَمْدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
 رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾

أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم تلطفاً لهم، فكانه
 قال: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم؟ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولم
 يقل: وإليه أرجع، ثم ساق كلامه ذلك المساق إلى أن قال: ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ
 فَاسْمِعُونِ﴾.

يريد: فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد تبهتكم على الحق الصريح والدين
 الصحيح الذي لا محيص عنه، وهو أن العبادة لا تصح إلا لمن أنشأ خلقكم
 وأوجدكم وإليه مرجعكم، ومن أنكر الأشياء في العقل أن تؤثر أو على عبادته عبادة
 أشياء، إن أرادكم هو ﴿يُضَرِّ﴾ وشفع لكم هؤلاء لم تنفعكم شفاعتهم ولم يقدرُوا
 على إنقاذكم، إنكم في هذا الاختيار لواقعون ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ ظاهر بين لا يخفى على
 ذي حجب.

ثم إن قومه لما سمعوا منه ذلك القول وطنوه بأرجلهم حتى مات، فأدخله
 الله الجنة وهو حيّ فيها يرزق، وذلك قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، وقيل: إتهم قتلوه
 على أن الله سبحانه أحياه وأدخله الجنة، فلما دخلها ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا
 غَفَر لِي رَبِّي﴾ تمتي أن يعلم قومه ما أعطاه الله تعالى من المغفرة وجزيل الثواب
 ليرغبوا في مثله ويؤمنوا لينالوا ذلك، وورد في حديث مرفوع: ((أنه نصح قومه

حيًا وميتًا^(١).

و(ما) في ﴿بِمَا عَفَرَلِي﴾ مصدرية أو موصولة، أي: [بمغفرة ربِّي لي، أو]^(٢) بالذي غفره ربِّي لي من الذنوب، ويجوز أن تكون استفهامية، أي بأي شيء غفر لي؟ يريد ما كان منه معهم من المصابرة على الجهاد في إعزاز دين الله حتى قتل، إلا أنه على هذا الوجه بم غفر لي بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزاً.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ﴾ بعد قتله ﴿[مِنْ جُنْدٍ﴾]^(٣) أي: لم ننزل لإهلاكهم جنداً من جنود السماء كما فعلنا يوم بدر ﴿وَمَا كُنَّا﴾ منزليهم على الأمم إذا أهلكتناهم. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي: لم يكن مهلكهم عن آخرهم إلا بأيسر أمر صيحة واحدة. أخذ جبرائيل بعصا دقي باب المدينة وصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم، لا يسمع لهم حس، كالنار إذا طفئت، وكأنه قال عز اسمه: إن أنزال الجنود من السماء من عظام الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك يا محمد، حيث أنزلوا يوم بدر والخندق وما كنا نفعله لغيرك. وقرئ: إلا صيحة بالرفع على كان التامة، أي: ما وقعت إلا صيحة، والقياس التذكير؛ لأنَّ المعنى: ما وقع شيء إلا صيحة، ولكن جَوَزَ ذلك لأنَّ الصيحة في حكم فاعل الفعل، ومثله بيت ذي الرمة:

وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ^(٤)

والقراءة بالنصب على معنى: إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة.

﴿يَحْصِرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ نوديت الحسرة كأنها قيل لها: تعال يا حسرة فهذا

(١) تخريج الأحاديث والآثار ج ٣: ١٦٣ عن تفسير ابن مردويه.

(٢) ساقطة من د.

(٣) ساقطة من ج.

(٤) ديوان شعر ذي الرمة: ٣٤١، وفيه: إلا الصدور، وصدرة: طوى النحر والارجاز ما في غروضها.

من أوقاتك التي حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسول. والمعنى: إنهم أحقأ بأن يتحسّر عليهم المتحسرون، أو هم متحسرون عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين، ويجوز أن يكون من جهة الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم، وفرط إنكاره له وتعجبه منه. وروي عن أبي بن كعب وابن عباس وعلي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام: يا حسرة العباد على الإضافة إليهم لا اختصاصها بهم من حيث أنها موجهة إليهم.

الَّذِينَ كَفَرُوا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْبُيُوتُ الَّتِي بَنَوْا لِنَفْسِهِمْ إِنَّهُمُ ابْنَاءُ اللَّهِ خَلْقُوا لَهُمْ مِمَّا يُصَلِّونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبُرُجُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ألم يعلموا، وهو معلق عن العمل في ﴿كَفَرُوا﴾ لأن (كم) لا يعمل فيها عامل قبلها، سواء كانت للاستفهام أم للخبر، لأن أصلها الاستفهام، و﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدل من ﴿كَفَرُوا أَهْلَكْنَا﴾ على المعنى لا على اللفظ، والتقدير: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون قبلهم كونهم غير راجعين إليهم، أي: لا يعودون إلى

الدنيا، أفلا تعتبرون بهم؟.

وقرئ: (لما) بالتخفيف على أن يكون (ما) صلة للتوكيد، و(إن) مخففة من الثقيلة، والتقدير: وإنه كلهم لمجموعون محشورون محضرون للحساب. وقرئ: ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد بمعنى (إلا) كمسألة الكتاب: نشدتك بالله لَمَّا فعلت^(١)، و(إن) نافية والتقدير: ما كل إلا مجموعون محضرون لدينا، والتنوين في ﴿كُلُّ﴾ عوض من المضاف إليه، والـ ﴿جَمِيعٌ﴾ فعيل بمعنى مفعول، يقال: حي جميع، وجاؤوا جميعاً. والقراءة بالميتة مخففة أشيع وأسلس على اللسان، و﴿أَحْيَيْنَهَا﴾ استئناف، بيان لكون الأرض الميتة آية، ودلالة لهم على قدرة الله على البعث، وكذلك ﴿نَسَلْخُ﴾ ويجوز أن يكونا صفتين لـ ﴿الْأَرْضُ﴾ و﴿الْأَيْلُ﴾ لأنه أريد بهما الجنسان مطلقين، لا أرض ولا ليل بأعيانها، فعموما معاملة النكرات في وصفها بالجمل، ونحوه:

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّيْلِمْ يَسُبُّنِي^(٢)

أي: أحييناها بالنبات ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا﴾ كل حب يتقوتونه مثل: الحنطة والشعير والأرز ونحوها.

﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ قدّم الظرف للدلالة على أنّ الحبّ هو الذي يتعلّق به معظم العيش ويقوم بالإرتزاق منه صلاح الإنس، وإذا قلّ جاء القحط.

وحصّ النخيل والأعناب لكثرة أنواعهما ومنافعهما.

﴿وَفَجَّرْنَا﴾ في الأرض أو في الجنات من عيون الماء.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ والمعنى: ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر، ومما ﴿عَمِلَتْهُ

(١) حكاه عنه في التنبيه والإيضاح ج٥: ١٥٣.

(٢) البيت لرجل من بني سلول. الكتاب ج٣: ٢٤، وبقية: فمضيت ثمت قلت لايعنيني.

أَيْدِيهِمْ ﴿٣١﴾ من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال، إلى أن بلغ الثمر متنهاها وأوان أكلها. وقرئ: ﴿ثَمَرِهِ﴾ وثمره بفتحين وضميتين وضمّة وسكون، وأصله: من ثمرنا كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا﴾، ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ فنقل الكلام من المتكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات. ويجوز أن يكون الضمير للنخيل وترك الأعناب غير مرجوع إليها الضمير، لأنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره، ويجوز أن يراد به: من ثمره المذكور وهو الحَبّات، كما قال رؤبة:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقَ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلَّيْعُ الْبَهَقِ^(١)
فستل عنه فقال: أردت كأن ذاك.

ويجوز أن يكون (ما) في ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ نافية، أي: ولم تعمل تلك الثمار أيديهم ولا يقدرّون عليه، وقرئ على الوجه الأول: وما عملت أيديهم من غير هاء.

و﴿الْأَزْوَاجَ﴾: الأشكال والأصناف والأجناس من الأشياء.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها، ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم، ولا يبعد أن يخلق الله من الحيوان والجهد ما لم يجعل للبشر طريقاً إلى العلم به في بطون الأرض وقعر البحار.

سلخ الشاة: كشط جلدها عنها، فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله.

﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي: داخلون في ظلام الليل لا ضياء لهم فيه.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي: لحدّها موقّت مقدّر تنتهي إليه من

فلكها في آخر السنة، شبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره، أو منتهى لها من المشارق والمغارب حتى تبلغ أقصاها فذلك مستقرها لأنها لا تعدوه، أو لحدّها من مسيرها كل يوم في مرثي عيوننا وهو المغرب، وقرأ ابن مسعود: لا مستقر لها وهو قراءة أهل البيت (عليه السلام). ومعناه: أنها لا تزال تجري لا يستقر ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكلّ الفطن عن استخراجها، تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علماً بكل معلوم.

وقرئ: ﴿وَالْقَمَرَ﴾ بالرفع على الابتداء أو عطفاً على ﴿أَيُّلٌ﴾ أي: ومن آياته القمر، وبالنصب بفعل مضمر يفسره ﴿قَدَرْنَاهُ﴾، والمعنى: قدرنا مسيره ﴿مَنَازِلٌ﴾ وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستو.

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ وهو عود العذق الذي تقادم عهده حتى يبس وتقوس، وقيل: إنه يصير كذلك في كل ستة أشهر^(١)، قال الزجاج: (هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف)^(٢). والقديم يدق وينحني ويصفّر، فشبه القمر به من ثلاثة أوجه.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ في سرعة سيره فإنها تقطع منازلها في سنة والقمر يقطعها في شهر، ولأنّ الله سبحانه باين بين فلكيهما ومجاريهما، فلا يمكن أن يدرك أحدهما الآخر.

﴿وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي: ولم يسبق الليل النهار.

﴿وَكُلٌّ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، والمعنى وكلهم الشمس

(١) عيون أخبار الرضا ج ١: ٢٤١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٢٨٨.

والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يسرون فيه بانسباط، وإنما قيل بالواو والنون لما أضيف إليها ما هو من فعل العقلاء. وعن ابن عباس: (معناه: يجري كل واحد منهما في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة)^(١).

وَأَيُّهُ لَهْمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ
مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْقِذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ
ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
انْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذَيْنِ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ
لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

قري: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد وذرياتهم على الجمع، وهم أولادهم ومن
يهمهم حملة، وقيل: إن اسم الذرية يقع على النساء لأنهن مزارعها. وفي الحديث:
((إنه نهي عن قتل الذراري))^(٢)، وخصصهم بالحمل لضعفهم، ولأنه لا قوة لهم على
السفر كقوة الرجال.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِ الْفَلَكِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ يعني الإبل، وهي سفن البر،

(١) تفسير الطبري ج ٢٣: ٧.

(٢) صحيح ابن حبان ج ١: ٣٤٧، وينظر: الخصال: ٢١٤.

وقيل: ﴿أَفْلُكِ الْمَشْحُونِ﴾ سفينة نوح^(١).

و﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي: مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق.

﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ أي: لا مغيث لهم، أولا إغاثة، يقال: أتاها الصريخ.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: لرحمة منا والتمتع بالحياة إلى أجل يموتون فيه لا بد لهم

منه بعد النجاة من موت الغرق.

وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوف يدلّ عليه قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾، كأنه

قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا﴾ أعرضوا، ثم قال: وعادتهم الإعراض عند كل آية

وموعظة. وعن الصادق عليه السلام: ((معناه: اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب وما خلفكم

من العقوبة))^(٢).

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قول الله سبحانه، أو حكاية قول المؤمنين

لهم، أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين.

وقرئ: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بإدغام التاء من يختصمون في الصاد مع فتح

الخاء وكسرهما وإتباع الياء الخاء في الكسر، ويخصمون من خصمه يخصمه. أي:

يختصمون في أمورهم ويتبايعون في أسواقهم، يعني: إنّ القيامة تأتيهم بغتة فلا

يقدرّون على الإيصاء بشيء، ولا يرجعون إلى منازلهم من الأسواق.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾

قَالُوا يَوَلَّيْنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ

(١) عن ابن عباس وغيره. تفسير الطبري ج ٢٣: ٨.

(٢) مجمع البيان ج ٧-٨: ٤٢٧.

جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَتْكَهَوْنَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنْكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿يَنْسِلُونَ﴾ يعدون، وهي النفخة الثانية.

﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقِدًا﴾ من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياماً؟ لأنَّ إحياءهم كالإنباه من الرقاد، وقيل: إنهم عدّوا أحوالهم في قبورهم بالإضافة إلى أهوال القيامة رقاداً^(١). وروي عن عليٍّ عليه السلام أنه قرأ: مَنْ بَعَثْنَا عَلَى مِنَ الْجَارَةِ وَالْمَصْدَرِ. ﴿هَذَا﴾ مبتدأ و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبره وما مصدرية أو موصولة. ويجوز أن يكون ﴿هَذَا﴾ صفة لـ ﴿مَرْقِدًا﴾ و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هذا وعد الرحمن. وعن قتادة: (أول الآية قول الكافر، وآخر الآية ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ قول المسلم)^(٢)، وقيل: هو كلام الكافرين أيضاً يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيئون به أنفسهم أو يجيب بعضهم بعضاً^(٣).

وإذا جعلت (ما) موصولة فتقديره: هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون، أي: صدقوا فيه، من قولهم: صدقوهم القتال، والمثل: (صدقني سن

(١) الكشف والبيان ج ٨: ١٣٠.

(٢) الدر المنثور ج ٥: ٢٦٦.

(٣) عن ابن زيد. تفسير الطبري ج ٢٣: ١٢.

بكره^(١)، أي: هو الذي وعده الله في كتبه المنزلّة على ألسنة رسله الصادقين، وليس يبعث النائم من مرقده بل هو البعث الأكبر.

أي: لم تكن تلك المدة إلا مدة صيحة واحدة، فإذا الأولون والآخرون مجموعون ﴿لَدَيْنَا﴾ في عرصات القيامة، محصلون في موقف الحساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ﴾ حكاية ما يقال في ذلك اليوم، وفي مثل هذه الحكاية تصوير للموعد، وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص على العمل بما يشره ويؤدي إليه ﴿فِي شُغْلٍ﴾. وقرئ: شغل بسكون الغين وهما لغتان، أي: في أي شغل لا يحاط بوصفه، وهو النعيم الذي شملهم وشغلهم عما فيه أهل النار فلا يذكروهم وإن كانوا أقاربهم، وقيل: شغلوا بافتضاض العذارى^(٢) وقيل: باستماع الألحان^(٣).

وقرئ: ﴿فَنِكْهُونَ﴾ وفكهون والمعنى واحد، أي: متنعمون متلذذون، ومنه الفكاهة لأنها مما يتلذذ به، وقيل: فرحون طيبو النفوس معجبون بما هم فيه من الفكاهة وهي المزاح والأحاديث الطيبة.

﴿هُمْ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ، وأن يكون تأكيداً للضمير في ﴿شُغْلٍ﴾ وفي ﴿فَنِكْهُونَ﴾ على أن أزواجهم تشاركهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء ﴿عَلَى﴾ الحجلة، وقيل: كل ما اتكى عليه فهو أريكة^(٤).

(١) مجمع الأمثال ج ٢: ٢١٢.

(٢) عن ابن عباس. الدر المشور ج ٥: ٢٦٦.

(٣) عن وكيع بن الجراح. الكشف والبيان ج ٨: ١٣١.

(٤) لسان العرب: مادة أرك.

﴿وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ أي: يتمنون ويشتهون، من قولهم: ادع عليّ ما شئت، بمعنى: تمتّه عليّ، وقيل: هو يفتعلون من الدعاء، أي: يدعون به لأنفسهم^(١)، كقولك: اشتوى إذا شوى لنفسه.

﴿سَلَّمَ﴾ بدل من ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ كأنّه قال لهم: سلام، يقال لهم ﴿قَوْلًا مِّنْ﴾ جهة ﴿رَبِّ رَحِيمٍ﴾. والمعنى: إنّ الله سبحانه سلّم عليهم بواسطة الملك أو بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم، وذلك متمّناهم، ولهم ذلك ما يمنعون. وقيل: ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ مبتدأ، و﴿سَلَّمَ﴾ خبره بمعنى: ولهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه، ف﴿قَوْلًا﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿وَهُمْ مَا يَدْعُونَ سَلَّمَ﴾، أي: عدة من ربّ رحيم^(٢).

﴿وَأَمْتَرُوا﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة، وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة، يقال: مزّته فامتاز وانماز، وعن قتادة: (اعتزلوا عن كل خير)^(٣)، وعن الضحاك: (لكل كافر بيت في النار يدخله فيردم بابه لا يرى ولا يرى)^(٤).

هذا إشارة إلى ما عهد إليهم فيه من معصية الشيطان وطاعة الرحمن. ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ بليغ في استقامته، حقيق بأن يوصف بالكمال في بابه.

(١) إعراب القرآن ج ٣: ٤٠١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٢٩٢.

(٣) تفسير الطبري ج ٢٣: ١٦.

(٤) معالم التنزيل ج ٣: ٢٠٥.

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾
 هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ
 تَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْفِمْنَا أَيْدِيهِمْ
 وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا
 عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ
 لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيّاً وَلَا
 يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ تُعَذِّبْهُ نُكَسِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ
 ﴿١٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ
 ﴿١٩﴾ لِنُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحْقُقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿جِيلاً﴾ قرئ بضمتين، وبضمة وسكون وبضمتين وتشديداً، وبكسرتين
 وتشديداً، ومعناها جميعاً: الخلق الكثير الذي جبلوا على خليقته، أضلهم الشيطان
 بأن دعاهم إلى الضلال وحملهم على الضلال وأغواهم.

﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ أي: الزموها وصيروا صلاحها، أي: وقودها بسبب كفركم
 وتكذيبكم الأنبياء.

﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي: إلى الصراط، فحذف الجار وأوصل الفعل،
 أو ضمن استبقوا معنى: ابتدروا، أو نصب ﴿الصِّرَاطَ﴾ على الظرف، والمعنى:
 ولو نشاء لمسخنا أعينهم، فلو حاولوا أن يستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه
 إلى مقاصدهم كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرّفاتهم لم يقدروا، فكيف
 ﴿يُبْصِرُونَ﴾ ويعلمون جهة السلوك وقد أعميناهم؟!.

والمكانة والمكان واحد، كالقائمة والمقام. وقرئ ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾
 ومكاناتهم على التوحيد والجمع، أي: لمسخناهم مسخاً يمجدهم على مكانهم لا

يقدر أن يبرحوه بمضي ولا رجوع بأن نجعلهم حجارة، وقيل: لمسخناهم قردة وخنازير في منازلهم فلا يستطيعون مضياً عن العذاب ولا رجوعاً إلى الحلقة الأولى بعد المسخ.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ﴾ أي: نقلبه في الخلق فنخلقه على عكس ما خلقناه قبل، إذ كان يتزايد في القوة والعقل والعلم إلى أن استكمل قوته وبلغ أشده، وإذا انتهى نكسناه في الخلق، فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والعلم، كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله، كما قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾^(١) ثُمَّ ﴿يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ يُعَلِّمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٢). وقرئ: نكسه من التنكيس.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ بتعليم القرآن ﴿الشِّعْرَ﴾ ومعناه: إن القرآن ليس بشعر، ولا مناسبة بينه وبين الشعر، لأن الشعر كلام موزون مقفى، وليس القرآن منه في شيء. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي: وما يصح له، وما ينطلب لو طلب، فلو أراد أن يقول الشعر لم يتأت له ولم يتسهل، حتى لو تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسراً، كما روي أنه كان يتمثل بهذا البيت:

كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً

فقال أبو بكر: إنما قال الشاعر

كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

أشهد أنك رسول الله^(٣)

(١) التين: ٥.

(٢) الحج: ٥.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ ق ٢: ١٠٢.

وأما قوله ﷺ: ((أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ))^(١) وما روي من نحوه فإن ذلك كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه، إلا أنه اتفق أن جاء موزوناً من غير قصد منه، كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعراً، ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنه شعر، على أن الخليل لم يكن يعد المشطور من الرجز شعراً^(٢).

ولما نفى سبحانه أن يكون القرآن شعراً قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: ما هو إلا ذكر من الله يوعظ به الإنس والجن كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وما هو إلا قرآن يقرأ في المحارب، وينال بقراءته والعمل بها فيه فوز الدارين. ﴿لِيُنذِرَ﴾ القرآن أو الرسول ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: عاقلاً متأملاً، لأن غير العاقل كالميت، أو من المعلوم من حاله أن يؤمن فيحيا بالإيمان.

﴿وَبِحَقِّ الْقَوْلِ﴾ أي: ويجب الوعيد ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بكفرهم.
 أَوَّلَهُ يَرَوُا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمَّا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَتَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

(١) مغازي الواقدي ج ١ : ٢٨٠.

(٢) كتاب العين ج ٦ : ٦٤.

(٣) التكويز: ٢٧.

﴿وَمَا عَلِمْتَ آيَاتِنَا﴾ أي: مما تولينا خلقه وإنشاءه ولم يقدر على توليه غيرنا.
 ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ أي: خلقنا ﴿أَنعَمًا﴾ لأجلهم فملكناهم إياها فهم متصرفون فيها تصرف الملاك، أو فهم لها ضابطون قاهرون، لم نخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرّون على ضبطها، فهي مسخرة لهم، وهو قوله: ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾.
 والركوب والركوبة: ما يركب، كما أنّ الحلوب والحلوبة: ما يجلب، أي: فمنها ما ينتفعون بركوبه ومنها ما ينتفعون بذبحه وأكله.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ﴾ منها لبس أصوافها وأوبارها وأشعارها، وشرب ألبانها إلى غير ذلك من وجوه الانتفاع بها، والمشارب: جمع المشرب وهو موضع الشرب أو الشُّرب.

﴿وَاتَّخِذُوا... ءَالِهَةً﴾ يعبدونها طمعاً في أن ينصروهم، ويدفعوا عنهم، ويشفعوا لهم عند الله، والأمر على عكس ما قدروا فإنهم يوم القيامة ﴿جُنْدٌ مُّخَضَّرُونَ﴾ لعذابهم لأنهم يجعلون وقود النار، أو اتخذوهم طمعاً في أن يتقوا بهم، والأمر بالضد مما توهموه، إذ هم جند لألهتهم يخدمونهم ويذبون عنهم، والآلهة ليس لهم قدرة على نصرهم، فلا يهتلك قولهم في تكذيبك وأذاهم إياك، فإنّا عالمون بما ﴿يُسرُّون﴾ من عداوتهم ﴿وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ وإنا نجازيهم على ذلك.

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ
 (٧٧) وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُعْجِ الْعَظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ

عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ الْمَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَئِنَّهُ لَرُجْعُونَ ﴿٨٣﴾

روي: أن أبي بن خلف والعاص بن وائل جاءا بعظم بال متفتت، وقالوا: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟! فقال: نعم، فنزلت^(١).

فتح الله سبحانه إنكارهم البعث تقييحاً عجيباً، حيث قرره بأن خلقهم من النطفة التي هي أحسن شيء، ثم عجب من حالهم بأن يتصدوا مع مهانة مبدئهم لمخاصمة الجبار ويقولوا: من يقدر على إحياء الميت بعدما رمت عظامه؟! ثم يكون خصامه في ألزم وصف له، وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر الإنشاء من الموات، فهذه مكابرة لا مطمح وراءها. وقيل: معناه: فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً رجل مميز منطبق قادر على الخصام، معرب عما في نفسه فصيح.

وسمي قوله: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ مثلاً لما دلّ عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل، وهي إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، أو لما فيه من التشبيه، لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الأولى. فإذا قيل: من يحيي العظام وهي رميم على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف سبحانه بالقدرة عليه، كان تعجيزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه. والرميم: ما بلي من العظام، ومثله: الرمة والرفات، وهو اسم غير صفة فلذلك لم يؤنث.

ويريد بـ ﴿الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المرخ والعفار، وهما شجرتان تتخذ الأعراب

(١) ينظر: الكشف والبيان ج٨: ١٣٧.

زنودها منها، فبين سبحانه أنّ من قدر على أن يجعل في الشجر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حتى إذا حكّ بعضه ببعض خرجت منه النار، قدر أيضاً على الإعادة. وقرئ: يقدر أيضاً هنا وفي الأحقاف^(١).

واحتمل قوله: ﴿أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ معنيين: أن يخلق مثلهم في القمأة والصغر بالإضافة إلى السماوات والأرض، أو أن يعيدهم لأنّ الإعادة مثل الابتداء وليس به إنّما شأنه ﴿إِذَا أَرَادَ﴾ تكوين شيء ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ﴾ معناه أن يكونه من غير توقف ﴿فَيَكُونُ﴾ فيحدث، أي: فهو كائن لا محالة. وحقيقته: أنّه لا يمتنع عليه شيء من المكونات، وأنّه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر من الأمر المطاع، و(يكون) خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهو يكون، فهي جملة معطوفة على جملة هي: أمره أن يقول له كن. ومن قرأ بالنصب فللعطف على ﴿يَقُولَ﴾ والمعنى: إنّ لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئاً مما تقدر عليه من الأفعال المباشرة بمحال القدرة واستعمال الآلات، وما يتبع ذلك من التعب واللغوب.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل فيتكون الفعل، فكيف يعجز عزّ اسمه عن مقدور حتى يعجز عن الإعادة؟!.

﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: هو مالك كل شيء، والمتصرّف فيه بموجب مشيئته وقضايا حكمته، أي: فتزيتها له عن نفي القدرة على الإعادة وعن كل ما لا يليق بصفاته. وعن ابن عباس: (كنت لا أعلم كيف خصّت (سورة يس) بالفضائل التي رويت في قراءتها، فإذا إنّ هذه الآية)^(٢).

(١) الآية ٣٣.

(٢) الكشف ج ٤: ٣٢.

سورة الصافات

مكية، وهي مائة وإحدى وثمانون آية بصري، اثنتان غيرهم، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ غير البصري.

في حديث أبي: ((من قرأ (سورة الصافات) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعدت منه مردة الشياطين، وبرئ من الشرك، وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين))^(١)، وعن الصادق عليه السلام: ((من قرأ (سورة الصافات) في كل جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة، مدفوعاً عنه كل بلية في حياته الدنيا، مرزوقاً بأوسع ما يكون من الرزق، ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا من جبار عنيد، وإن مات في يومه أو في ليلته بعثه الله شهيداً وأدخله الجنة مع الشهداء))^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ (١) فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ۝ (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ (٣)
إِنَّ إِلَهَهُمْ لَوَاحِدٌ ۝ (٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشْرِقِ ۝ (٥) إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝ (٦) وَحِفْظًا

(١) الكشف والبيان ج: ٨: ١٣٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١١٢.

مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا الْآخِلَى وَيُقَذَّبُونَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

قرئ بإدغام التاء في الصاد، وفي الزاي، وفي الذال، والأكثر الإظهار.
أقسم الله سبحانه بالملائكة تصفّ صفوفاً في السماء، أو تصفّ أقدامها في
الصلاة كما يصفّ المؤمنون، أو أجنحتها في الهواء منتظرة لأمر الله؛ وبالملائكة التي
تزجر الخلق عن المعاصي زجراً، أو تزجر السحاب وتسوقها. وقيل: هي آيات
القرآن الزاجرة عن القبائح^(١). والتاليات: الملائكة تتلو كتاب الله الذي كتبه لها
وفيه ذكر الحوادث، فتزداد يقيناً بوجود المخبر على وفق الخبر، وقيل: هي نفوس
العلماء العمال^(٢).

﴿الصَّافَّاتِ﴾ أقدامها في التهجد وسائر الصلوات و صفوف الجماعات.

﴿فَالزَّجَرَتْ﴾ بالمواعظ والنصائح.

﴿فَالتَّلِيَّتِ﴾ آيات الله الدارسات شرائعه.

وقيل: هي نفوس الغزاة في سبيل الله التي تصفّ الصفوف، وتزجر الخيل
للجهاد، وتتلو الذكر مع ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل، كما يحكى عن علي^(٣).

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو خبر بعد خبر.

﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ مشارق الشمس: مطالعها، تطلع كل يوم من مشرق

(١) عن قتادة. تفسير الطبري ج ٢٣: ٢٣.

(٢) الكشف ج ٤: ٣٣.

(٣) الكشف ج ٤: ٣٤.

وتغرب من مغرب، وخصّ المشارق بالذكر لأنّ الشروق قبل الغروب.

﴿السَّمَاءُ الدُّنْيَا﴾ أي: القريبى منكم.

﴿بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ الزينة مصدر كالنسبة، أو اسم لما يزان به الشيء، كالليقة اسم لما يلاق به الدواة، وإن أردت المصدر فهي مضافة إلى الفاعل، أي: بأن زانتها الكواكب، وأصله: بزينة الكواكب، أو إلى المفعول أي: بأن زان الله الكواكب وحسّنها لأنّها إنّما زينت السماء لحسّنها في ذواتها، وأصله: بزينة الكواكب وهي قراءة أبي بكر بن عياش^(١). وإن أردت الاسم فللاضافة وجهان: أن تقع بياناً للزينة، لأنّ الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به؛ وأن يراد ما زينت به الكواكب، وجاء عن ابن عباس: (بزينة الكواكب: بضوء الكواكب)^(٢).

ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة، كشكل بنات نعش والثريا وغير ذلك من مسائرهما ومطالعهما، وقرئ على هذا المعنى ﴿بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال، ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلاً من محلّ بزينة.

﴿وَحَفَظًا﴾ محمول على المعنى، لأنّ معناه: خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشياطين، كما قال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(٣). ويجوز تقدير فعل معلل به، أي: وحفظاً من كل شيطان زيناها بالكواكب، وقيل: حفظناها حفظاً من كل شيطان^(٤).

(١) أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحنات الاسدي النهشلي الكوفي، اختلف في اسمه، ولد سنة ٩٥ هـ وقطع الاقراء قبل موته بسبع سنين، مات سنة ١٩٣ هـ وقيل سنة ١٩٤ هـ. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج ١: ٣٢٥.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ١٤٠.

(٣) الملك: ٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ج ٤: ٢٩٨.

﴿مَّارِدٍ﴾ خارج من الطاعة متملس منها.

والضمير في ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ لـ ﴿كُلِّ شَيْطَانٍ﴾، لأنه في معنى الشياطين، وقرئ بالتخفيف والتشديد، وأصله يتسمعون، والتسمع: طلب السماع، يقال: تسمع فسمع أو فلم يسمع، وهو كلام منقطع مما قبله فيه اقتصاص حال المسترقة للسمع، وأنهم لا يقدر أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا إليه.

وهم مقذفون ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جوانب السماء بالشهب، مدحورون عن ذلك أي: مدفوعون بالعنف مطرودون ﴿وَلَهُمْ﴾ مع ذلك ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم يوم القيامة.

﴿إِلَّا مَنْ﴾ أمهل حتى ﴿خَطَفَ﴾ خطفة، أو استرق استراحة، فعندها يعاجله الهلاك بإتباع الشهاب الثاقب وهو النير المضيء، والفرق بين قولك: سمعت فلاناً يتحدث، وسمعت إليه يتحدث، أن المعدى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك.

و﴿الْمَلَا أَلْعَلَى﴾ الملائكة، لأنهم يسكنون السماوات، والإنس والجن الملائ الأسفل لأنهم سكان الأرض، وعن ابن عباس: (هم أشراف الملائكة)^(١)، وعنه: (الكتابة من الملائكة)^(٢).

و﴿دُحُورًا﴾ في موضع الحال، أي: مدحورين، أو مفعول له أي: يقذفون للدحور، و﴿مَنْ خَطَفَ﴾ مرفوع الموضع بدل من الواو في ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة.

(١) الكشف ج ٤: ٣٦.

(٢) الكشف ج ٤: ٣٦.

فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ
 (١١) ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (١٢) ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ (١٣) ﴿وَإِذَا
 رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ﴾ (١٤) ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) ﴿أَوَإِذَا مَنَّا
 وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١٦) ﴿أَوَإِنَّا لَأَوَّلُونَ﴾ (١٧) ﴿قُلْ نَعَمْ
 وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ﴾ (١٨) ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩) ﴿وَقَالُوا
 يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾ (٢٠) ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾
 (٢١) ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) ﴿مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيمِ﴾ (٢٣) ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤) ﴿مَا
 لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ (٢٥) ﴿بَلْ هُمْ أَیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ (٢٦)

أي: فاستخبرهم ﴿أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي: أقوى خلقاً وأصعب خلقاً ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ [من الملائكة والسموات والأرض والكواكب، وغلب ما يعقل فقال: ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾] (١).

﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ يعني: آدم عليه السلام، فإنهم نسله وذريته، واللازب: الملتصق من الطين الحر، وهذه شهادة عليهم بالضعف والرخاوة، لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلاية والقوة.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث، أو عجبت من تكذيبهم إياك وهم يسخرون من تعجبك، وقرئ: بل عَجِبْتُ وهو قراءة علي عليه السلام وابن عباس، ومعناه: بلغ من كثرة آياتي وعظم مخلوقاتي أن عجبت من إنكارهم البعث ممن هذه أفعاله، وهم يسخرون ممن يصفني بالقدرة على البعث، ويكون العجب المسند إلى الله تعالى بمعنى الاستعظام. وقد جاء في

الحديث: ((عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم))^(١). وقيل: معناه: قل يا محمد: بل عجبت^(٢).

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ أي: خوفوا بالله ووعظوا بالقرآن لا يتعظون.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ من آيات الله معجزة كانشقاق القمر وغيره ﴿يَنْتَسِرُونَ﴾ أي: يبالغون في السخرية، أو يستدعي بعضهم بعضاً للسخرية، أو يعتقدونه سخرية كما يقال: استقبحه أي: اعتقده قبيحاً.

﴿أَوْ أَبَاؤُنَا﴾ عطف على الضمير في ﴿مَبْعُوثُونَ﴾، وجوز العطف عليه للفصل بهمزة الاستفهام، أو عطف على موضع (إن) واسمه، يعنون: إن آباءهم أقدم فبعثهم أبعد، وقرئ: أو أبأؤنا ومثله في سورة الواقعة^(٣).

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنْتُمْ ذَخِرُونَ﴾ صاغرون أشد الصغار.

﴿وَأَنْتُمْ﴾ جواب شرط مقدر، والتقدير: إذا كان ذلك فما هي إلا ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ أي: صيحة واحدة من إسرافيل وهي نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياء بصراء ﴿يَنْظُرُونَ﴾ وهي ضمير مبهم لا يرجع إلى شيء ويوضحها خبرها، ويجوز أن يكون: فإنما البعثة زجرة واحدة.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: ويقولون معترفين على نفوسهم بالمعصية ﴿يَوَلَّيْنَا﴾ من العذاب ﴿هَذَا يَوْمٌ﴾ الحساب أو الجزاء.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء بين الخلائق وتميز الحق من الباطل ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ يقولون ذلك بعضهم لبعض، وقيل: هو كلام الملائكة

(١) غريب الحديث ج ٢: ٢٦٩.

(٢) عن علي بن سليمان. إعراب القرآن ج ٣: ٤١٣.

(٣) الآية: ٤٨.

جواباً لهم^(١).

﴿أَخْشَرُوا﴾ خطاب الله للملائكة، أو خطاب بعض الملائكة لبعض.

﴿وَأَزْوَجَهُمْ﴾ أي: ضرباءهم وأشباههم من العصاة، أهل الزنا مع أهل الزنا، وأهل الخمر مع أهل الخمر، وقيل: وأزواجهم الكافرات^(٢)، وقيل: وقرناءهم من الشياطين^(٣).

﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾ فعرفوهم طريق النار حتى يسلكوها.

﴿وَقَفُّوهُمْ﴾ واحبسوهم عن دخول النار ﴿لَا تَهُمُّ مَسْئَلُهُمْ﴾ عما دعوا إليه من البدع، وقيل: عن أعمالهم وخطيئاتهم^(٤)، وعن أبي سعيد الخدري وسعيد بن جبيرة: (عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٥). يقال: وقفت أنا، ووقفت غيري.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متناصرين.

﴿بَلْ هُمْ أَتَيْنَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ نَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ

(١) تفسير السمرقندي ج ٣: ١٣١.

(٢) عن الحسن. معالم التنزيل ج ٣: ٢٠٩.

(٣) عن الضحاك. معالم التنزيل ج ٣: ٢٠٩.

(٤) عن عطية. الدر المشورج ٥: ٢٧٣.

(٥) شواهد التنزيل ج ٢: ١٠٧.

﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَهُمْ إِنَّا لَا تَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

﴿يَسَاءَلُونَ﴾ يتعابون ويتلاومون، يقول الغاوي للذي أغواه: لِمَ أغويتني؟ ويقول ذلك المغوي له: لِمَ قبلت مني؟.

و﴿الْيَمِينِ﴾ مستعارة لجهة الخير وجانبه، ومعناه: إنكم كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا أَنَّ الحقَّ والدين ما تضلوننا به، وقيل: إنها مستعارة للقوة والقهر، لأنَّ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش^(١)، ومعناه: أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر فتجبروننا على الضلال، فأجابوهم بأن قالوا: بل اللوم لازم لكم إذ لم يكن ﴿لَنَا عَلَيْكُمْ﴾ قدرة نجبركم بها على الغي ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ متجاوزين الحد في الكفر.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ فلزمننا ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾ ووعيده: بآنا ذائقون لعذابه لا محالة، لعلمه بحالنا واستحقاقنا العقوبة، ولو حكى الوعيد كما هو لقال: إنكم لذائقون، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم، ونحوه قول الشاعر:

لَقَدْ زَعَمْتُ هَوَازِنُ قَلَّ مَالِي^(٢)

(١) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٣٨٤.

(٢) البيت لزيد بن الجهم الهلالي. الوافي بالوفيات ج ١٥: ٢٣، وفيه: تسألني هوازن أين مالي وما لي غير ما أنفقت مال.

ولو حكي قولها لقال: قل مالك.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: فَإِنَّ المتبوعين والتابعين جميعاً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم ﴿مُشْرِكُونَ﴾ في العذاب والإهانة، كما كانوا مشركين في الغواية.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يأنفون من قول لا إله إلا الله، ويستخفون بمن يدعوهم إلى هذه المقالة.

﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿لَذَاقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ على كفركم ونسبتكم رسول الله ﷺ إلى الشعر والجنون.

﴿وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا﴾ مثل ما عملتم جزاء سيئاً بعمل سيئ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع.

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَّهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتٍ
النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ
﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ
﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي
كَانَ لِي قَرِيبٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْ تَك لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ أِهَذَا مِنَّا وَكُنَّا
تُرَابًا وَعِظْمًا أَهْ تَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ
فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا
نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا
مَوَلَّنَا أَوَّلَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿٦٠﴾ لِيُنْزِلَ هَذَا فليَعْمَلَ الْعَمِلُونَ ﴿٦١﴾

حكم لهم سبحانه بالرزق المعلوم المقدر، ثم فسّر ذلك الرزق بالفواكه، وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة. والمعنى: إنّ رزقهم كله فواكه، لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، إذ أجسامهم محكمة مخلوقة للأبد، فلا يأكلون ما يأكلون إلا للتلذذ، وقيل: معلوم الوقت، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(١).

﴿وَهُمْ مُكْرِمُونَ﴾ هو ما قاله الشيوخ^(٢) في حدّ الثواب: أنّه النفع المستحقّ المقارن للتعظيم والإجلال.

﴿مُنْقَلِبِينَ﴾ يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض، وهو أتمّ للأنس والسرور.

﴿يَكْأَسُ﴾ هو الإناء بما فيه من الشراب، وعن الأخفش: (كل كأس في القرآن فهي الخمر)^(٣).

﴿مِنْ مَّعِينٍ﴾ من شراب جار في أنهار ظاهرة للعيون، وصف بما يوصف به الماء لآلئه يجري في الجنة كما يجري الماء.

﴿بَيَّضَاءَ﴾ صفة للكأس ﴿لَذَّةٍ﴾ هي تأنيث اللذ ووزنه فعل مثل: صب وطب، وقال يصف النوم:

وَلَدٌ كَطَعِمِ الصَّرْخَدِيِّ تَرَكُّهُ
بِأَرْضِ الْعِدَى مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ^(٤)

أو وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وذاتها.

(١) مريم: ٦٢.

(٢) في هامش د: يعني شيوخ المعتزلة.

(٣) الكشف والبيان ج ٨: ١٤٤.

(٤) أمالي القالي ج ١: ٢١٠ دون نسبة وكذا في المصادر المتوفرة.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا يغال عقولهم فتذهب بها، ولا يصيبهم منها وجع.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾ من نزع الشارب: إذا ذهب عقله، ويقال للمطعون إذا خرج دمه كله: نزع فمات، وقرئ: ينزفون من أنزع الشارب: إذا ذهب عقله أو شرا به، ومعناه: صار ذا نزع، ومثله: أقشع السحاب وقشعته الريح، وأكب الرجل وكبته، وحقيقتها: دخلا في القشع والكب.

﴿فَصَبْرٌ طَافٌ﴾ قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم، أو لا يفتحن أعينهن دلالاً.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ في الأداحي، وهو بيض النعام، والعرب تشبه بها النساء وتسميهن ببيضات الخدور.

﴿فَأَجَلٌ بَعْضُهُمْ﴾ معطوف على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ والمعنى: يشربون فيتحدثون على الشراب فيقبل ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءُ لُونٌ﴾ عما جرى عليهم ولهم في الدنيا، إلا أنه جيء به ماضياً على عادة الله عز اسمه في إخباره.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ في دار الدنيا أي: صاحب يختص بي ﴿يَقُولُ﴾ لي على وجه الإنكار عليّ والتهجين لي: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمَصْدُوقِينَ﴾ بالبعث والحساب.

﴿لَمَذِيُونٌ﴾ أي: لمجزيون، من الدين الذي هو الجزاء، أو لمسوسون مربوبون، من دانه إذا ساسه. وفي الحديث: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت))^(١).

﴿قَالَ﴾ أي: ذلك القائل لإخوانه في الجنة: ﴿هَلْ أَنتُمْ مُّطْلَعُونَ﴾ إلى النار

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج ٢: ١٤٣، كتاب الزهد والرقائق: ٥٦.

لأريكم ذلك القرين؟ وقيل: إنَّ القائل هو الله تعالى^(١)، وقيل: بعض الملائكة، يقال: طلع علينا فلان وأطلع وأطلع بمعنى واحد، عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه ﴿فَأَطَّلَعَ﴾ هو بعد ذلك فرأى قرينه ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ في وسطها.

﴿قَالَ﴾ له: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرِيدِنِي﴾ إن هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، أي: إنك كدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني إليه ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ عليَّ بالعصمة والتوفيق ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾ الذين أحضروا العذاب معك في النار. والفاء عاطفة على محذوف تقديره: أنحن مخلصون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين؟! والمعنى: إنَّ هذه حال المؤمنين أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى، بخلاف الكفار فإنتهم في آلام وغموم وأحوال يتمنون فيها الموت كل ساعة، وإنَّما يقوله المؤمن تحذراً بنعمة الله بمسمع من قرينه ليكون توبيخاً له، ويجوز أن يكون قولهم جميعاً.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: إنَّ هذا الأمر الذي نحن فيه، وقيل: هو من قول الله عزَّ اسمه تقريراً لقولهم.
تمت قصّة المؤمن وقرينه.

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ سَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿١٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿١٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمِيمٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿١٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٢٠﴾

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرَكِيْفَ كَانَ عَذِيبُهُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

ثم عاد سبحانه إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً﴾ أي: خير حاصلًا، وأصل النزل: الفضل والريع في الطعام، فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم: اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم والغم. و﴿نُزْلاً﴾ منصوب على التمييز أو الحال، والنزل: ما يقام للنازل بالمكان من الرزق. ومعنى الأول: إنّ للرزق المعلوم نزلاً، ولشجرة الزقوم نزلاً، فأيهما خير نزلاً؟ ومعنى الثاني: إنّ الرزق المعلوم نزل أهل الجنة، وشجرة الزقوم نزل أهل النار، فأيهما خير في كونه نزلاً؟

﴿فَنَنَّا لِلظَّالِمِينَ﴾ افتنوا بها إذ كذبوا بكونها، وقيل: عذاباً لهم^(١)، من قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾^(٢).

والطلع يكون للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها، وشبهه برؤوس ﴿الشَّيَاطِينِ﴾ دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، وقيل: الشيطان: حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جداً^(٣)، وقيل: إنّ شجراً يقال له: الأستن خشناً متنتاً مرّاً منكر الصورة يسمى ثمرة: رؤوس الشياطين.

(١) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج ٥: ٥١.

(٢) الذاريات: ١٣.

(٣) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٣٨٧.

﴿لَا يَكُونُ مِنْهَا﴾ أي: من طلعها ﴿فَمَا لَوْ﴾ بطونهم منه لشدة ما يلحقهم من الجوع، فتغلي بطونهم ويعطشون فيسقون بعد ملي ما هو أحر، وهو الشراب المشوب بالحميم ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بعد أكل الزقوم وشرب الحميم ﴿إِلَى الْجَحِيمِ﴾ وذلك أنهم يوردون الحميم كما يورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم وهي النار المتوقدة.

﴿إِنَّهُمْ﴾ صادفوا ﴿إِبَاءَهُمْ﴾ ذاهبين عن الحق، فهم يسرعون ﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ ويتبعونهم اتباعاً، أي: ضلّ قبل هؤلاء الكفار عن طريق الهدى أكثر الأولين من الأمم الخالية، وفيه دلالة على أنّ أهل الحق في كل زمان كانوا أقل من أهل الباطل. ولما ذكر إرسال المنذرين من الأنبياء والرسل، وسوء عاقبة المنذرين المكذبين عقبه سبحانه بقصة نوح عليه السلام ودعائه إياه حين يس من قومه فقال:

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَخَيَّصْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ
الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ
﴿٨٢﴾ وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لَّا بَرَّاهِمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾
إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيُّكُمُ الْإِلَهَةُ دُونَ
اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرَنظَرَةً فِي
النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ
إِلَىٰ آلِهِنَّ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ
عَلَيْهِمْ صَرِيحًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونِ مَا
تُنَاجُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

أي: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ نحن، واللام جواب قسم محذوف.

﴿هُرُّ الْبَاقِينَ﴾ هم الذين بقوا وقد فني غيرهم، أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة، فالناس كلهم من ولد نوح، فالعرب والعجم من أولاد سام بن نوح، والسودان من أولاد حام بن نوح، والترك والخزر ويأجوج من أولاد يافث بن نوح.

﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ من الأمم هذه الكلمة وهي ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ﴾ أي: يسلمون عليه تسليماً إلى يوم القيامة، وهو من الكلام المحكي.

ومعنى قوله: ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: الدعاء بشبوت هذه التحية فيهم جميعاً.

وعلل مجازاة نوح بتلك الكرامة من تبقية الذكر، وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسناً، ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً من عباده ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾، ليريك جلالة محل الإيمان.

﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: ممن شايعه على أصول الدين، أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين، وتعلق ﴿إِذْ﴾ بما في الشيعة من معنى المشايعة، أي: وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين ﴿جَاءَ رَبُّهُ، بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ لإبراهيم، أو بمحذوف هو اذكر، ومعناه: حين أخلص الله قلبه من كل ما سواه، فلم يتعلق بشيء غيره، فضرَب المجيء مثلاً لذلك.

﴿إِفْكَاً﴾ مفعول له، والتقدير: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً؟! وإنّا قدّمه للنعانية، وقدّم المفعول له على المفعول به لآله كان الأهم عنده أن يواجههم بأنهم على إفك وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون إفكاً مفعولاً به، أي: أتريدون إفكاً؟! ثم فسر الإفك بقوله: آلهة من دون الله على أنها إفك في نفسها، ويجوز أن يكون حالاً، أي: أتريدون آلهة من دون الله أفكين!.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة؟ لأن من كان رب العالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام. والمعنى: إنه لا يقدر في ظن ولا وهم ما يصد عن عبادته، أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وقد عبدتم غيره؟.

﴿فَنَظَرَنَّا فِي النُّجُومِ﴾ في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها، لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنه استدلل بأماره في علم النجوم على أنه يسقم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: مشارف للسقم، وهو من معاريض الكلام، وإنما نوى به أن من كان آخر أمره الموت سقيم. وروي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنها قالوا: ((والله ما كان سقيماً وما كذب))^(١).

﴿فَنَوَلُّوا عَنْهُ﴾ فأعرضوا عنه وتركوه وخرجوا إلى عيدهم.

﴿فَرَأَى إِلَهُ الْيَهُودِ﴾ فمال إلى أصنامهم في خفية.

﴿فَقَالَ أَلَا نَأْكُلُونَ مَا لَكُمَا لَا تَرْطَبُونَ﴾ استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبادتها.

﴿فَرَأَى عَلَيْهِمُ﴾ فأقبل عليهم يضرهمهم ﴿ضَرْبًا﴾، أو فراغ عليهم ضرباً بمعنى: ضارباً.

﴿بِالْيَمِينِ﴾ أي: ضرباً شديداً قوياً، لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّهما، وقيل: بالقوة^(٢)، وقيل: بسبب الحلف^(٣) وهو قوله: ﴿وَنَالَهُ لَكِيدَنَّ أَصْنَامُكُمْ﴾^(٤).

﴿فَأَقْبَلُوا﴾ بعد الفراغ من عيدهم إلى إبراهيم. قرئ: يزفون يسرعون، من

(١) الكافي ج ٢: ٢١٧، ج ٨: ٣٦٩.

(٢) معاني القرآن للفراء ج ٢: ٣٨٤.

(٣) عن ابن عيسى. تفسير الماوردي ج ٥: ٥٧.

(٤) الأنبياء: ٥٧.

زفيف النعام، و﴿زُرْقُونَ﴾ من أزف: إذا دخل في الزفيف، أو من أزفه إذا حمله على الزفيف، أي: يزف بعضهم بعضاً، ويزفون خفيفاً، من وزف يزف.

﴿قَالَ﴾ محتجاً عليهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ ما تحتونه بأيديكم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ وخلق ما تعملونه من الأصنام، يقال: عمل النجار الباب والكرسي، وعمل الصائغ السوار والخاتم، والمراد: عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها، والأصنام جواهر وأشكال، فخالق جواهرها هو الله، وعاملو أشكالها مصوروها ومشكلوها بنحتهم.

و﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ترجمة عن قوله: ﴿مَا تَنْجُوا﴾، و﴿مَا﴾ في: ﴿مَا تَنْجُونَ﴾ موصولة ولا مقال فيها، فالعدول بها عن أختها تعسف.

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجِجِمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ
﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ
﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي
أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾
وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُمَا ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٧﴾ وَدَعَيْنَاهُ بِذَبْحٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾
وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ
إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

لما لزمته الحجة ﴿قَالُوا أَبْنَاؤُا لَهُ، بُنَيْنَا﴾ وعن ابن عباس: (بنوا حائطاً من الحجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، [وعرضه عشرون ذراعاً]^(١)، وملؤه ناراً وألقوه فيها)^(٢).

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلَينَ﴾ بأن أهلكناهم ونجيناهم وسلمناه.

﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ أي: مهاجر إلى حيث أمرني ربي بالمهاجرة إليه من أرض الشام.

أي ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ بعض ﴿الصَّالِحِينَ﴾ يريد الولد، لأن لفظ الهبة على الولد أغلب وإن كان قد جاء في الأخ حيث قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ﴾^(٣)، قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي﴾^(٤)، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(٥).

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِّيلٍ حَلِيمٍ﴾ اشتملت البشارة على أن الولد ذكر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ثم استسلم لذلك معه. بيان: كأنه لما قال: ﴿بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ أي: الحَد الذي يقدر فيه على السعي، قيل: مع من؟ قال: مع أبيه، وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة، أي في المنام ف قيل له: اذبح ابنك، ورؤيا الأنبياء وحي فل هذا قال: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ والأولى أن يكون قد أوحى إليه في حال اليقظة، وتعبّد بأن يمضي ما يؤمر به في

(١) ساقطة من ب.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٣: ١٠٣.

(٣) مريم: ٥٣.

(٤) الأنبياء: ٩٠.

(٥) الأنعام: ٨٤.

حال النوم.

﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ أو أي شيء ترى من الرأي، فيكون ﴿مَاذَا﴾ في موضع نصب بمنزلة اسم واحد، وعلى الأول يكون ذا بمعنى الذي، أي: ما الذي تبصره من رأيك؟ وما مبتدأ، والموصول مع صلته خبره، وقرئ: ماذا تري بضم التاء وكسر الراء، معناه: أجلداً تري على ما تحمل عليه أم خوراً؟.

﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي: ما تؤمر به، فحذف الجار كما حذف من قولهم:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلْ مَا أُمِرْتُ بِهِ^(١)

أو أورك على إضافة المصدر إلى المفعول، وتسمية المأمور به أمراً.

وقرأ علي عليه السلام وابن عباس: سلماً، يقال: سلم لأمر الله وأسلم واستسلم: إذا انقاد وخضع، وحقيقة معناه: أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وخالصة. وعن قتادة في ﴿أَسْلَمًا﴾: (أسلم هذا ابنه، وهذا نفسه)^(٢).

وجواب (لما) محذوف، وتقديره: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتَأَيَّهِيهِ قَدْ صَدَقَتِ الرُّيَا﴾ كان ما كان مما لا يحيط به الوصف من شكرهما لله على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما فازا به من رضوان الله واكتساب الثواب والأعواض الجليلة. والتل: الصرع، يقال: وضع جبينه على الأرض لتلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء.

﴿قَدْ صَدَقَتِ الرُّيَا﴾ أي: فعلت ما أمرت به في الرؤيا.

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه تعليل لتحويل ما خولهما الله من

(١) ديوان العباس بن مرداس السلمي: ٣١، وبقية: فقد تركتك ذا مال وذا نسب.

(٢) تفسير الطبري ج ٢٣: ٥٠.

الفرج بعد الشدة.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَتَأُ الْعَمِيْنُ﴾ أي: الامتحان الظاهر والمحنة الصعبة التي لا محنة أصعب منها، أو الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم.

﴿وَقَدَيْتُهُ يَذْبِجُ﴾ وهو المهياً لأن يذبح.

﴿عَظِيمٍ﴾ ضخمة الجثة سمين، والمفتدى منه هو الله عز وجل لأنه الأمر بالذبح، والفادي هو إبراهيم عليه السلام، وهب الله سبحانه له الكبش ليفدي به. وإنما قال: ﴿وَقَدَيْتُهُ﴾ إسناداً للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته.

واختلف في الذبيح على قولين: أحدهما: أنه إسحاق، والأظهر في الروايات^(١) أنه إسماعيل، وبعضه قول النبي ﷺ: ((أنا ابن الذبيحين))^(٢) وكذلك قوله سبحانه بعد قصة الذبح: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ولا بد من تقدير مضاف محذوف، أي: بوجود إسحاق، و﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة. والمعنى: بأن يوجد مقدرة نبوته، والعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، فيكون نظير قوله: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٣).

وقوله: ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [حال ثانية وردت على سبيل الثناء والتقريض، لأن كل نبي لابد أن يكون من الصالحين]^(٤).

﴿وَنَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ أي: جعلنا ما أعطيناهما من الخير دائم البركة ثابتاً نامياً، ويجوز أن يكون المراد كثرة ولدهما وبقاءهم قرناً بعد قرن إلى وقت قيام

(١) في ب: الأقوال.

(٢) الخصال: ٥٦، المستدرک علی الصحیحین ج ٢: ٥٥٩.

(٣) الزمر: ٧٣.

(٤) ساقطة من ج.

الساعة.

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَخَيَّرْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا
مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْنُؤُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾
وَالَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ تسخير قوم فرعون إياهم، واستعمالهم في الأعمال

الشاقة.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير لها ولقومها في قوله: ﴿وَخَيَّرْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنْ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾.

و﴿الْكَتَبَ الْمُسْتَيْنَ﴾ البليغ في بيانه وهو التوراة.

وَلِإِنِ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا نُنْقِوَنَ ﴿١٢٤﴾
أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ
آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاتَتْهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ
اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْيَرِ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّاسَ
﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

اختلف في ﴿إِيَّاسَ﴾ فقيل: هو إدريس النبي^(١)، وقيل: هو من بني إسرائيل

من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع^(٢)، وقيل: إنه استخلف اليسع على بني

(١) عن ابن مسعود وغيره. الدر المنثور ج ٥: ٢٨٥.

(٢) عن ابن عباس. الكشف والبيان ج ٨: ١٥٨.

إسرائيل ورفع الله تعالى وكساه الريش فصار إنسياً ملكياً وأرضياً سهاوياً^(١)، وقيل: إن إلياس صاحب البراري، والخضر صاحب الجزائر، ويجتمعان كل يوم عرفة يعرفات^(٢).

وبعل: صنم لهم كانوا يعبدونه.

وقرئ: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ بالرفع على الابتداء، وبالنصب على البدل.

﴿فَأَنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ﴾ للحساب أو في العذاب أو النار. واستثنى من جملة قومه الذين أخلصوا عبادتهم لله.

وقرئ: ﴿سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ على أنه لغة في إلياس، وقرأ ابن مسعود والأعمش^(٣): وإن إدريس وعلى إدراسين، ولعل لزيادة الياء والنون معنى في السريانية، ولو كان جمعاً - كما قيل - لعرف بالالف واللام، وقرئ: على آل ياسين ووجد في المصحف مفصلاً من ياسين، وفي فصله منه دلالة على أن آل [هو الذي تصغيره أهيل، قاله أبو علي الفارسي^(٤). وعن ابن عباس: (آل)^(٥) ياسين: آل محمد، وياسين اسم من أسمائه^(٦).

(١) الكشف والبيان ج ٨: ١٦٧.

(٢) الكشف والبيان ج ٨: ١٦٧.

(٣) سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي مولا هم الكوفي، ولد سنة ٦٠ هـ، توفي سنة ١٤٨ هـ. ينظر غاية النهاية في طبقات القراء ج ١: ٣١٥.

(٤) الحجة في علل القراءات السبع ج ٤: ٢٢٩.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) معاني الأخبار: ١٢١، معجم الطبراني الكبير ج ١١: ٥٦.

وَلِإِنَّ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ بَخَّصَتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
 إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَانْكُرُوا لَكُمْ رُؤُوسَ
 عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَالَيْلُ أَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ
 لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفَالِكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ
 فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمْعُ الْخِثْيُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا
 أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
 فَبَدَّدَهُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
 مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
 فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾

﴿لَنُكْرَهُنَّ﴾ على منازلهم في متاجرهم إلى الشام.

﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح ﴿وَيَالَيْلٍ﴾ عطف عليه، أي: وممسين
 ﴿أَفَلَا﴾ تعتبرون بها.

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ أي: هرب من قومه إلى السفينة المملوءة من الناس والأحمال
 خوفاً من أن ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم.

﴿فَسَاهَمَ﴾ القوم أي: قارعهم.

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ أي: من المغلوبين المقروعين، والمراد: من الملقين في

البحر.

﴿فَالْقَمْعُ الْخِثْيُ﴾ أي: ابتلعه.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ داخل في الملامة على خروجه من بين قومه بغير أمر ربه.

﴿مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح والتقديس.

﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ﴾ حياً ﴿إِلَى يَوْمِ﴾ البعث، وعن قتادة: (لكان بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة)^(١).

﴿فَبَدَّلْنَاهُ﴾ فطر حناه بالعراء، وهو المكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر ﴿وَهُوَ﴾ مريض.

واليقطين: كل نبت ينسبط على وجه الأرض ولا ساق له كشجر البطيخ والقثاء، وهو يفعل من قطن بالمكان: إذا أقام به، وقيل: هو القرع^(٢)، وفائدته أنَّ الذباب لا يجتمع عنده، وقيل: هو التين، وقيل: هو شجرة الموز، تغطي بورقها، واستظل بأغصانها، وأفطر على ثمارها.

ومعنى ﴿أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ﴾: أنبتناها فوقه كما يطنب البيت على الإنسان. ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ عن قتادة: (أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل)^(٣).

﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ في مرأى الناظر، إذا رآهم الرائي قال: هي مائة ألف أو أكثر. وقرأ الصادق عليه السلام: ﴿يَزِيدُونَ فَأَمَنُوا وَأَنَابُوا﴾^(٤).

﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ إلى انقضاء آجالهم، يحتمل أن يكون أرسل إلى قوم بعد قومه، ويجوز أن يكون أرسل إلى الأولين.

(١) تفسير الطبري ج ٢٣: ٦٥.

(٢) عن ابن مسعود وغيره. تفسير الطبري ج ٢٣: ٦٦.

(٣) الدر المنثور ج ٥: ٢٩١.

(٤) في ب: وتابوا.

فَأَسْأَلْتَهُمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا
 الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ
 لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ
 عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ
 سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَاتُوا بِكُنُوزِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهُ
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿ فَأَسْأَلْتَهُمُ ﴾ معطوف على مثله في السورة^(١) وإن تباعد ما بينهما.

أمر الله رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً، ثم ساق الكلام
 موصولاً بعضه ببعض، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة التي قسّموها ضيزى
 حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله مع كراهتهم
 لمن ووأدهم إياهن.

﴿ أَمْ خَلَقْنَا ﴾ بل أخلقنا ﴿ الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ حاضرون
 خلقنا إياهم، أي: كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا. ولقد ارتكبوا ثلاثة أنواع من
 الكفر في ذلك:

أحدها: التجسيم، لأن الولادة مختصة بالأجسام.

والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حيث اختاروا البنين لأنفسهم والبنات

لله.

والثالث: أنهم استهانوا بالملائكة حيث أنشؤهم.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل، ونحوه قول ذي الرمة:

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ عَنْ أَشْيَاءِهِمْ خَبْرًا أَمْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَائِهِ طَرْبًا^(١)
﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين ﴿أَفَلَا﴾ تنتهون عن مثل هذا القول.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ أي: حجة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله ﴿فَأَتُوا بِكِنْيَتِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم في ذلك.

﴿وَجَعَلُوا﴾ بين الله ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ وهو زعمهم أن الملائكة بنات الله، فأثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة، وسمّوا: جنة لاستتارهم عن العيون، وقيل: هو قول الزنادقة: إن الله خالق الخير، وإبليس خالق الشر^(٢).

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾ أي: الملائكة ﴿إِنَّهُمْ﴾ في ذلك كاذبون.
﴿مُحْضَرُونَ﴾ النار معذبون بما يقولون. ثم نزه سبحانه نفسه عما وصفوه به.
﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ استثناء منقطع من الواو في ﴿يَصِفُونَ﴾ أي: يصفه هؤلاء بذلك، ولكن ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ براء من أن يصفوه به.

فَأَنذَرْتُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَو أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ

(١) ديوان شعر ذي الرمة: ١.

(٢) عن الكلبي. تفسير الماوردي ج ٥: ٧٠.

سَبَقَتْ كَيْمَنًا لِّعِبَادِنَا الْمُؤْمِلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا
لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَنَزَّلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَنبَصَرُوا فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾
أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٧﴾
وَنَزَلَ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَنبَصَرُوا فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾
سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ لله عز اسمه، والمعنى: فإنكم ومعبودكم ﴿مَا أَنْتُمْ﴾ وهم
جميعاً ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾ على الله، أي: لستم تفتنون على الله أحداً بإغوائكم واستهزائكم،
من قولك: فتن فلان على فلان امرأته إذا أفسدها عليه.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ أي: إلا من سبق في علم الله أنه يستوجب صلي
الجحيم بسوء أعماله.

ويحتمل أن يكون الواو في ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى: مع، فيجوز السكوت على:
﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، كما يجوز السكوت على قولك: كل رجل وضيعته، فيكون المعنى:
فإنكم مع معبودكم، أي: فإنكم قرناؤهم. والضمير في (عليه) لـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾،
أي: فما أنتم على ما تعبدون ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾ بباعثين، أو حاملين على طريق الفتنة
والإضلال ﴿إِلَّا مَنْ﴾ يصلي ﴿الْجَحِيمِ﴾ بسوء اختياره، ويحترق بها مثلكم.

﴿وَمَا يَمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: وما منا ملك، فحذف الموصوف وأقيمت
الصفة مقامه، كقوله:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ الثَّنَائِيَا^(١)

(١) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي. الأصمعيات: ٣، وبقية: متى أضع العمامة تعرفوني.

أي: مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه، أو مقام في العبادة والانتهاه إلى أمر الله لا يتجاوز ما أمر به ورتب له، كما روي: ((فمنهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصاقون لا يترايلون))^(١).

﴿لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ نصف أقدامنا في الصلاة، أو أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين، أو في الهواء منتظرين أمر الله، وقيل: إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية^(٢) وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين. و﴿الْمُسْتَحُونَ﴾: المصلّون، أو المنزهون.

(إن) هي المخففة من الثقلية، وهم مشركو قريش كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ كتاباً ﴿مِّنْ﴾ كتب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ الذين نزل عليهم التوراة أو الإنجيل، لأخلصنا العبادة لله، ولما خالفنا كما خالفوا، فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار، وهو المعجز من بين الكتب ﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

الكلمة هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ سبأها كلمة وإن كانت كلمات عدة؛ لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة. وهم في: ﴿لَهُمْ﴾ فصل، والمراد: الوعد بعلوهم على عدوهم في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة.

﴿فَقَوْلَ عَنَّهُمْ﴾ وأغض على قذاهم واصبر على أذاهم.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى مدة يسيرة هي مدة الكف عن القتال.

﴿وَأَبْصَرْتُمْ﴾ وما يقضى عليهم من القتل والأسر عاجلاً، والعذاب الأليم أجلاً ﴿فَسَوْفَ﴾ يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد اليوم والثواب

(١) نهج البلاغة: ٢٨.

(٢) عن ابن جريج وغيره. الدر المنثور ج ٥: ٢٩٣.

والنعيم غداً. والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة الدالة [على أنها كائنة] ^(١) لا محالة، قربة الوقوع كأنها قدام ناظريك، وفي ذلك تسلية له صلوات الله عليه وآله.

وكانت العرب تفاجئ أعداءها بالغارة صباحاً، فخرج الكلام على عاداتهم، فكأن العذاب الذي ينزل بساحتهم جيش نزل بساحتهم فشنّ عليهم الغارة، ولأنّ الله سبحانه أجرى العادة بتعذيب الأمم وقت الصباح، كما قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ ^(٢).

والمعنى: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾ صباحهم.

وإنما كرر قوله: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ليكون تسلية على تسلية، وتأكيذاً لحصول الوعد على تأكيد، وقيل: أريد بأحدهما الدنيا وبالآخر الآخرة. وفي قوله: ﴿أَبْصِرْ﴾، و﴿يُصِيرُوكَ﴾ من غير تقييد بالمفعول فائدة زائدة، أي: ما لا يحيط به الوصف من ضروب المسرة لك، وأنواع المساء لهم.

﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أضاف الرب إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قال: ذو العزة، أو لأنه لا عزة لأحد إلا وهو مالکها، كما قال: ﴿وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ ^(٣). وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلى آخر السورة)) ^(٤).

(١) ساقطة من ج.

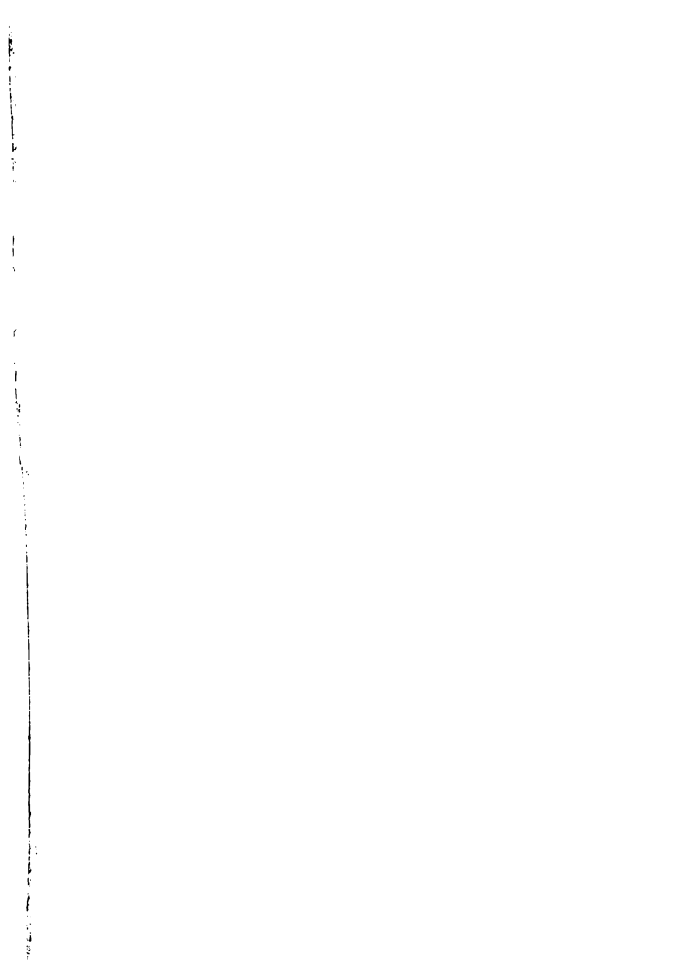
(٢) هود: ٨١.

(٣) آل عمران: ٢٦.

(٤) الكشف والبيان ج ٨: ١٧٤. وينظر: الكافي ج ٢: ٤٩٦.

فهرس المحتويات





فهرس المحتويات

٥	سورة الحج
٣٨	سورة المؤمنون
٦٧	سورة النور
١٠٤	سورة الفرقان
١٣٣	سورة الشعراء
١٦٤	سورة النمل
١٩٨	سورة القصص
٢٣٠	سورة العنكبوت
٢٥٤	سورة الروم
٢٧٥	سورة لقمان
٢٨٨	سورة السجدة
٢٩٩	سورة الأحزاب
٣٤٢	سورة سبأ
٣٦٨	سورة فاطر
٣٨٨	سورة يس
٤١٢	سورة الصافات
٤٤١	فهرس المحتويات